تشخيص
الكارما
الارتقاء الروحي

obeikandl.com

obeikandl.com

س. ن. لازاريف

تشخيص الكارما الارتقاء الروحي

ترجمة
مازن نفاع

obeikandl.com

♦ تشخيص الكارما الارتقاء الروحي.

- تأليف: س. ن. لازاريف.
- ترجمة: مازن نفاع.
- سنة الطباعة 2017.
- عدد النسخ 1000.
- الترقيم الدولي: 978-9933-18-318-9 :**ISBN**

جميع الحقوق محفوظة لدار ومؤسسة رسلان

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين
للنشر والطباعة والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5617071
فاكس: 00963 11 5613241
ص. ب: 30598 جرمانا
www.zoyaala-addin.com
ala-addin@mail.sy

دار ومؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5627060
00963 11 5637060
فاكس: 00963 11 5632860
ص. ب: 259 جرمانا
www.darrislan.com
darrislansyria@gmail.com

وفاءً لذكرى
السيدة زويا ميخائيلينكو
لدورها الكبير في مسيرة دار علاء الدين

obeikandl.com

مُقَدِّمَة

عندما انتهيت من كتابة الكتاب الرَّابع في عام ١٩٩٧، كُنت واثقاً من أنَّ عمليَّة وصف القيم الإنسانية قد اكتملت. وبقدر ما أهتم بكل ما يُسمَّى بالسعادة الإنسانية، بقدر ما يكون من السَّهل عليَّ تحديد تأليه الأشياء الَّتي نتعلق بها، ومن ثُمَّ كيفيَّة التَّخلُّص من هذا التعلق. وقد تَمَّ الانتهاء من التصنيف تماماً. وهذا يعني أنَّه لم يَعُد هناك أي عقبات، وبالتَّالي يُمكننا أنْ نكون أصحاء معافين نحن وأولادنا. أي كان يُمكن الانتهاء من الأبحاث الكارميَّة. ولكي يتعافى كل مريض، ينبغي إجراء بحث تفصيلي لكل ما يعيقه في سبيل التَّخلُّص من تعلقه وارتباطه بشيء ما، والعثور على وسيلة مناسبة للتَّأثير على تغيير الطابع.

لقد انتهى كل ما هُو نظري، ولم يبقَ إلا التطبيق العملي. وقد فترت همَّتي قليلاً في هذا الخصوص.

أوَّلاً: - كل شيء أصبح واضحاً؛

ثانياً: - لم أعتقد أبداً أنَّ عمليَّة التَّفكير يُمكن أنْ تثير النفور والملل والألم الجسدي. كُنت أريد أنْ أشعر، والعودة من جديد إلى الرسومات. ومن ثُمَّ كُنت أرغب بالاهتمام بمسألة الشيخوخة.

إنَّ العمل على نفسي خلال هذه الأعوام قد غيَّر كثيراً من طابعي الشَّخصي ومن صحَّتي. لكنْ لم تحدث أبداً أي عمليَّة تشبب، بل على العكس. وكلما كُنت أركز أكثر على الأفكار وعلى الإدراك والفهم والتعميم، كلما كُنت أعاني من ضغط مرضي ومن عمليَّة الشيخوخة أكثر. وقررت الابتعاد عن البحوث والعلاج والاهتمام بنفسي تماماً، لأنَّه لم يكن لدي الوقت سابقاً لهذا الأمر. إنَّ كل سلسلة القيم الإنسانية قد أدَّت إلى حلقات عديدة. الحلقة الأولى - هي عبارة عن قيم الطابع الماديّ. وفي هذا الأمر كل شيء واضح ومفهوم. بعد ذلك كانت هناك القيم الرُّوحيَّة، وهذه القيم قد انقسمت بشكل ما إلى فرعين - الفرع الأوَّل: - هُو العلاقات، وقد ولَّد الارتباط بها، الغيرة. ومن جهة أُخرى - القدرة والذهن. وإنَّ

الارتباط بها قد ولد الفخر والاعتزاز، وقد أتى أحد المرضى، وكان لديه ارتباط وتعلق واضح بالقيم الروحية، وهذا طبعاً يعني الارتباط بالعلاقات. وشرحت له كيفيَّة التَّخلُّص من هذا الارتباط. يجب، وبكل بساطة، العثور على نقطة دعم أُخرى. ويقترح علم النَّفس المعاصر على الإنسان أنْ يطوِّر كل اهتماماته. وعندئذ لن يحصل هناك إخفاق مرضي، وبالتَّالي بإمكان الإنسان أنْ ينقل اهتماماته إلى مجال آخر، لكنَّ هذا الكلام يكون فاعلاً في الشَّكل الخارجي، الظاهري فقط، أي في حالات الحزن والخصومة والخيانة، لكنْ عندما يتعلق الأمر بالمعاناة القوية والشديدة التأثير، كموت شخص قريب، فإنَّ علماء النَّفس أولئك، وكذلك المختصون بالطب النفساني، لا يستطيعون التغلب على هذا أبداً، واللجوء إلى «الله» فقط، هُو ما يجعل الخُرُوج من هذا المأزق ممكناً، وبقدر ما تكون الحاجة قويَّة في داخلنا في حب الله، بقدر ما يكون ارتباطنا بالحُبِّ الإنساني قليلاً، وبالتَّالي فإنَّ الإخفاق في الحُبّ الإنساني لا يُمكن أنْ يخلق مأساة تراجيدية، وبحسب اعتقادي، فإنَّ الإنسان لديه مهمتان أساسيتان - الاستمرار والحفاظ على نفسه، وهذا يتعلق بالعلاقات، وإنَّ تطوير أنفسنا وقدراتنا والتحكم بالعالم المُحيط بنا، ما هُو إلا موضوع القدرات والذهن، ومن دُون هذا الأمر لا نستطيع العيش، ولكنْ عندما يُصبح هذا هدفاً بحد ذاته، فسوف يكون هُنا تعلق وارتباط في البداية، ومن ثُمَّ العدوان، وبعد ذلك الإخفاق، وبهذا الشَّكل فإنَّ القيم الإنسانية هي جملة من القيم الماديَّة والروحية.

كان ضرورياً، بشكل ما، بالنِّسبة لي الوُصُول إلى التَّحرُّر من القيم الرُّوحيَّة والماديَّة بأسرع ما يُمكن، وكلَّما ركزت على هذا الأمر بقُوَّة أكثر، كلَّما كان الوقت يمر مسرعاً أكثر، وفي مرحلة ما رأيت أنَّ هناك تسارعاً، إذ إنَّ التعلق بشيء ما ينتقل إلى التعلق بشيء آخر. والإنسان الَّذي يهتم أكثر شيء بالأموال، ويكون مادياً وبراغماتياً، يُصبح كذلك، لأنَّه في أعماقه يكون مثالياً. وإنَّ التعزيز القادم لتعلقه بالعناصر الرُّوحيَّة يُعَدُّ بالنِّسبة له خطراً مميتاً. ثُمَّ تبين بعد ذلك أنَّ الإنسان الَّذي يتغلب على الغيرة والحسد ينقل لاشعورياً نقطة الارتكاز إلى قدراته وذهنه، وليس إلى حب «الله». وبدلاً من الحسد المختفي يظهر لديه فخر واعتزاز حقيقيان، وفي لحظة ما، أدركت أنَّه إضافة إلى هذه الدرجات والطبقات الإنسانية، هناك أشياء أعمق وأوسع، وفي نهاية المطاف، وصلت إلى مرحلة المثل العُليا والرُّوحانيَّة والكرامة. وكانت هذه مرحلة أكثر دقَّة وشاملة أكثر، وهي كانت في أساس العلاقات والقدرات. وإنَّ التَّعلُّق في هذه المرحلة قد أدَّى إلى التَّعلُّق بالعلاقات أو القدرات. وإذا كان هذا التَّعلُّق قوياً جداً، فإن لدى الإنسان غيرة وحسداً واعتزازاً في الوقت ذاته. إنَّ

موضوع الرُّوحانيَّة والكرامة والمثل العُليا والآمال كان في الوقت ذاته، موضوع الاتصال مع المستقبل. وكلَّما كان المُستوى الرُّوحي للإنسان أعلى، كلَّما كان الإنسان نبيلاً ورفيعاً وسامياً أكثر، وكلَّما كان يحلم أكثر، كلَّما انفتحت لديه القدرات للتَّحكُّم بالمستقبل أكثر. الماضي مادِّي، وأما المستقبل فهُو روحي، فكلما كان التَّفكير في المستقبل أكثر، كلَّما كان الماضي والحاضر أكثر. وكلَّما كان الإنسان رُوحيَّاً ونبيلاً، كلَّما كان نشيطاً أكثر. وعاجلاً أم آجلاً، ستظهر لديه ولدى أحفاده القدرات والذهن المتفتح، وكلَّما كانت علاقاتهم أغنى ومتناسقة أكثر. إنَّ كل ما نملكه، يأتي من المستقبل ويعود إلى الماضي، ولذلك فإنَّ درجة أو مرحلة الرُّوحانيَّة الدَّاخليَّة تحدد قدراتنا في الحاضر. وكلَّما كان لدى الإنسان الكرامة والشرف والنبل، فإنَّ أحفاده سوف يمتلكون القيم المادِّيَّة والروحية كذلك. وحتى إذا كان الأطفال والأحفاد يكفون عن كونهم روحانيين وشرفاء، فإنَّ احتياطاتهم الدَّاخليَّة تتيح لهُم في وقت ما أنْ يشعروا بها. لماذا إذاً يرفض الأنجال الروحانيين والنبل والكرامة؟ لأنَّ تأليه المستقبل يولد التَّعلُّق به، وفيما بعد يخسرونه. والإنسان مع المستقبل المغلق، إما يموت وإما يصاب بمرض ما. وكلَّما كان الإنسان رُوحانيَّاً أكثر، كلَّما كان الإغواء أكثر بهذه الرُّوحانيَّة والتعلق بها. إنَّ الإشارات الأولى للتَّعلُّق هي الخوف على مستقبلنا، وعلى مُستقبل الأشخاص المقرَّبين منا. التركيز على الخطط والأحلام، وبعد ذلك تذبذبات مرضية غير مُحبَّبة للمستقبل، حيثُ لا تتحقق الخطط والآمال عندما تبدو صُورة العالم المنعكسة أو المدركة غير حقيقية. وعدم القدرة على تقبل إخفاق المثل العُليا، وإخفاق المخططات وفشل الآمال. وإنَّ الخيانة أو الظُّلم من قبل الأشخاص أو المُجتمع، تعتبر مؤشراً للارتباط الوثيق بالمستقبل، وعندئذ يتطوَّر القدر والمصير والصِّحَّة.

ومهما رأيت مرضى مصابين بالسرطان أو العقم، فلديهم جميعاً ارتباط بالمثل العُليا وبالمستقبل، وهُو، أي الارتباط، يفوق مُستوى الخطر بمرَّات عدَّة. وإذاً، المادِّيّ هُو الماضي، والروحي أو المعنوي هُو المستقبل، وبينهما علاقة، من جهة، والقدرات والذهن من جهة أُخرى. ينبغي المرور بالحياة وتقبُّل إهانات كل هذه العناصر كعملية تطهير، وينبغي التَّخلُّص من الأسف على الماضي والمخاوف أمام المستقبل. نحن نعرف «اللّه» من خلال الشُّعُور بالحُبِّ، والذي، أي الشُّعُور، لا يرتبط بشيء، وأي عُدوانيَّة تجاه الحُبّ تبعدنا عن اللّه، وتنغمس في الإنسانية. لذلك، أوَّل ما يجب القيام به، من خلال استعراضنا لشريط حياتنا، هُو التَّخلُّص من أي عُدوانيَّة تجاه الحُبّ، والتي تمر من خلال عدم الرغبة في العيش، وعدم الرضا الذاتي من مصيرنا، ومن خلال اتهام وإغضاب الأشخاص الآخرين. وهذا المخطط لمُساعدة النَّاس لم

يكن فاعلاً، وتلك الأحزان والمآسي الَّتي تحدث للشخص، وتلك الحالات الَّتي بحث فيها الأخصائيون لسنوات، سوف تجد الحلول لها ببساطة وطبعاً، خلال ساعات معدودة. فعلى سبيل المثال، إليكم ما تقوله لي إحدى المريضات:

- أرى أنَّ هناك شيئاً ما فظيعاً يعاني منه طفلي، ولا أستطيع فعل شيء حيال ذلك. فقد كان لديه فتاة يحبها، لكنَّه افترق عنها منذ زمن قصير، وقد عانى من ذلك كثيراً. والآن كل مخططاته وآماله، إنْ كان في العمل أو في أموره الخاصة، قد أخفقت تماماً. وفقد السَّيطرة التَّامَّة على الأوضاع، وبالمناسبة هُو مختص بالفُنُون القتالية، وخلال الأشهر الأخيرة تعرَّض للضرب في الشوارع، وكأنه قد ارتبط بشيء ما، أو أنَّه مقيد بشيء ما، ولم يتمكن من الدِّفاع عن نفسه. وهُو يشعر بأنَّه ليس لديه مخرج من أزمته ومن حالته وبدأ بتناول المشروبات. وهُو يندفع شيئاً فشيئاً نحو الهاوية، وأنا ضعيفة جدَّاً ولا أستطيع مساعدته».

كانت تكفيني بضع ثوانٍ للوقوف على هذه الحالة وتشخيصها بدقَّة.

- تستطيعين تغيير قدره خلال ساعات معدودة - «قلت هذا للمرأة» - وكل ما ذكرتِهِ لي سيختفي مثل الدخان. إلا أنَّه عليك أنْ تعملي على نفسك جيِّداً. ولدى ابنك عائق تجاه المثل العُليا (المعنويات)، أي هناك حالة إغلاق للمستقبل في مكان ما تفوق خمس مرَّات مُستوى الخطر. وبقدر كبير كان السبب أنت، لأنَّك لم تعيشي من خلال الحُبّ الإلهي، بل من خلال المثل العُليا والرُّوحانيَّة والشرف. كُنت تحتقرين الأشخاص الفقراء روحياً، أي غير القادرين ولا يتمسكون بالمبادئ وهم غير متوازنين. لم ترغبي في العيش عندما تهان مثلك العليا، وعندما عانيت من الخيانة من قبل البعض ولم يتعاملوا معك بعدل. وقبل الحمل بالأطفال ولكي نضمن لهُم قدراً كبيراً من الحُبّ الإلهي، يجب التنحي جانباً عن كل ما هُو إنساني. وهذا التنحي يُمكن أن يسير من خلال الغضب من الأشخاص، وإذا لم نقبل ذلك، فمن خلال المرض والحزن، أو من خلال الموت. وإذا لم نكن ندرك أنَّ الحزن من شخص آخر هُو رحمة من الله، فإنَّ أطفالنا سيعانون من الأمراض والأحزان. عيشوا الحياة من جديد واشعروا أنَّ القيم المعنوية المُقدَّسة لا تعني شيئاً بالمقارنة مع حب الله. تقبلوا أي إهانات أو ظُلم بمثابة

احتمال لإنقاذ طفلك، واحتمال لتغيير نفسك من خلال التنحي والابتعاد عن كل ما هُو إنساني والسعي إلى الإلهي. وبالمناسبة، فإنَّ الصَّلاة ليست ضرورية من أجل الولد فحسب، بل من أجل الأحفاد أيضاً. وفي مرحلة دقيقة ما، أرى بُقعة مظلمة، تسير نحو طفلك. وهذا ما هُو إلا ابنه القادم. ولكي يولد ويأتي بخير، فإنَّ روحه يجب أنْ تتطهَّر. وهذا يحدث الآن من خلال إهانة المثل العُليا والروحية في والده. وبما أنكم بمثابة الرَقْم الأخير تقبلي الطهارة، لكنْ دُون أنْ تكون قسرية. وكلَّما كانت روحنا غير مرتبطة بالقيم الإنسانية، أو مرتبطة بشكل أقل، كلَّما كانت أقل حالات الأحزان لتطهيرها. وعندما يغير الأهل بشكل حقيقي من علاقاتهم تجاه الماضي والحاضر، عندئذ ليس أقل حقيقة، يتغير ماضيهم وحاضرهم، وكذلك أحفادهم أيضاً، لم تَعُد تدهشني أبداً أنْ تتغير طبيعة الطفل ومصيره خلال ساعات. وأذكر أنني تحدثت لزميلة لي مرَّات عديدة أنَّ ابنها الأكبر يُمكن أنْ يموت. وتضرعت إلى الله، وعملت جاهدة، لكنْ لم يتغير شيء.

وقالت:

- تعرف أنَّني حاولت أنْ أشركه في ذلك. وما أنْ أضع الشريط المصور لك والذي كُنت تتحدث فيه، حتَّى يخرج مسرعاً من الغرفة، وعندما حاولت قراءة كتبك له، فهُو سرعان ما يرفض ذلك.

وقلت لها:

- لا أريد أنْ تغضبي مني فيما بعد، لكنَّ حظوظ ابنك في العيش أصبحت ضئيلة جدًّا.

وعلى سؤالها الصامت الَّذي رأيته في عينيها قلت لها:

- إما أنْ تبدئي حقيقة بالتغير وتقنعي نفسك في أنَّ كل ما هُو إلهي أهمُّ من كل ما هُو إنساني، وأنَّ سعادتك الإنسانية ما هي إلا إمكانية لجمع الحُبّ لله، أو أنَّ طفلك يُمكن أنْ يمرض ويموت في الوقت القريب. جلست صامتة ودون حراك لفترة قصيرة. وقالت فيما بعد:

- حسناً، سأحاول.

اتصلتْ بي مساءً، لكنَّها لم تستطع الحديث أوَّلاً، لأنَّها كانت تبكي. وأدركتُ أنَّ هناك شيئاً محزناً قد حدث.

وقالت باكية:

- تعرف أنَّ ابني الكبير قد اقترب مني منذ نصف ساعة حاملاً كتابك في يده وطلب مني أنْ أقرأه له.

واندهشت وقلتُ:

- إذاً لماذا تبكين؟

- لأنني سعيدة.

وهكذا، انتهت أبحاثي. لكنْ مع هذا كانت تضغط بشدة الأمراض الصعبة. وحقيقة القول، لم أفهم ما القصَّة هُنا. والتفسير المناسب كان كالتالي: إنَّ مجال خرق القوانين العُليا والعدائية تجاه الحُبّ في الحيوات الماضية كان عظيماً جدًّا. ولذلك جرت التغيرات في الطابع ببطء شديد. السبب الثاني، كان يكمن، على الأرجح، في أنَّه إضافة إلى مُستوى المثل الرُّوحيَّة العليا، كانت هناك مستويات أكثر عمقاً وأوسع مجالاً. وكذلك، من خلال مواجهتي مرات عديدة لعشرات ومئات الاحتمالات الممكنة، توصلت إلى نتيجة مفادها أنَّه خلف هذه المثل العُليا هناك مُستوى للإرادة، وخلفه - مُستوى الحياة.

وهكذا كانت كل السلسلة تبدو على الشَّكل التَّالي. في البداية القيم المادِّيَّة وبعد ذلك العلاقات والقدرات، ومن ثُمَّ الرُّوحانيَّة والنبل والمثل العليا، وبعدها الإرادة ومصير الإنسان والحياة. وإذا أزلت العقبات من أمام الحياة الإنسانية، فسوف تتقلص لدي العلاقة بالإرادة وبالمثل العليا، وبكل ما تبقى. يعني، يجب أنْ نتلو الصَّلاة على الشَّكل التَّالي:

- يا ربي، كل حياتي وأي سعادة إنسانية هي وسيلة لتراكم الحُبّ تجاهك ولك.

وإنَّ الابتعاد التَّدريجيّ عن كل السعادات الحياتية يقلص من الارتباط بكل ما هُو إنساني ويجعل من الصَّلاة مهمة جدًّا. وهذا يعني أنَّه يُمكن إحصاء مقاييس العقبات لكل قيمة، حيثُ تكتسب العقبات المهمة أكثر أهمِّيَّة كبرى، وهي الحياة، المصير، الإرادة. وكل ما تبقى يرتبط بها. وفهمت أنَّ تشخيصي والاستعداد للموت في عام ١٩٩١ لم يكن مصادفة أبداً. في تشرين الثَّاني ١٩٩١ التقيت بالمحرر لاحقاً وبناشر كتابي الأوَّل. وفي حزيران ١٩٩٣ انتهيت من تأليف الكتاب، وبقدر ما دار الحديث عن كل ما هُو إلهي، والمعلومات كانت جدِّيَّة وقوية. كان يجب أنْ يكون الكتاب دقيقاً ونظيفاً. وإجراءات الموت والوداع مع كل ما هُو غالٍ علي، وفي آخر المطاف مع الحياة ذاتها، أتاحت لي تنظيم نفسي وتطهير روحي.

إذاً، تَمَّ وصف دائرة القيم، واكتملت الآلية. أي ومن ناحية المبدأ، إنَّ أسباب أي مرض يُمكن أنْ تختفي، إذا تَمَّ إزالة الارتباط بكل حلقات ما هُو إنساني. ولكنْ، وبما أنَّ الحُبّ الإنساني يتمتع بمجال واسع ومتنوع، فلا بد من التَّعلُّم على الحفاظ على حبِّ الله، عندما تحصل عمليات عدم استقرار في طبقات الحُبّ الإنساني الأخيرة، وليست الأولى. وانطلاقاً من آليَّة العمل، بقي أنْ أنظم نفسي جيِّداً. وعلى الرَّغم من أنَّه لم تكن لدي القناعة التامة، لكنْ في حالة مهمة تظهر حقائق جديدة للتفكير والسير قدماً. وبالمناسبة فقد سألني أحد الأصدقاء مرَّة:

- وهل يُمكن تأليه الرُّوح الإنسانية؟

وأجبته:

- الحق يقال، لا أعرف. لكنْ إذا ناقشنا ذلك منطقياً فإنَّ الجزء الأكبر من روحنا، والذي لا يعيش إلى الأبد، موجود في الزمان والمكان، يُمكن أنْ يكون أيضاً موضوعاً للتأليه. لكنْ في آليَّة عملي لم يكن هذا المفهوم، ولم يبقَ لي إلا أنْ أشبك يدي.

كانت في أبحاثي أيضاً حقيقة غريبة أُخرى. وكانت مرتبطة بالمستقبل. إنَّ مقياس المستقبل لم يكن لسبب ما مستقراً. ومن ناحية المبدأ، إذا لم يكن هناك ارتباط بالحياة وبالمصير الجيد والإرادة، فإنَّه لن يكون هناك عائق تجاه المستقبل، أي إنَّ المبادئ والأحلام والمثل العُليا. ومع هذا فإنني أصادف دائماً حالات مرضية، حيثُ كانت كل المقاييس لدى المرضى طبيعيَّة باستثناء مقياس المستقبل. كانت مسألة المستقبل مرتبطة بشيء ما. وإذا لم أكن أدرك من أين تأتي حالة عدم الاستقرار لهذا المقياس، فهذا يعني أنني لا أرى الأسباب العميقة الَّتي يُمكن أنْ تسبب المرض، وفي الحالات المعقدة يُمكن أنْ أكون ضعيفاً ودون فائدة، من جهة، لقد أدركت هذا، ومن جهة أخرى، لم تعطني كل محاولاتي تفسيراً لكل هذه الحالة. والحق يقال، إنَّه لم تكن هناك قُوَّة لدي. إذ إنَّ كل التغيرات الشكلية للحقول الميدانية، الَّتي أراها، لا تعني شيئاً بحد ذاتها. والأهم هُو تعميمها وتنظيمها، وهنا لا بد من توفر طاقة دقيقة، وهنا أصبحت معاريفَ ووضعي الماديّ المتحسن باستمرار، خطرة جداً. لم أكن أتصور سابقاً مقدار القوى الَّتي تتطلبها المشتريات وغيرها، وكل هذا يتطلَّب أيضاً مراقبة مستمرة للوضع. وفي هذه الظُّرُوف لم أكن أعمل أبداً. وكان هذا بالنِّسبة لي عبئاً كبيراً. وبالمناسبة فإنَّ كل كتاب قد ألَّفته كان بهدف تصحيح الوضع. ظهر الكتاب الأوَّل كإدراك بأننا لا نعيش بشكل صحيح ولا نتعامل مع بعضنا بطريقة جيِّدة. ولم يكن يعرف

أحد ما فيم يكمن معنى الحياة، وما هُو سبب الأمراض وكيف ينعكس سلوك الأهل على صحة ومصير أولادهم؟ وهناك العديد من النَّاس يكتبون حول هذا الموضوع لأنَّه أصبح جاذباً أكثر. وهذا كان في ذلك الوقت إنجازاً. كتبت الكتاب الأوَّل ورأيت أنَّ السبب الأساسي للأمراض لا يكمن تأليه ما هُو مادِّي. والرغبة في جعل هدف ومعنى الحياة والعائلة والعلاقات مع الأقارب قادرة أنْ تكون سبباً جدياً للأمراض أكثر من العناصر المادِّيَّة الأخرى.

وكتبت في كتابي الأوَّل أنَّ المصدر الأساسي هُو الصَّلاة وتعبُّد ما هُو مادِّي على الأرض. وبدا أنَّ المسألة الأساسيَّة للعالم المعاصر هُو تأليه ما هُو روحي. وبما أنَّ الكتاب الأوَّل قد ألَّفته بالاعتماد على الأبحاث الخاصَّة والنتائج الَّتي تأكدت تماماً في عملي مع المرضى، فإنَّ مفعوله أو تأثيره بدا قوياً جدَّاً. لكنْ بدا أنَّ نبض الانقطاع أو الابتعاد عن ما هُو مادِّي هُو الأساس. وفي الكتاب الثَّاني حاولت إقامة التَّوازن في آليَّة اكتساب القيم الإنسانية. وفي الحالات الطَّبيعيَّة تطلَّب مني كتابة كل كتاب من ٥ - ٧ سنوات. وهنا مفهوم أنَّ المعلومات غير المتوازنة يُمكن أن تُصبح خطرة. عندما انتهيت من تأليف الكتاب الثَّاني أردت الاستراحة لبضع سنوات. ولكنْ أدركت فجأة أنَّ هناك لحظة مهمة جدَّاً تتيح تفسير الكثير من الأُمُور. وهمِّي تأليه الحُبّ الإنساني، والقدرة على الحفاظ على حب الله وليس البحث عن المهتمين وعندما تهان قمة السَّعادة الإنسانية - الحُبّ الإنساني - فهذا يعني القدرة إلى حدٍّ كبير على التَّخلُّص من التَّوتُّر الإنساني.

وها هُم النَّاس يأتون إليَّ بعد أنْ يكونوا قد قرؤوا كتبي الثلاثة. ولديهم كل شيء طبيعي سوى حقيقة غريبة واحدة. الارتباط باللحظات الرُّوحيَّة العليا، وبإدراك المُستوى العالي لهذا الارتباط. وهذا بالتحديد يعطي عادة الإصابة بالأورام والعقم. وهذا يعني أنَّ المعلومات غير تامَّة، وفي بعض العناصر الأساسيَّة لا يستطيع النِّظام أنْ يُساعد المصابين. وعندئذ يظهر الكتاب الرَّابع. وعادة قبل تأليف أي كتاب وبعد الانتهاء منه، تبدأ عندي مشكلات كبيرة، وكلَّما كانت المعلومات قيّمة أكثر، كلَّما هزتني أكثر. فالكتاب مثل الطفل، يحمل في طيَّاته معلومات المُؤلِّف. وكما هُم الأهالي يتحملون مسؤولية أطفالهم ويدفعون فيمَ إذا لم يربوهم أخلاقياً بشكل صحيح، كذلك أنا أتحمل مسؤولية كل كتاب.

لم أشر إلى أيِّ شيء في نهاية الكتاب الرابع، وأدركت أنَّه، قليلاً أم كثيراً، كل شيء منتظم ويمكنني أخذ استراحة والاهتمام بأشياء أُخرى. ولكنْ وبما أنَّ كل مصدر للحُصُول على المعلومات يعتبر العمل مع المرضى، فلم أكن أستقبل المرضى، إضافة إلى أنني أردت التحقق إلى أيِّ حد يُمكن أنْ تكون مُساعدة المرضى فعَّالة.

ببطء ومن خلال التشخيص توصلت إلى نتيجة مفادها أنَّ موضوع المستقبل والمبادئ والمثل العُليا يحمل في طيَّاته طبقة شاملة أكثر دقة، وهُو مرتبط بمفاهيم الأخلاق والحب الإنساني وبالمعتقدات الدِّينيَّة ولسبب ما بعمليات التقدم في العمر. وفي نهاية المطاف توصلت إلى إدراك أنَّ هذه الطَّبقة تُسمَّى رُوح الإنسان.

لن أشرح بالتفصيل كيف توصلت إلى كُلِّ هذا، إذ من المُمكن كتابة عدَّة كتب حوله، وسوف أعطي وصفاً تقريبياً مقتضباً لطريقتي، وقد أدركت أنَّ كتبي الأربعة السابقة تقود القيم الإنسانية إلى عنصرين: الرُّوحي والمادي. وهناك مفهوم آخر أيضاً كقيم الرُّوح مثلاً. ويبدو أنَّ كل القيم الإنسانية تُؤدِّي في نهاية المطاف إلى مفهوم الإنسان ذاته، أي إلى الجسد والروح. وإنَّ تأليه أي إنسان يولِّد علاقة بالروح والجسد. ومن خلال هذا - الارتباط بكل القيم الإنسانية الباقية. وهذا لا يعني أنَّه لا بد من النَّظر إلى أيِّ إنسان كمصدر للسعادة فحسب، بل كمساعد في عمليَّة التقرب من الله وفي تراكم الحُبّ تجاهه. وكلَّما كانت العلاقة وطيدة بأي إنسان، كلَّما كانت هناك ادعاءات أكثر تجاهه. يعني، إلى أيِّ قدر يُمكننا مغفرة ذلك الإنسان.

كانت هذه معلومات جديدة واستطعت الحديث عنها بعد أنْ أثبتت الوقائع العمليَّة حقيقتها في مُساعدة المرضى. ويعني كان عليَّ أنْ أتماسك وأعود إلى نفسي ومتابعة البحث.

سأورد لكم حالتين قمت بتشخيصهما ما إنْ بدأت العمل على تلك المعلومات الجديدة.

في وقت من الأوقات في موسكو روى لي أحد معارفي عن حالة غريبة حصلت معه. وقال لي:

- خرجت من المنزل، بسيارتي لم يكن هناك أحد ما في الطريق، كانت سرعتي جيِّدة. وفجأة، من مكان ما طار حجر كبير ووقع على الزجاج الأمامي للسيارة ومن خلال الزجاج أصابني في رأسي. وبمعجزة استطعت أنْ أوقف السيارة على الجانب الأيمن، وتحطم الزجاج، لكنني بقيت حياً. هل يُمكن تفسير ما حدث لي؟

فكرت في تلك الحادثة للحظات وأنا مغمض العينين ثُمَّ قلت له:

- لك عشيقة شابة، وأنت وقعت في حبها، وتعاني من أمر مفاده أنَّك أكبر منها سناً. وكلَّما عانيت أكثر، كلَّما يعمل بقُوَّة ونشاط برنامج التدمير الذاتي لديك. في البداية يتموضع هذا البرنامج في منطقة الرأس. لكنْ بما أنَّ البرنامج قد مرَّ مسرعاً، فلن تظهر لديك عوارض الرشح التحسسي أو ألم الرأس، بل الخطر من كسر في الجمجمة.

ونظر إليَّ مستغرباً وقال:

- كل ذلك أكيد تماماً. لكنْ لماذا هذا الإنذار الَّذي كاد يتسبب في موتي.

- لأنَّ طفلاً في داخلك. وسوف يظهر إما في حياتك هذه أو في حياتك اللاحقة، ولا أستطيع قول ذلك لك الآن. لكنْ تجري الآن عمليَّة تشكله على المُستوى الجنسي. والسلوك غير الصحيح، لاسيما العاطفي خطر جدَّاً بالنِّسبة له.

وهُو من جديد لم يستطع أنْ يخفي دهشته:

- لا أستطيع أنْ أفهم، كيف استطعت أنْ تخمن رؤيته كل ذلك؟

- ما من لغز أبداً - قلت له - إنَّك تقع تحت تأثير ٥٠٠ وحدة من برنامج التدمير الذاتي. وهذا مرتبط بامرأة وليس بالزوجة. لماذا لديك هذا الاحتقار الدائم لنفسك، وهذا مرتبط بالروح ذاتها وبالمناسبة هذه المنطقة مرتبطة بعملية السُّرعة في قيادة السيارة. وهنا يكمن كل اللغز.

- وكيف سأتصرف في المستقبل؟

- عندما يتعلق الأمر بالحُبِّ، انسَ أمر عمرها وكيف هي تبدو. أي، يجب الاعتناء بك.

في المرَّة التَّالية جاءت إليَّ مريضة ودار بيننا الحديث التَّالي: وقالت لي:

- تعرفون أنَّ زوجي يكون أحياناً في حالة من الجُنُون وكأنَّ هناك عفريتاً قد دخل إلى جسده. هل أستطيع مساعدته في شيء ما؟

- طبعاً يُمكنك، قلت لها، هل كانت لديك مشاعر الازدراء والاستنكار تجاه اليهود الأرثوذكس؟

هزت كتفيها مستغربة وقالت:

- لا، لم تكن لدينا مطلقاً.

رفعت كتفي وقلت:

- أسألك مرَّة أخرى، هل كانت لديكم أم لا؟

استغرقت في التَّفكير وقالت:

- كانت هناك علاقات حرجة، وأما زوجي فهُو إنسان غير مؤمن.

- زوجك في حياتك الماضية كان أرثوذكسياً مؤمناً، وأتاحت له الديانة الوُصُول إلى مُستوى عالٍ من الرُّوحانيَّة والأخلاق. وأنت بدأت تأليه العناصر الإنسانية في نفسه ونفسك. وبقدر ما تؤلهين شيئاً ما في أي إنسان. بقدر ما يفقد

الإنسان ذلك الشَّيء. ماذا يعني إنسان فقير مادياً؟ نعرف ذلك. فقير جسدياً - هُو إنسان معاق وفقير رُوحيَّاً - هُو إنسان عاجز أحمق غير قادر على شيء. وفقير أخلاقياً - فهُو مُجرم بل وقاتل. أو إنسان يرفض الإيمان بالله، أو ما يُسمَّى بالإنسان الَّذي ركبه الشيطان. وبقدر ما تقومون بأداء الصلوات ابتهالاً للروح الإنسانية بقدر ما يفقد ذلك زوجك، وبما أنَّ روحنا تتطور إلى درجة كبيرة من خلال المعتقدات الدِّينيَّة فإنَّ ازدراء أي ديانة أو متدينين يقيِّدنا، وبالتَّالي يجلب لنا أو للمقرَّبين منا السوء. لذا لا بد لكم أنْ تمروا أو تفكروا في حياتكم وحاولوا أنْ تبعدوا الأشياء الدَّاخليَّة السَّيِّئة. وإنَّ أي متدينين لا يستطيعون أنْ يكونوا الهدف بحد ذاته، وهم مثل غيرهم، يعتبرون وسيلة لتراكم الحُبّ تجاه الله.

وأذكر أيضاً حادثة أُخرى، فقد جاءت امرأة شابة إليَّ عارضة مشكلتها عليَّ، إذ قالت:

- لا أريد شيئاً، وكأنَّ كل العواطف والأحاسيس قد اختفت عندي. فقلت لها:
- إنَّ الأحاسيس والمشاعر مرتبطة بالروح، وإذا شعرت أنَّ روحكم غائبة، فإنَّك مرتبطة بقُوَّة معها على الأرجح. والسبب هُو التَّالي: كُنت تزدرين دائماً المُجتمع والدولة. فقالت لي:
- لماذا إذاً لم أصب بمرض ما؟ ولماذا أتعذب هكذا؟
- إذا كُنت قد غضبت بقُوَّة على إنسان ما، فإنَّ نظام التدمير الذاتي قد عاد إلى الوراء عمداً. وإذا كُنت تريدين أنْ تشعري بسعادة الأحاسيس والمشاعر انزعي عنك الغضب من العالم والمجتمع والدولة وحتى الأشخاص العاديِّيْن.

obeikandl.com

مسائل تقديم المُساعدة
السيكولوجية لتلاميذ السنوات الأخيرة

لنستعرض أوَّلاً وباختصار تلك المشكلات الَّتي يُمكن أنْ يصادفها طلاب سنوات التخرج. ولكي نجد حلاً لأي مشكلة لا بد أوَّلاً من التَّمتُّع بالقدرة على التَّحكُّم بالوضع. وكلَّما كان الارتباط بوضع مُعيَّن أكبر، كلَّما كان الإنسان يتمتع بالقدرة على تحقيق ذاته وحل المسائل الحيويَّة المهمة بشكل أقل. فطلاب سنة التخرج يتواجدون في وسط عائلاتهم، والقدرة على حل المسائل العائلية المرتبطة بالوجود ضرورية جدَّاً لهُم. الفتيان والفتيات الَّذين أنهوا عامهم الدراسي يجهزون أنفسهم للعمل معتمدين على الذات. وحقل قدراتهم، وبالتالي متطلباتهم، يزداد اتساعاً بقُوَّة. الحُبّ الأوَّل والارتباط بعلاقات جدِّيَّة مع الجنس الآخر - هُو أعلى مجالاً في الإطار العاطفي ولعدة طبقات ممَّا كان عليه الوضع في فترة المراهقة. يستعد العديد من الشباب لخدمة العلم، وهذا الأمر، كما هُو الواقع. يزيد كثيراً من نطاق الأعباء الفيزيائية والنفسية، خلافاً لما هُو الوضع في الأوقات العاديَّة، وبهذا الشَّكل ومن خلال تعميم كل المشكلات الَّتي يواجهها طلاب السّنة الأخيرة، نستطيع القول أين يكمن مضمون التغيرات الَّتي تحدث لهُم. وهذا بحد ذاته بمثابة الدخول إلى ما يُسمَّى الحياة المستقلة، أي، القدرات والإمكانات الكبرى والأعباء النَّفسيَّة الكبرى أيضاً. وبقدر ما يكون الطالب في الصفوف العُليا متزناً من النَّاحية المعنوية، أي كيف يدرك ويتأقلم مع العالم الخارجي، بقدر ما ترتبط قدرته بتحقيق نفسه وإثبات شخصيته في المستقبل. وبالتَّالي لا بد من توضيح الشرط الأساسي لتشكيل رد الفعل الصحيح تجاه العالم المُحيط به، وكيف يجب أنْ يكون كي لا ترتبط شخصيته بالوضع والحصول على فرصة التغلب على المشكلات وتحقيق المهمات المطلوبة منه؟

ولنذهب الآن لدراسة الحساسيَّة كما هي، فيمَ تكمن طبيعة المشاعر؟ وما هي مشاعرنا؟

الحساسيَّة - هل هي خاصة أم صفة بالكائنات الحية أم لا؟ هناك العشرات من النظريات حول أصل الحساسيَّة (المشاعر)، ومحاولة إدراك طبيعتها. ولنحاول أنْ نضع تصوراً جديداً حول طبيعة المشاعر انطلاقاً من الاكتشافات الجديدة الَّتي توصل إليها العلماء في العقود الأخيرة.

في السنوات الأخيرة أصبح العالم يواجه مشكلة علمية - أخلاقية جادة للغاية، وهي استنساخ الإنسان وأي كائن حي. وأذكركم هُنا كيف تَمَّ اكتشاف آليَّة هذا الاستنساخ. في الخلية العاديَّة الطَّبيعيَّة لا تنقسم الحركة الحلزونية الوراثية المزدوجة، وهذا يحدث في الخلايا التناسلية فقط. والكروموزومات في الخلية التناسلية يمكنها أنْ تنقسم. ومن الخلية التناسلية أبعد العلماء الكروموزومات وأدخلوا كروموزومات جديدة إلى هناك، من خلايا طبيعيَّة. والسائل الخليوي الداخلي خرق الكروموزوم وأرغمه على القيام بوظيفته في مجال التكاثر، أي يُمكن لكل خلية في الجسم أنْ تنتج جسداً جديداً. كان يعتقد سابقاً أنَّ أي عمليات تحدث في الخلية يتم تحديدها بواسطة برامج توضع في شيفرة وراثية. وما قام به السائل الخليوي الداخلي مع الكروموزوم يشير إلى وُجُود برنامج التكاثر، إلى جانب المعلومات الوراثية. ولم يتمكن العلماء المعاصرون من تفسير هذه الآلية إلى الآن.

الاكتشاف الآخر هُو - في بداية القرن تَمَّ اكتشاف ما يُسمَّى بالتناقض الظاهري والذي حصل على اسم «آينشتاين - بودولسكي - روزين». ويكمن مضمونه في الآتي: فوتونان ينطلقان من نقطة واحدة، تبين أنهما يحافظان على علاقتهما مع بعضهما بعضاً. وعندما نؤثر على فوتون واحد، نلاحظ ردَّ فعل الفوتون الثَّاني. أي يحصل تأثير وراثي متبادل في الزمان والمكان. ويكمن مضمون التناقض الظاهري (البارادوكسي) في أنَّ هذه العلاقة بدت وكأنها لحظة واحدة فقط. وسرعة هذا الاندفاع يُمكن أنْ تزيد في آلاف، بل ملايين المرَّات على سُرعة الضوء. والتفسير الوحيد المُمكن الَّذي توصل إليه العلماء هُو التَّالي: يُمكن تفسير السُّرعة اللانهائية للتَّأثير المتبادل للفوتونين بشيء واحد فقط: عند انطلاقتهما فيزيائياً فإنهما يحافظان على وحدتهما بدقَّة ومعلوماتياً، حيثُ إدراك الزمان والمكان يُصبح غير ممكن، والأرجح تعود إلى نقطة الانطلاق.

اكتشاف آخر - إذا اقتربت مادَّة فضائية إلى مجالنا، فإنَّ خطوط الطيف تتحول أكثر إلى اللَّون البنفسجي. وإذا ابتعدت المادَّة الفضائية فإنَّ الخطوط تُصبح حمراء. وفي عام ١٩٣٠ اكتشف عالم الفلك «دوبلر» فعاليَّة التَّحوُّل الحمراء. وتبين أنَّ أي مادَّة فضائية تتم ملاحظتها من الأرض تبتعد عنا بسرعة كبيرة. وبالمناسبة فإنَّ الشاعر الأمريكي «والت ويتمان» قد

كتب قصيدة قبل هذا ومعناها كالتالي: «انظر إلى النافذة وأرى السماء، وأرى النجوم، والمجرَّة، وهي كلها تهرب مني، وتذهب بعيداً بعيداً».

وقال «ويتمان» أيضاً: «في أحد الأيَّام استلقيت على العشب، وفتحت يدي ونظرت إلى السَّماء. وفجأة شعرت أنَّ معنى وُجُود الكون ينحصر في الحُبّ».

إذاً، نستطيع من خلال مشاعرنا أنْ نحصل على معلومات ما يحدث في الكون من عمليات وعن أحداث الماضي والمستقبل.

وسوف نعود إلى هذا الأمر لاحقاً.

ومنذ الثلاثينيات أصبح الكون بالنِّسبة للعلماء يبدو مغايراً تماماً. وعوضاً عن الصورة التقليدية الراسخة للعالم ظهرت صُورة الكون المتحركة، المندفعة. وتوصل العلماء إلى نتيجة مفادها أنَّ الكون ظهر من نقطة مُعيَّنة. وهذه العمليَّة أصبحت تُسمَّى بـ«الانفجار الكبير».

وتبيَّن أنَّ هذه اللوحة كانت معروفة للإنسانية منذ آلاف السِّنين. وقد وصفته الفلسفة الهندية القديمة إذاً قبل ظهور الكون، كان المكان والزمان والمادة متحدين في النقطة وكانت طبيعتهم مُختلفة. وكل اكتشاف جديد في السنوات الأخيرة نزع المجد من الأساطير الَّتي تتحدث عن ثبات واستقرار تصوراتنا عن العالم. وحتى بداية القرن اعتقد علماء الفيزياء أنَّ، من حيث المبدأ، أن الشكل النهائي للعالم وصل إلى شكله النهائي ولم يبق إلا بعض التفاصيل الصغيرة. وظهور الفيزياء الكمِّيَّة فيما بعد قد غيرت كل تصوراتنا عن العالم. وتبين أنَّ أي جزء هُو في الوقت نفسه حراً. وفي عام ١٩٠٦ وقبل سنوات عديدة من اكتشاف نظرية النسبية توصل العالم «مينكوفسكي» إلى نتيجة مفادها أنَّ الزمان والمكان والمادة هي عبارة عن كمِّيَّة متصلة متسلسلة واحدة، وبما أنَّها كذلك. فبإمكانها أنْ تتداخل مع بعضها بعضاً. وبعد مرور عدَّة سنوات تَمَّ اكتشاف ما يُسمَّى بالأجزاء الافتراضية. والفراغ يولد الجزئيات وهي تعيش ملايين أجزاء الثَّانية، وبعدها تعود إلى الوراء إلى اللامكان. وتغيرت لدى علماء الفيزياء علاقتهم بالمادة والوجود، وظهرت كائنات جديدة أُخرى، وكل ما كنا نسميه سابقاً المادَّة، تبين أنَّه كائن زمني بنيوي مُحدَّد.

ونعود إلى مسألة المشاعر، بأي شكل يُمكن للمشاعر أنْ ترتبط مع أصل الكون والعمليات الَّتي تحدث فيه؟ إنَّ مشاعر أي كائن حي هي عبارة عن برنامج يفتح في الزمان والمكان. وكلَّما كان مجال المشاعر كبيراً، كلَّما كانت الفرص المتاحة للكائن أكبر في تغيير الأحداث المحيطة به والتأقلم معها. وكل موقف يحدث يعود إلى الزمان والمكان، ويتولد من نقطة من البذرة.

ومهما كان المجال الَّذي تتطور فيه، فهي تحافظ على وحدتها البدائية، أي هناك حنين أو أصل لكل حادثة، والذي يُوجد في برنامج التَّطوُّر في المستقبل. وللتحكم في أي وضع مُعيَّن لا بد أوَّلاً من إعادة صياغته. هناك طريقتان لإعادة الصياغة، الأولى: مقاربة الأحداث الجارية في المجال الفيزيائي الخارجي، وتعميمها بالتدريج، والضَّغط على نقطة المعلومات، أي أنَّ معنى التَّفكير المُجرَّد يكمن في أنَّه للانطلاق في الزمان والمكان تعود الحادثة إلى نقطة البداية.

الطَّريقة الثَّانية للمعرفة - طريقة المشاعر، وهذه عبارة عن تأثير مباشر مع البذرة المعلوماتية البدائية. وهنا، الوعي والتحليل والتقييم لا تلعب أي دور وتستطيع حتَّى أنْ تعرقل وتعيق الوعي. أي، في داخل كل إنسان تحدث عمليتان متعاكستان، فالفكر والوعي يضغطان على الزمان والمكان والمادة في محاولة لحجزهما في نقطتهما. والمشاعر تولد الزمان والمكان والمادة وتطلقها بعيداً جدَّاً. وتلاحظ عمليَّة الانطلاق في أي مادَّة كونية. وبما أنَّ الكون هولوغرافي (مصوَّر تجسيمياً) ليس في المكان فحسب، بل في الزمان أيضاً، وتنفصل في كُلِّ ثانية كل عمليَّة ظهور واختفاء الكون.

إذاً، كلَّما كانت مشاعرنا أكثر وأكبر مجالاً، كلَّما كان مجال الزمان والمكان أكبر. والكثافة المعلوماتية للمشاعر يُمكن أنْ تزيد، وفي النهاية يُصبح لها مجال يشمل كل الكون. وبالتَّالي فإنَّ كل مادَّة تملك معلومات كاملة عن كل الكون وعن كل الأحداث الجارية فيه. وبما أنَّ الإنسان كائن عضوي وهُو بنية مكانية تشمل كل الكون، يُمكن أنْ نفترض أنَّ كل البرامج المعلوماتية موجودة في البنى التناسلية والفيزيائية.

هناك الآلاف المؤلفة من الحقائق الَّتي تثبت أنَّ مشاعر الإنسان والتأثير المعلوماتي المتبادل مع العالم المُحيط به تستمر بعد توقف الوظائف الفيزيائية، أي أثناء الموت الإكلينيكي. وحقائق البصر، عندما يفقد الإنسان بصره، المعاشرة، الاختلاط، ويتفسخ دماغه فإنَّ مشاعره وانفعالاته في المقام الأوَّل تمتلك حقلاً طاقياً.

والشُّعُور الأكثر مجالاً واتساعاً من بين كل المشاعر هُو الشُّعُور بالحب، وكلَّما كان شُعُور الإنسان عالياً، كلَّما كان شعوره بالحُبِّ أكثر، وأصبحت قدرته على إعادة صياغة الزمان والمكان والتحكم بالأحداث الجارية.

إنَّ العُدوانيَّة هي شكل من أشكال الدفاع، وهي تظهر عندما لا يستطيع الكائن الحي التَّحكُّم بالوضع الموجود فيه. إذاً، كلَّما كان شُعُور الحُبّ كبيراً في رُوح الإنسان، كلَّما كانت مشاعر العُدوانيَّة لديه أقل وهي لا تلزمه للتَّحكُّم والتأثير في الأحداث.

إنَّ طلاب الصفوف العُليا يستعدون للدخول في حياة جديدة وهي أكثر اتساعاً ممَّا سبق. وكلَّما كانوا قادرين على صياغة الأحداث وإدراكها بنجاح، كلَّما كانوا قادرين على التَّحكُّم بها.

في المقام الأوَّل يتم إنتاج الوعي عن طريق المشاعر، وكلَّما كان الأستاذ قادراً على إقناع طلابه في الصفوف العُليا بأنَّ عمل الخير الداخلي وشعور الحُبّ هما شرطان أساسيان للتأقلم في الحياة الجديدة، كلَّما كان هذا أفضل لهُم في الواقع. إنَّ الطابع غير الصحيح يُؤدِّي إلى تصرفات غير صحيحة، وإنَّ التَّصوُّر الخاطئ يولد طابعاً خاطئاً.

إنَّ عقيدة الإنسان تنتمي إلى عدَّة مبادئ مهمة:

ما هُو معنى الحياة؟

ما هي السَّعادة؟

كيف تُصبح سعيداً؟

كيف نتصرف في المُجتمع والعائلة؟

كيف نحقق أهدافنا في الحياة؟

كيف نجعل من أنفسنا أفضل؟

إذا كان الطفل يعتقد أنَّ معنى الحياة وجوهرها يكمنان في القيم المادِّيَّة فإنَّ مشاعره وقدراته الإدراكية سوف تتقلص وتنحصر فيما يعتقده، وهُو منذ البداية يتمتع بقدرة تأقلم منخفضة تجاه العالم المُحيط به ويرد بأفكار وتصرفات عُدوانيَّة تجاه أي موقف كان.

إذا اعتقد طلاب الصفوف العُليا أنَّ هدف وجوهر الحياة يكمن في تطوير قدراتهم ومداركهم، فإنَّ طيف مشاعرهم سيكون أكبر طبعاً، ولذا فإنَّ مُستوى السَّعادة وقدرات التطوير والتأقلم مع العالم المُحيط لديهم يكون مرتفعاً.

إلا أنَّ عقل الإنسان والقدرات والمنطق مهما كان نطاقها، ترتبط بالتحكم ومراقبة حجم ليس كبيراً من الزمان والمكان. لذلك في العمليات الشاملة لا يُمكن لتأقلم ذلك الإنسان أنْ يكون عالياً ونراه عدوانياً تجاه العالم المُحيط. وكذلك الحال مع الأعمال العُدوانيَّة إذ تكون أكثر، وأما العواقب فتكون وخيمة، وهؤلاء الأشخاص يُمكن أنْ يصابوا بأمراض مُزمنة. وإنَّ أي شُعُور عدواني سيعود لاحقاً في الزمان والمكان كبرنامج تدمير للعالم المُحيط. وكلَّما كان الشُّعُور العدواني طويلاً أي امتد لفترة طويلة، كلَّما أصبح نطاقه أكبر في الزمان والمكان، وتكون كثافته المعلوماتية أعلى.

إنَّ الوحـدة في المُسـتوى الطـاقي تُـؤدِّي إلى أنَّ برنـامج التـدمير الـذاتي، أي الشُّـعُور العدواني، يكون مُوجِّهاً نحو شخص آخر، ويعود من جديد ويبدأ بتدمير المصدر ذاته.

إذاً، إنَّ المعتقدات الَّتي تجعل من القيم المادِّيَّة أو الرُّوحيَّة هدفاً أساسياً لها، تحمل في طياتها عدواناً ومشكلات في المستقبل.

وحتى إذا وضع الإنسان الأفكار والمثل الأخلاقية والحب تجاه شخص آخر أو تجاه مجموعة هدفاً له، فإنَّ إدراكه الشعوري للكون يكون محدوداً، وهذا يعني عدواناً محتملاً.

وبقدر ما يدرك الشاب أنَّ هدف وجوهر الحياة يكمن في المقام الأوَّل في الوُصُول إلى مُستوى للشعور بالحُبِّ والذي ظهر منه الكون، بقدر ما ستكون أهدافه الأخرى واللاحقة مرتبطة مع الأهداف الأساسيَّة وعندئذ فإنَّ قدراته للتأقلم ومعرفة العالم ستكون مرتفعة جدَّاً.

كلَّما كانت مجالات مشاعر الحُبّ شاملة، كلَّما كانت كثافتها المعلوماتية أعلى، وهذا يعني أنَّ الشُّعُور بالحُبِّ مع تدمير الغلاف الفيزيائي للإنسان يستمر بالوجود. وخلاف ذلك نحن نفقد القيم المادِّيَّة والروحية مع تقدمنا في العمر والموت. لذلك فإنَّ الرغبة بجعل جوهر الحياة يكمن في تراكم القيم المادِّيَّة أو الرُّوحيَّة منذ البداية تحمل في طياتها ضرراً نفسياً، وجهداً غير محتمل.

وبالتَّالي فإنَّ سعادتنا المادِّيَّة ومستوى قدراتنا ومداركنا ومستوى قدراتنا الرُّوحيَّة والقدرة على التَّحكُّم وقيادة العالم المُحيط تتحدد بمجال مشاعرنا وفي المقام الأوَّل بقدرتنا على الشُّعُور بالحُبِّ.

مفهوم وتصنيف حالات الضَّغط
في حيـاة طلاب الصفـوف العُليـــا

إنَّ مؤسـس مفهـوم كلمـة «الضَّـغط» ويـدعى «غـانس سـيلي» كتـب في البدايـة أنَّ «الضَّـغط - هُـو المـوت». ومـرت سـنوات وتوصـل مـن خـلال أبحاثه المتعاقبـة إلى مفهـوم متنـاقض عمَّا قاله سابقاً: إذ قال: «الضَّـغط هُـو الحيـاة». وهـذا يعني أنَّ الخطـر الأساسـي لا يكمـن في آليَّـة الضَّـغط ذاتهـا، بـل في العلاقـة غـير الصـحيحة تجـاه مـا نـدعوه بالضـغط، إذا كانـت الأحداث الجاريـة تشـكل بالنِّسـبة لنـا خطـراً، فسـوف تظهـر لـدينا حـالات مـن الضَّـغط تقـوم بتحريـر احتيـاط الجسـد الـداخلي. وتسـاعده علـى الحيـاة مـن جديـد. وفي المقـام الأوَّل يحفـز الجُهـد ويـدفع إلى القيـام بأعمـال نشـطة وإلى الـتغيرات الدَّاخليَّـة علـى الحيـاة بمعناهـا الاستراتيجي على الآفاق المستقبلية.

أجرى الباحثون دراسات عديدة حول هذا الأمر، ففي تجمعات الأجسام الدقيقة تبلغ كمِّيَّة الطفرات ٢-٣٪ كحد أوسط. وبشكل عام تكون غير قادرة على الحياة، وقد يصل عددها إلى ٣٠٪. ويرى الباحثون ويؤكدون أنَّه من دُون التغيرات السَّلبيَّة التدريجية على سطح الأرض لما أصبح الإنسان إنساناً. وإذا لم يكن موجوداً فهُو ميت، ولكن إذا جاع تدريجيَّاً وبشكل مرحلي فسوف يعيش أكثر ممَّا هُو معتاد. إذاً، الضغط النفسي ضروري ليس لتأقلم الإنسان مع عالمه المُحيط فحسب، بل هُو ضروري لتطوره، بقي أنْ نشرح في أي حالات يكون فيها الضغط النفسي خطراً وفي أي حالات يكون مُفيداً.

هناك ثلاثة أنواع من الضغط النفسي، الضغط النفسي كحالة مُؤذية في الحاضر، و الضغط النفسي كحالة مُؤذية في الماضي أو كحالة ندم، و الضغط النفسي كحالة خوف من المستقبل ولنستعرض الحالة الأولى من الضغط النفسي.

أجرى المفكر ابن سينا في العصور الوُسطى التَّجربة التَّالية، قام بربط ماعز مكتنزة الصِّحَّة وأبقاها بعيدة عن ذئب لمسافة خمسة أمتار. بعد ثلاثة أيَّام ماتت الماعز. مثال آخر،

أنجبت الماعز حملاً ميتاً، ولم يكن هناك شيء يُساعد على إنقاذها، وقاموا بإعطائها حملاً من ماعز أُخرى فبدأت بإطعامه وقام على قدميه وعاش، المثال الثَّالث:

قطيع من القرود يخاف من مكان ما، كانوا فزعين جدَّاً ويهربون بعيداً عن هذا المكان. ربطوا قرداً واحداً بحيث لا يُمكنه الهرب ولا يستطيع التحرك. ونتيجة لهذا أصيب القرد بنوبة قلبية.

ماذا حدث في الحالة الأولى؟

يحرر الضغط النفسي الجسم من القوى الدفاعية ويدفع الجسد إلى اتباع نظام مزيف، ولكنْ إذا امتد طويلاً فسوف يكون هناك إنهاك عصبي للطاقة يُمكن أنْ يُؤدِّي إلى الإصابة بالمرض أو الموت. يعني، أنَّ القدرة على الخُرُوج في الوقت المناسب من حالة الضغط النفسي تتيح الحفاظ على الصِّحَّة والقوة للتطور في المستقبل ولهذا ليس غريباً، إذ يحدث لدى الإنسان في مثل هذه الحالات وكأن هناك لصاً يقف على مسافة بعيدة منه يريد أنْ يسلبه شيئاً غالياً.

لدى كل واحد منا هناك حالات تهدد حياتنا بشكل مباشر وغير مباشر. وتهدد صحتنا وشخصيتنا وسعادتنا. وإذا غيرنا نظام حياتنا بالتدريج وغيرنا الحالات الَّتي نحن موجودون فيها فإنَّ الضغط المؤذي يتحول إلى ضغط مُفيد. وأولئك المهتمون بالجولات والرحلات السياحية والسفر إلى الطبيعة ومزاولة الرياضة فإنَّهم يتخلصون من الجُّهد ومن الأحداث السَّيِّئة المرتبطة بالمنزل أو العمل. أي - يُمكننا التَّحكُّم بالضغط ويمكننا تحويله من سم زعاف إلى دواء ناجع.

ولنتخيل الحالة التَّالية: قمنا بربط ذئب، بحيث لا يستطيع الحراك أبداً، ووضعنا الماعز فوق ظهره، أو ربطناها أمامه مباشرة، هُنا يذهب الضغط النفسي لدى الماعز مُباشرة وبسرعة، وتبقى حية لأنَّ الذئب لن يكون رمزاً للموت بالنِّسبة إليها، بل كائناً عادياً. في البداية يكون الضغط النفسي عظيماً جداً، لكنْ يخف مع الوقت، ومن ثُمَّ تتغير العلاقة تجاه مصدر الخطر، إذاً، يُمكن تغيير العلاقة تجاه الضغط النفسي.

إذا تشكل لدى الإنسان اقتناع مفاده أنَّه لا بد من الهرب أو التَّخلُّص من الضغط، فإنَّ هذه الطَّريقة يُمكن أنْ تخلق له المشكلات.

تصوروا أنَّ لديكم زميلاً في العمل لا يعجبكم مطلقاً، هنا، لا يُمكنكم ترك العمل ولا يُمكنكم تحمل وُجُود هذا الزميل معكم. وإذا استمر الحال على هذا المنوال لفترة طويلة فإنكم ستعانون كثيراً صحياً وبدنياً ونفسيَّاً. والآن تخيلوا: إنكم تحددون الأشياء الَّتي لا تعجبكم في هذا الشخص، بعد ذلك تقربوا منه وابدؤوا الحديث معه. حاولوا معرفة أشياء

أكثر عنه وعن عائلته، وقوموا بهذا حتَّى ظهور شُعُور دافئ لديكم. تخيلوا هذا الإنسان على أنَّه طفل صغير. ماذا ينقصه وما الأشياء الَّتي لم يقدمها له أهله. وما إنْ يُصبح هذا الشُّعُور الَّذي تولد لديكم مستقراً، فإنَّ الجُّهد سيزول عنكم، إذاً، إنَّ الحفاظ على دماثة الخلق الدَّاخليَّة والقدرة على العثور على الملامح الإيجابيَّة في أي شخص تتيح لنا تغيير علاقتنا ونظرتنا بالضغط وبالتَّالي التخفيف من حدته.

وتصوروا الآن أنَّ محاولتكم الحديث مع هذا الشَّخص انتهت بالشتيمة والسب من قبله. وليس غريباً أنْ تروا ظهور دماثة خلق داخليَّة وشعور مريح، وفي اليوم التَّالي ستمرون مرور الكرام أمام هذا الشَّخص وبكل هُدُوء. لماذا حدث ذلك؟ لأنَّ ما تعانون منه داخلياً لفترة طويلة قد ظهر إلى الخارج، أي حاولتم التَّحكُّم بحالة الجُّهد. وإذا أخذت الماعز بالثغاء من الخوف باستمرار، لم تكن لتموت. إنَّ التقييم السَّلبيّ المُستمرّ للحالي يُمكن أنْ يُؤدِّي إلى الإصابة بالأمراض وإلى التقليل من الزخم الإبداعي، وبعبارات بسيطة، نقول إنَّ الإنسان يُمكن أنْ يرى الذئب هناك، حيثُ لا وُجُود له، وبالنتيجة فإنَّ التقييم القاسي للناس وللعالم المُحيط، والتركيز على الجوانب السَّلبيَّة في الحياة يُمكن أنْ يُؤدِّي إلى الجُّهد المُستمرّ، ومن ثُمَّ إلى المرض والتقليل من القدرات الرُّوحيَّة.

ننتقل إلى الحالة الثَّانية، إنَّ جسم الحيوان ضعيف بسبب جنسه، والكائن الحي هُو عبارة عن تجمعات أو مستعمرات من الخلايا الَّتي تحدث فيها متغيرات دائمة لكنها تكون تحت السَّيطرة وتقوم بمهمات ووظائف محددة. لكنْ إذا كان مجال عدم الاستقرار يفوق قدرة تحمل الوظائف، فإنَّ الجسم سيعيبه المرض أو يموت. وفي تلك الحالة فإنَّ الماعز يجب أنْ تموت، إذ إنَّ مُستوى التغيرات في جسمها فاق الحُدُود المسموحة. وعندما أعطوا الماعز الحمل الجديد من ماعز أخرى، ظهرت لديها مشاعر الحُبّ تجاهه، الخلاصة: إنَّ احتياط دماثة الخلق الدَّاخليَّة والحب والدفء في أنفسنا تحددها قدراتنا في التغلب على الجُّهد. إذاً، إنَّ شخصيتنا مرتبطة بقدراتنا في تحديد ذلك الجُّهد.

إنَّ الأشخاص المرضى وذوي الطباع الحادة يحاولون دائماً إخفاء مشاعرهم الطَّيِّبة الدافئة، ويقللون من قدراتهم، إنْ كان تجاه التأقلم أو إدراك العالم المُحيط بهم، وعاجلاً أم آجلاً فإنَّ العُدوانيَّة الدَّاخليَّة وكتمان مشاعر الحُبّ ودماثة الخلق ستضر بالصحة الجسدية والنفسية بالتقليل من قدرة الإنسان الإبداعية، وفي المكاتب، حيثُ يكون الأشخاص في حالة ضغط نفسي وتوتر مستمرين فإنَّ الجناة أوَّل مَنْ يموت. وآخر مَنْ يموت الاستقراطيون والمؤمنون أي أولئك الأشخاص الَّذين يعتقدون أنَّ الحافظ على احتياط مشاعر الحُبّ الدَّاخليَّة

هُو من مبادئهم الأساسيَّة. خلال سنوات عديدة أجرى الباحثون الأمريكيون دراسات كثيرة، وحاولوا تفسير سبب الآلام القوية في مُحيط المعدة لدى الأطفال في سنواتهم الأولى. تمت معاينة آلاف الأشخاص. وتبين أنَّ هذه الآلام تصيب أولئك الأطفال الَّذين كان أهلهم شديدي العصبية وكان يصيبهم القلق أثناء فترة الحمل. إذاً، المشاعر السَّلبيَّة غير المتغلبة على الضغط الَّذي يعاني منه الأهل قبل الولادة وأثناء الحمل تنتقل إلى الأطفال مُباشرة.

والدراسات الَّتي قمت بها أشارت إلى أنَّ الضغط غير المسيطر عليه في فترة الطفولة والمراهقة يُمكن أنْ يُؤثِّر سلبيَّاً على الشَّخصيَّة وصحة ومصير الأطفال. وتم اكتشاف آليَّة جديدة للتنظيم الذاتي، إذا ركز الإنسان على مشاعر الحُبّ وإذا تخلص من جديد من حالات الإجهاد، فإنَّ التغيرات الدَّاخليَّة الجيدة لن تحدث في رُوح الأهل فقط، بل في رُوح أطفالهم أيضاً. وباستخدام هذه الآلية يستطيع الأهل مُضاعفة قدرات الأطفال في مجال التغلب على حالات الضغط. زد على ذلك، وبالعمل على أنفسهم، يستطيع الأهل في العديد من الحالات أنْ يساعدوا أطفالهم في التَّخلُّص من الأمراض الفيزيائية وحتى النَّفسيَّة أيضاً.

ويُعَدُّ المرض مساعداً في بعض حالات الضغط. والمرض الفيزيائي أو النَّفسيّ يزعزع استقرار حالة الجسم. ويحدث استبدال ضغط من قبل ضغط آخر. وعلى خلفيَّة المرض يمر الضغط ويتم قبوله بهدوء أكثر. إذاً، إنَّ القدرة على التغلب على أي ضغط، وزيادة دماثة الخلق والاستعداد لإعطاء المشاعر الدافئة للآخرين - هي كلمات وسلوك واهتمام بالآخرين - وبالتَّالي عند مراكمتها في اللاوعي وعند تغيير سلوكنا، يساعدنا هذا فيما بعد في التَّخلُّص والشفاء من العديد من الأمراض.

ولننتقل إلى الحالة الثالثة، يختلف الكائن الحي عن الكائن الجامد برد الفعل على البيئة المحيطة. وأي تغيير في البيئة المحيطة يثير لدينا مشاعر إيجابيَّة أو سلبيَّة. إذاً، إنَّ الحالة النَّفسيَّة للقرود في حالتنا هذه يهددها عدم الاستقرار البدني. وللحفاظ على الراحة الدَّاخليَّة ولت القرود هرباً. وإذا لم تستطع القرود فعل شيء فإنَّ الضغط النفسي المتواصل يثير مشاعر الخوف والحقد أو حتَّى عدم الرغبة في الحياة. وسبب النوبة القلبية كان يكمن في المشاعر العُدوانيَّة السَّلبيَّة.

ماذا يحدث في حياة الإنسان؟

لنتخيل مثلاً أنكم أسأتم إلى شخصين، الأوَّل - يعبر عن رفضه ويستنكر ذلك، ويحاول تغيير الوضع، وكلَّما قام بمحاولات أكثر وحاول بنشاط أنْ يوقف أسباب ما حدث، كلَّما كان لديه مشاعر سلبيَّة أقل. الثَّاني - سوف يغضب ببساطة، دُون القيام بشيء، وفي

النَّتيجة يُمكن أنْ يمرض. وبالتَّالي، إنَّ التغلب على الجُّهد يرتبط بالقدر الَّذي نكون فيه عمليين، وبالقدر الَّذي نرفض فيه المشاعر السَّيِّئة السَّلبيَّة في حالات مُختلفة. والدراسات الَّتي قام بها الباحثون الأمريكيون حول إطالة الحياة أشارت إلى أنَّه في جميع حالات إطالة العمر هناك عاملان اثنان - دماثة الخلق واللُّطف والعمل النشيط، وهاتان الصفتان تحديداً ضروريتان للتغلب على حالات الضغط النفسي المُختلفة.

المشاعر السَّيِّئة العُدوانيَّة هي محاولة للدِّفاع الذاتي، وهي كأنها رغبة في تدمير موضوع الضغط النفسي. وبالتالي، إذا تعلم الإنسان الدِّفاع عن نفسه، عندئذ ستكون لديه آلام أقل وعواقب للضغط النفسي غير المُستمرّ. ولنفترض أنَّه عندما نقوم بشراء شقة تعرضنا للغش. وإذا كنا لا نعرف ماذا سنفعل، فإننا سنشعر بالحزن والحقد. وإذا عرفنا القوانين عند استشارتنا لمحامٍ مثلاً، أو أصدقائنا، فيما يخص ماذا سنفعل حيال ذلك، فإنَّ دفاعنا من المشاعر العُدوانيَّة الخطرة سيتحول إلى نظام للأعمال المقصودة. وهناك عنصر آخر مهم أيضاً. إذا كُنت قد توقعت كل الاحتمالات الممكنة، حتَّى إذا حدث شيء غير متوقع من قبلي، فإنني أستطيع التغلب بسُهُولة على الجُّهد والتوتر. إذاً، إنَّ أحد شروط التغلب على حالات الضغط والتوتر هُو الاستعداد لمواجهته.

وكلَّما كُنت آخذ بالحسبان في حياتي حالات الجُّهد والتوتر كشرط أساسي للتطور كلَّما كُنت مستعداً سلفاً لمواجهتها.

منذ مئات السِّنين وعندما تعرض أشخاص في مركب لدوامة بحرية وبعد عدَّة أيَّام ماتوا، تبين فيما بعد أنَّهم ماتوا من الجوع. والآن، وعندما عرف النَّاس أنَّ الجوع (الصيام) يُمكن أنْ يكون مفيداً، حصلوا على معلومات عن كيفيَّة الجوع بشكل صحيح، ٢٠، ٤٠، ٥٠، ٧٠ يوماً من الصيام لا يُؤدِّي إلى إنهاك جسدي مضر. وهناك حقيقة تقول إنَّه أثناء الصيام إذا بدأ الشَّخص بالعصبية والقلق، فإنَّ الصيام سيلحق الأذى به، ومن الأفضل عندئذ أنْ يتوقَّف.

إنَّ عدم القدرة على التغلب على حالة جهد وتوتر واحدة تنعكس على جميع الحالات، والعديد من النَّاس الَّذين يواجهون حالة توتر واحدة، يعانون من مشاعر عُدوانيَّة تُعَدُّ عدواً أساسياً لتأقلمنا مع العالم، ويشعرون بذلك في كُلِّ الحالات.

إذا أدان الإنسان بقسوة أهله، فإنَّه يبدأ يتعامل كذلك مع كل النَّاس. وغالباً ما يكون اعتقادنا وتفكيرنا مصدر التوتر، وإذا كنا نبحث دائماً عمَّ هو إيجابي، فإنَّ هذا سيخلق حتماً مشاعر عُدوانيَّة ويقلل من قدرتنا على التأقلم. وفي عصر عبادة الفرد لدينا عرف النَّاس المعلومات عمَّ يجري من أحداث حقيقية، وكانت كل البلاد في حالة توتر وجهد.

وكان، رد الفعل هُو محاولة إدانة أحد قادة البلاد في كُلِّ ما جرى، وهُو ستالين. وظهرت المشاعر العدائية والاحتقار والاستنكار والحقد والكره. وهذا التَّوتُّر غير المسيطر عليه تحوَّل فيما بعد إلى عواقب سلبية، وأعلن الباحثون بعيدو النَّظر أنَّه لا ناقة ولا جمل هُنا لستالين. وأحد القادة وهُو تروتسكي كان أيضاً إنساناً قاسياً. وتبين أنَّ ستالين لم يخرق أي مبدأ من المبادئ التي قام بوضعها لينين. وبدأت الاتهامات تتجه نحو لينين، واتَّضح أنَّ المعلومات حوله كانت مُزعجة جداً. ثُمَّ تبين أنَّ لينين كان يتصرَّف بالفعل حسب ذلك البرنامج أو الخطة الَّتي وضعها ماركس وإنجلز، والآن فقط أصبح العديد من النَّاس يدركون أنَّ سبب ما حدث في البلاد من بؤس، ليس من مسؤولية شخص أو مجموعة أشخاص، بل من مسؤولية النظرية الشيوعية، وبالتَّالي نظرتنا عن العالم والإنسان.

قال الهنود القدماء: «ليس هناك أشخاص، بل أفكار». وبالتالي، إنَّ التَّصوُّر الصحيح عن العالم المُحيط والدفع أو النبض المتطور لإدراك العالم يحمل في طيَّاته التغلب والسيطرة على حالات التَّوتُّر الَّتي تحدث على نطاقات واسعة.

إنَّ دراسة المعتقدات الدِّينيَّة والفلسفية تساعدنا في التغلب على إدراك العالم. أي، كل ما أراه سيئاً اليوم، قد يبدو غداً مُفيداً. ومثل هذا القول يساعدنا على عدم الشُّعُور بالسلبية ويحافظ على اللُّطف ودماثة الخلق في أي حالة، بقدر ما هُو ضروري أيضاً للتغلب على حالات الإجهاد والتَّوتُّر.

يختلف الإنسان عن الحيوان في أنَّه يستطيع التَّفكير بشكل مطلق. ولهذه العمليَّة لا بد من توفر ذاكرة متطورة وخيال. وتساعدنا الذاكرة عند تحليلينا لأحداث الماضي، ونتائجها في الحاضر، على القيام بتعميم يتيح لنا إدراك العالم ويزيد من قدراتنا على التأقلم فيه. ويتيح الخيال الواسع لنا أنْ نعيد صياغة المستقبل، وكلَّما كان خيالنا يعمل بشكل نشيط كلَّما كنا قادرين على صياغة أشكال أفضل، وكلَّما كنا أكثر تفهماً للمستقبل، لكنَّ التَّوتُّر يُمكن أنْ لا يحدث في الأحداث الحاضرة فقط، فأحياناً يمتد إلى الماضي أو إلى المستقبل.

في الحالات غير الجيدة الَّتي تحدث معنا نستطيع محاولة تغيير هذه الحالات أو علاقتنا ونظرتنا إليها. وإذا كانت هذه الحالة في الماضي، فإنَّ تغييرها غير ممكن، وعندها يتبقى لنا فقط تغيير نظرتنا إليها. وإذا حافظنا على مشاعرنا ورغبتنا في تغيير الوضع متأسفين على الماضي، دُون أن نقبله، سيظهر عندنا عبء نفسي. وإذا كان الإنسان يعمل طويلاً في نظام العبء الجسدي أو النَّفسيّ ويكون لديه عندئذ مشاعر إيجابيَّة ضئيلة، يُمكن أنْ يبدو ذلك التَّوتُّر غير مسيطر عليه ومهيمن ويؤدي إلى عواقب خطرة. إنَّ وضع المهمات غير المسيطر عليها

والرغبة الملحة في تنفيذها يُؤدِّي إلى التدمير الجسدي أو النَّفسيّ. والأعباء النَّفسيَّة خطرة أكثر من الجسدية. وهي تتراكم لا شعورياً، لكنَّ العواقب هذه نشعر ونحس بها في أنفسنا لفترة أطول. ويُمكن لهذه العواقب أنْ تمتد سنوات وحتى عشرات السِّنين. قبل «سيغموند فرويد» كان يعتقد أنَّ المشاعر الظاهرة تختفي دُون أثر، إذا اختفى العامل المحفز لها. وإنَّ أبحاث فرويد ويونغ وغيرهما أثبتت أنَّ الإنسان يمتلك مُستوى متعدد الطبقات من المشاعر. وهناك مشاعر سطحية، ومتفاعلة مع الأحداث من حولنا. وهناك مشاعر عميقة لا نرتاب فيها. لكنَّ أهميتها يُمكن أنْ تكون كبيرة، أكبر من المشاعر السطحية. واكتشف فرويد أنَّ لمشاعرنا قُوَّة استمرار ضخمة وباختفائها ظاهرياً، يمكنها أنْ تعيش لسنوات في لاوعينا. وإنَّ قُوَّة استمرار المشاعر ضرورية للقيام بآلية الذاكرة. ودون ذاكرة متطورة لا يُمكن أنْ تكون هناك آليَّة للتفكير. وفي أساس التَّفكير هناك آليَّة لمقاربة اثنين أو أكثر من القيم في الزمان والمكان. وإذا قيَّمنا الوضع دُون أنْ نحلل أو نجري مقارنة. يحدث توقف للفكر.

أجرى علماء النَّفس السوفييت التَّجربة التَّالية: وضع العلماء يدي المريض في الجبس الَّذي تجمد فيما بعد. بعد ذلك مر أمامه أصدقاؤه وأقاربه ولم يعرفهم. وتبين أنَّ عمليَّة التَّعرُّف والاختلاط، أي عمليَّة التَّفكير مرتبطة تماماً بآلية المشاعر. وذلك المريض بالكاد تعرف على وجوه أقاربه. وهذه النتائج وتلك التَّجربة ظهرت نتيجة المراقبة التَّالية:

إنَّ الآلية الأساسيَّة للذاكرة تكمن في مشاعرنا وأحاسيسنا. ودون الذاكرة الحسية لا يُمكن أنْ تتطور الذاكرة الفكريَّة. وكل أحاسيسنا مرتبطة بالعالم المُحيط بنا وتتيح لنا التأقلم فيه.

ولدى أي كائن حي هناك فترتان من الأحاسيس. الأولى: تشكل البنى المعلوماتية للكائن الحي، والثانية تشكل البنى الفيزيائية. وكلَّما كان الإنسان يشعر بالحُبِّ فهُو يستمر في الحفاظ على هذا الشُّعُور ويزيد من قُوَّة استمراره، وبالتَّالي ستكون لديه القدرة على إدراك وتطوير العالم المُحيط به.

إذاً، إنَّ الشُّعُور بالحُبِّ يُمكن تسميته بالمصدر المعلوماتي الأساسي لأي كائن حي في الكون. لكنْ هناك أحداث تحدث في الكون، وأحداث تحدث في المجرة ...إلخ. وهناك أحداث تحدث ليست بعيداً عنا. لكنَّ هذه الأحداث وتلك، ضرورية لنا. والفرق يكمن في الزمن فقط.

ولنرجع إلى الماضي. إذا كان الإنسان يعطي تقييماً سلبيَّاً للوضع في الحاضر، فإنَّ هذا شُعُور عدائي مؤقت، إذ إنَّ أي تقييم سلبيّ يشمل آليَّة العدوان. والآن يُعَدُّ الشُّعُور العدواني

خطراً، لكنْ ليس كبيراً. إذا قيَّمنا مجموعة من الأشخاص أو الدولة أو كل الإنسانية بشكل سلبي، فإنَّ تشغيل آليَّة العدوان مؤقتاً يُمكن أنْ يكون خطراً للوضع الجسدي والنفسي. ولكنْ إذا أعطينا تقييماً سلبيًّاً حسياً لأحداث الماضي، أي نحتقر، ندين، نأسف، فإنَّ العدوان تجاه شُعُور الحُبّ يزيد مئات، بل آلاف المرَّات. وأي توتر يُصبح مهيمناً علينا. لذا فإنَّ أي مشاعر سلبيَّة مرتبطة مع حالة في الماضي يُمكن أنْ تقلل من قدرتنا على التأقلم في الحاضر. والتَّوتُّر الَّذي يكون عادة مرتبطاً بأحداث المستقبل هُو مشاعر الخوف وعدم الثِّقة. وهل تُؤثِّر هذه المشاعر على وضعنا البدني والنفسي؟

ولنستعرض الآن الشُّعُور بالخوف ذاته. عادة، يرتبط هذا الشُّعُور بخطر غير مباشر على حياة الكائن الحي، أي يرتبط بعمليات متسارعة مؤقتة. يقفز الفهد على القرد كي يفترسه ويلتهمه، ويظهر لدى القرد شُعُور بالخوف. شُعُور الخوف هذا مرتبط بقُوَّة مع الشُّعُور بالكره والحقد والرغبة في القضاء على الفهد. ومبدئياً إنَّ أي شُعُور بالخوف يشمل في طيَّاته الكره والرغبة في تدمير الهدف الَّذي أثار الشُّعُور بالخوف. لذا فإنَّ القلق الكبير و الخوف من المستقبل هُو عبارة عن مشاعر عدائية حالية تزيد بألف مرَّة من مجالها. والإنسان الَّذي يخاف من المستقبل يدمر نفسه بشكل ليس أقل ممن يأسف ويندم على ماضيه. وبالتَّالي، إنَّ أحد شروط التغلب على التَّوتُّر الرَّئيسيَّة هُو العلاقة الصحيحة تجاه العالم المُحيط وتجاه أحداث الماضي والمستقبل.

إنَّ جسد طلاب الصفوف العُليا يستعد للتغير التام في نظام الحياة، ومن المُمكن مفارقة الأهل لمتابعة الدِّراسة في الجامعة أو الخدمة في الجيش. وهناك أيضاً مفارقة زملاء الدِّراسة. ويتحول نظام المدرسة الهادئ بما فيه الكفاية والبطيء إلى تغيير حاد في الوضع في المعهد العالي أو في العمل. وعلى أغلبية طلاب الصفوف العُليا أنْ يؤدوا الخدمة العسكرية، حيثُ الأعباء البدنية والأخلاقية حتمية تماماً. وعادة وفي هذه المرحلة تحديداً، ١٥ - ١٨ سنة، يأتي الحُبّ الأوَّل. ويستعد طلاب الصفوف العُليا ليصبحوا مستقلين، ويستعدون للدِّفاع عن مصالحهم وتحقيق أهدافهم وغاياتهم، ولا بد في مكان ما من الدخول في مشاجرة مُعيَّنة.

أوَّل الأشخاص الَّذين يُمكن أنْ يمدوا يد العَوْن له، هُم الأهل. إذا كان الأهل يتخذون مواقف صحيحة، من خلال مُساعدة طفلهم وتطوير علاقاتهم ليس العائلية فقط، بل علاقات الصداقة معه بالتواجد المُستمرّ قربه، فسوف يشعر بمساندتهم له في أي حالة توتر، وهذا يُساعده في تقوية جهازه العصبي ويوسع من أفق قدراته. وإذا حاول الأهل قمع أي سلوك غير

صحيح من وجهة نظرهم، معتقدين أنَّهم يرشدونه إلى الطريق الصحيح، فإنَّهم يلحقون الأذى والضرر به. والتربية - هي عمليَّة مستمرة، أو كما يقال نقطة نقطة، وليس كل شيء دفعة واحدة.

وعندما يسعى الأهل لإدراك ما يحتاجه الطفل، فإنَّ هذا التعاطف والتواجد معه، والذي لا يخلو من توجيه الانتقادات لبعض التصرفات غير اللائقة، يُساعد كثيراً في جميع تصرفاته. وإذا لم يكن الأهل يرغبون في فهم ما يحدث مع طفلهم ويبتعدون عنه، فإنَّهم يعرضون الطفل لحالات من الجُّهد والتَّوتُّر. ولا يركز الطفل على الشُّعُور بالحُبِّ والصداقة تجاه أهله، بل يحاول أنْ يعتمد على نفسه. وهذا يُؤدِّي إلى الأنانية والقسوة تجاه الأشخاص المُحيطين به. وإذا حاول الأهل إظهار تفوقه دائماً على طفله، فإنَّ هذا يقمع قدرته الأساسيَّة على التغلب على أي حالة توتر. إنَّ إذلال وتوبيخ الطفل وإظهار التَّفوُّق عليه ليست أساليب تربوية، بل تركيز غير صحيح على القُوَّة والذهن.

وبقدر ما يكون الطفل محمياً داخلياً من التَّوتُّر ويملك قُوَّة استمرار كبيرة من مشاعر الحُبّ واللطف، بقدر ما يُصبح من الصعب التَّحكُّم به. ولا يحتاج هُنا إلى توجيه الأوامر إليه، بل لا بد من مصادقته. والعديد من الأهل لا يريدون رؤية الصديق في أبنائهم، الصديق الَّذي يُمكن محادثته، بل يريدون رؤية العبد الَّذي يتعلق ويرتبط بهم وينفذ أوامرهم. وعوضاً عن الحُبّ واللُّطف يحصلون على الإحساس بتفوقهم وأهميتهم. وكل عمليَّة التّربية تُؤدِّي عندئذ إلى تعزيز ارتباط الطفل بأهله، والرغبة في القيام بنسخة دقيقة مماثلة تماماً لأنفسهم. لكنْ من أجل هذا لا بد من تدمير العائق الأساسي لدى الطفل وهُو الشُّعُور بالحُبِّ واللُّطف. إنَّ الرغبة في وضع الطفل بحيث يكون متعلقاً بذاته موجودة لدى كل الأهل.

obeikandl.com

التَّحكُّـــم بالوضـــع

لاحظت في الفترة الأخيرة حالة مثيرة بشكل خاص: إنَّهم يحجبون عني أي محاولات للتَّحكُّم بالوضع.

وبعد إجراء تحليل بسيط أدركت أنَّ هذا ما هُو إلا محاولة إنقاذ بسيطة. لا بد لي من الاهتمام بأي وضع، وكم تزداد الرغبة للتَّحكُّم به تماماً. وغالباً ما كان يروي المرضى لي عن رغبتهم المفاجئة في ضرب أحد ما بيدهم أو بسكين إذا كان في أيديهم. وكانت لدي مثل هذه اللحظات فعلاً. وكنت أعدُّ هذا شذوذاً في شخصيتي. وأفهم الآن هذه الرغبة المتزايدة على التَّحكُّم والهيمنة على الآخرين والرغبة في تدمير أو القضاء على مَنْ لا يخضع لي. عندما تركز على إرادتك، وعلى رغباتك، وتنسى الإرادة الإلهية. لهذا يكون الامتناع عن الرغبة في الديانة البوذية من أحد شروط تحقيق صحوة العقل. أي، لا بد من التَّعلُّم على مشاركة العالم المُحيط بنا، وليس التَّحكُّم به والهيمنة عليه. وغالباً ما أشرح للمرضى أنَّ الرغبة في الهيمنة على المُحيطين بنا على المُستوى الخارجي يتيح لنا تطوير وتوسيع قدراتنا. إنَّ الرغبة في الهيمنة والتحكم بالمحيطين بنا على المُستوى الداخلي يُؤدِّي إلى المرض والموت.

منذ فترة قصيرة تحدثت مع زملائي حول المشكلات الَّتي ظهرت لدى صديقنا. فقلت:

- إنَّ شُعُور التعجرف لديه مرتفع جداً، وإحساسه هُو كالتالي، إنَّه أسمى من الآخرين، وهذا عاجلاً أم آجلاً سيفقده كل شيء. واقترحت عليهم: لنستعرض عشوائياً لدقة التَّجربة مُستوى الاعتزاز بالنَّفس لدى أربعة أشخاص، بما فيهم نحن الاثنان.

قلت أنا:

- الأول، كل شيء طبيعي لديه.
- لدى الشَّخص الثَّاني بدا مُستوى الاعتزاز بالنَّفس مرتفعاً جدًّا.

- الثَّالث، قال صديقي، الموت بحد ذاته، قلت أنا - إذ إنَّ مُستوى الاعتزاز بالنَّفس لا يتيح له فرص للحياة.

عاينت الشَّخص الرابع، كان الوضع لديه مقبولاً، وفي المرتبة الثَّانية جاء صديقنا الَّذي يعاني من العديد من المشكلات. وفي المرتبة الثَّالثة كُنت أنا. وأدركت فوراً ما الأمر. انتقلت في اللاوعي إلى المجال الرحب من العوالم الأخرى. كُنت لسنة كاملة قد تقاعست عن أمور الروحانية، الَّتي ظهرت أثناء تواصلي مع العوالم الأربعة.

وأخيراً أقول إنَّه إذا تعلمت الامتناع تماماً عن التَّحكُّم بالوضع وأرفض الرغبات والمخططات والآمال، فإنَّ هذا يعطيني وقتاً إضافياً ويساعدني على العيش بسلام.

obeikandl.com

أخطـــاء التشـــخيص

في ٢٧ تشرين الثَّاني أستلقي على فراشي بهدوء وأنظر من النافذة، كان الطقس جيِّداً هذا اليوم، إذ كانت درجة الحرارة ١٠ تحت الصفر. ومن جديد أصابتني نوبة من السعال والرشح بعد تقديمي لكتابي الخامس. لم أكن أشعر بهذا السوء من قبل منذ زمن طويل وأتذكر أنَّه قبل إلقائي للمحاضرة في ٢١ تشرين الثَّاني شعرت أنني سوف أتقيأ. وشعرت أيضاً أنَّ المعلومات الَّتي أريد تقديمها كانت أكبر من طاقاتي في التَّحكُّم بالوضع.

- كله بإرادة الله، قلت في نفسي، وإذا ظهرت لدي بعض الأعراض فسوف ألغي المحاضرة.

لكنْ قبل بداية إلقاء المحاضرة شعرت أنَّ كل شيء على ما يرام. وفي نهاية التقديم أصبح صوت يصدر صوتاً. وفي اليوم الثَّاني أصابني المرض. واستلقيت وبدأت أتذكر كل حيثيات المحاضرة والنقاط المهمة الَّتي تحدثت عنها ولاسيما المُستوى الثَّالث عشر من عدم الاستقرار. وكان هذا الموضوع بالنِّسبة إلي محبباً جداً، كما تذكرت بعض الجمل الَّتي قلتها:

- إذا أغضبكم شخص قريب منكم وتحبونه، وإذا كُنتم تغارون منه أو تكرهونه أو تحتقرونه، فإنَّ هذا سيتحول مع الوقت إلى نظام للتدمير الذاتي، وسيهيمن على تفكيركم. وإذا كنتم تعيشون في مُجتمع سيئ، فمن الصعب هُنا العثور أو رؤية مذنبين، والجسم يُمكن أنْ يشعل شرارة الحقد والعدوان، ومن ثُمَّ فإنَّ نظام التدمير الذاتي سيدمره تماماً.

والحقيقة المثلى هي الغفران، أي الحفاظ على الحب، وهُو يشمل إضافة إلى إرادتنا ووعينا، بل يتحدد بخبراتنا السابقة، إذا كُنت قادراً على أن تغفر لشخص كان قد أهانك، واستطعت الحفاظ على الشُّعُور بالحُبِّ، فأنت بإمكانك استخدام قدراتك وإمكاناتك.

ونظام التدمير الذاتي يُمكن أنْ ينتج عنه كوارث وحروب، وسوف يعيش في هذا العالم مَنْ لديه القدرة على الحفاظ على شُعُور الحُبّ. ولنتحدث الآن بعبارات أبسط، شاب

أحبَّ فتاة وشعر بنطاق الحُبّ الكبير تجاه تلك الفتاة. أمَّا الفتاة فقد خانته وأهانته وذهبت إلى شاب آخر. وعلى الرَّغم من فقدانه للحبِّ الإنساني فإنَّه استطاع الحفاظ على الحُبّ الرُّوحي لأنَّ هذا الحُبّ لا يرتبط بشيء مطلقاً، وكان شعوره به أكبر من شُعُور بحبِّ الفتاة. ويستطيع هذا الشاب أنْ يعيش سعيداً. وإذا صدم أحد ما بالحُبِّ الأول، فإنَّه سوف يصدم ثانية في أحوال مشابهة.

وبما أنني أمارس عمليَّة تحليل الأجزاء الدقيقة الَّتي انطلقت منها الأحداث الكبرى يحدث معي الآن ما يُمكن أنْ يحدث للآخرين في المستقبل. ويتطور لدي برنامج التدمير الذاتي ولا أستطيع فعل شيء. وأخطئ في تشخيص بعض الحالات عندما أهتم في الوُصُول إلى نتائج. وكلَّما كان الاهتمام أقوى كلَّما كانت فرص الحُصُول على معلومات دقيقة ومهمة أقل. ولذلك عندما أشعر بسوء فإنني لا أرى شيئاً ولا أفهم شيئاً. ولدي مهمة واحدة هي الحفاظ على الحُبّ وعدم البحث عن المذنبين. وبقدر ما أجتاز هذه التَّجربة بقدر ما أرى بعد ذلك المعلومات الأساسيَّة وأستطيع استخدامها.

كُنت أعتقد سابقاً أنَّ رؤيتي وأسلوبي يجعلان مني مقيداً. وبعد ذلك أدركت أنَّ رغبتي في أنْ أصبح مقيداً كانت بمثابة الخطر الحقيقي لي. واعتقدت أنني آخذ المعلومات، لكنْ تبين أنَّهم يعطونني إياها. وأعطوني بعض الحالات. وفقدت كل أساليب الحماية الذاتية ولم أقدر على القيام بشيء. واختلطت عليَّ كل الأُمُور. ومن جديد كان لا بد لي من التمسك بشعور الحُبّ كحقيقة وحيدة. ومن خلاله عادت رؤيتي للأمور وعادت إليَّ قدرتي على التحليل.

وها أنذا من جديد أستلقي وأنظر إلى سماء الصباح الهادئة، وكانت هناك حشرجة في داخلي. وأعرف أنَّ هذا الالتهاب في الرئتين يُمكن أنْ أشفى منه خلال أيَّام دُون تناول أي أدوية. لكنْ مع هذا لم أصل إلى فهم واضح لحقيقة مستويات عدم الاستقرار من ١ وحتى ١٣. وهذا مرتبط بالشعور بالفخر الذاتي، ومع هذا اجتزت أوضاعاً مشابهة كثيرة في حياتي بالحفاظ على الحُبّ. وأتساءل لماذا عادت تلك الأوضاع الصعبة إليَّ من جديد؟ لقد حاولت في اليومين الأخيرين مئات المرَّات أنْ أحلل ما يحدث معي، ولم أتمكن من الوُصُول إلى شيء.

وبقي سبب واحد وهُو تربية أولادي ومواجهة المشكلات في المستقبل والتي لا يُمكنهم حلها والتغلب عليها. وكانت ابنتي مصابة بسعال حادٍّ منذ شهرين. وهذا مرتبط بالآلام المستقبلية، وكان الوضع بالنِّسبة لي بسيطاً. فقلت:

- أنت غاضبة من أشخاص آخرين. وأنت لا تتحملين ذلك. وهذا يُمكن أنْ يضرَّ بالأولاد، ومن هُنا ظهر لديك السعال، أي إيقاف السعال قبل ظهوره. تصر في بشكل صحيح، تغيري. يجب أنْ يذهب السعال. لكنَّه لا يذهب لسبب ما. وعلى الأرجح، المشكلة في داخلي.

أتذكر عام ١٩٧١. عندما أخفقت كل مخططاتي وآمالي، واعتقدت أنني تقبلت هذا بهدوء تام. وتبين أنَّ السبب كان يكمن في غضبي من كل العالم. وقلت منذ سنوات عدَّة ما يلي:

- سابقاً كنا نحتقر ونكره من وجه لنا الإهانة، والآن نتعلَّم مُسامحة أولئك الَّذين احتقروا مشاعرنا الجميلة. وسيأتي وقت في يوم من الأيَّام وسوف نحلم بأنْ يقوم أحد ما بإغضابنا، لكنَّ هذا لن يحدث أبداً. وسوف نعالج شُعُور عدم الرضا بالأمراض. وبالنسبة إليَّ فإنَّ هذا لوقت قد أتى.

وبدأت بالانهيار دُون أي أسباب واضحة. ولم تكفني قدراتي على أنْ أجعل نفسي على ما يرام.

وأتذكر حديثي مع أحد الأشخاص، الَّذي قام لي مركزاً نظره عليَّ:

- كُنت مالكاً لإحدى الشركات المشتركة الضخمة، وكان رأس المال الأساسي موجوداً في الغرب لتسهيل العمل. وتدركون جيِّداً أنَّ الدولة الروسية تصرفت في الماضي وتتصرف الآن كشخص محتال نصاب صغير. وهكذا، لم أكن أدير هذه الشركة فقط، بل رعيت رجال أعمال كثيرين. وأصبح لدى كل واحد منهم الكثير من المال. وفجأة بدأ «أصدقاء» من الفضاء يهتمون بأمري. ويمنعوني من مُمارسة أعمالي نهائياً. وعندما سألت ماذا سأفعل إذاً، كان الجواب بسيطاً: - اذهب واعمل مدرساً للرياضة في المدرسة. وما العمل. ذهبت بالفعل وعملت هناك سنتين. وعانيت مع عائلتي من هذا. زد على ذلك منعوا ابنتي من الدِّراسة في المعهد. على الرغم من أنَّها كانت متفوقة. وعندما سألتهم: «ماذا عليها أنْ تفعل الآن»؟ - كان الجواب «لتذهب إلى القرية وتجلس هناك دُون أنْ تفعل شيئاً». أدركت أنني وزوجتي قد أصبحنا مكبلين. لكنْ قولوا لي لماذا هذه المتطلبات، وهل هي مبررة من وجهة نظر رُوحيَّة؟. وقد حذروني بأنني

سأستلم عملاً جديداً قريباً وسأعمل بشكل جاد. وأنا الآن عاجز عن فهم أي شيء.

نظرت إلى هذا الوضع وقلت له:

- إنَّ التَّفكير يعمل بمطابقة الأهداف والعمليات في الزمان والمكان. وبقدر ما نستطيع ربط السبب بالنتيجة بصُورة شاملة، بقدر ما يكون تفكيرنا أكثر شمولاً:

تبدأ الآن على الأرض ظواهر لا تتيح تقييم المُستوى الحالي للتفكير بشكل شامل. وبعبارات أبسط، نحن لا نتخيل عواقب أعمالنا الحالية. وتبدأ ظواهر عفويَّة غير مسيطر عليها، ونحن لا نفهم هذا دائماً. وإذا لم يظهر على الأرض أشخاص ذوو تفكير شامل، فإننا سنواجه بعد وقت قصير ظواهر لن نستطيع مواجهتها. وهذا سيمر حتماً. ويدور الحديث الآن عن النسب. فإذا كانت نسبة هؤلاء الأشخاص غير مرتفعة، فإنَّ كل الحضارة الإنسانية ستفنى. وبالمناسبة فإنَّ أي مساندة من حضارات أُخرى غير ممكنة، لدينا أنظمة منيعة ليس في جسدنا الفيزيائي فقط، بل في جسدنا المعلوماتي أيضاً. وأي معلومة غريبة يُمكن أن تقضي على كُلِّ الحضارة ببساطة. والمعلومات الضرورية لإنقاذ الإنسانية لا بد من تقديمها من قبل الأشخاص.

وهناك حالة أُخرى. إنَّ مُستوى وعينا يعني إلى قدر ما مُستوى اتصالنا مع العوالم الأخرى. وإذا ارتفع مُستوى الاتصال بسرعة، أي يلحق باحتياط الحُبّ في الرُّوح، فإنَّ الارتباط بالمستويات الرُّوحيَّة العُليا سيزيد بحدة. وفي الحياة العاديَّة فإنَّ الارتباط بالقيم الإنسانية سيولد في البداية الخوف، ومن ثُمَّ الغضب، وبعد ذلك المرض. وإذا رسمنا الصورة بدقَّة أكثر، يأتي أوَّلاً تأليه الإنساني، وبعد ذلك الإصرار عليه ومن ثُمَّ سيذهب الخوف والغضب من كل العالم ومن النَّفس ذاتها.

وإذاً، أقول لذلك الشَّخص الَّذي حدثني عن مشكلته:

- لقد بدأوا بإعطائك المعلومات، وقفز مُستوى الفخر لديك عشر مرَّات أكثر إذا لم يكن مئات المرَّات. وبالمناسبة فإنَّك لا تشعر بذلك. ومن الموت لن ينقذك أحد لا أنت ولا ابنتك. ولكنْ إذا ابتعدت في هذه اللحظة عن الاهتمامات الإنسانية فإنَّك تستطيع عبر المنطق الرُّوحي أنْ تعالج المعلومات الضرورية للتفكير الجديد. وهذا يتيح لك القيام بأعمال مُوجَّهة في نهاية المطاف إلى إنقاذ الأشخاص وليس إلى تدميرهم.

الشَّـــخصيَّة

أستلقي على فراشي وأنظر إلى سماء الصباح الزرقاء. وعندما بدأت منذ عام ونصف الاهتمام بمسألة الشَّخصيَّة ظهرت إشارات خطر جدي، بل تلميحات صوفية. يتحدد مجال الشَّخصيَّة بجملة من العوالم الأخرى. يعني، إذا بدأت العمل على هذا الموضوع فسوف يزداد حتماً مدى الشمولية، ومع ازدياد غير مهيمن عليه من الفخر أستطيع أنْ لا أصل إلى شيء.

أنظر بارتخاء إلى النافذة وأفكر ما العمل. أولاً، بدأ الإخفاق عندي منذ أكثر من عام. هناك ترسب واضح من الأملاح في جسدي. وبدأت ركبتاي تؤلمانني، حتَّى إنني لم أستطع السير أحياناً. وكانت أصابع يدي تؤلمانني كذلك في الليل. من الممكن، طبعاً، أنْ أتبع حمية ما للتخلص من الأملاح، لكنني رأيت أو تخيلت ما سوف يحدث بعد ذلك. فالجسد سيُصبح خفيفاً ومطيعاً. والرأس يُمكن أنْ لا يكون كذلك، أي إنَّ حصار الفخر يُمكن أنْ ينتقل من الجسد إلى وظائف المخ. والسنوات الثلاثون الأخيرة كُنت أُفكِّر ٢٤ ساعة على ٢٤ ساعة. والآن أعاني من أعباء كثيرة، وأما رأسي فأنا أحتاجها أكثر من أي وقت آخر. وعليَّ الآن أنْ أسوي مسألة الفخر الَّتي أصابتني. وكانت ملامحها الأولى قد ظهرت. وفي نصف العام الأخير عانيت التَّوتُّر والغضب كثيراً، كُنت أستطيع الحديث سابقاً عن أنني أصبت بإنهاك شديد للأعصاب. وأما الآن فأنا أدرك ما عليَّ فعله. التوقف عن السفر وإلقاء المحاضرات، أي نسيان كل شيء لبعض الوقت. ومن جهة أخرى، هناك فرصة للعيش مجدداً. لكنْ هناك تلميحات سيِّئة. وأتذكر ليلة آب في «القرم»، كنا نجلس على صخرة بالقرب من شعلة نار، في الأسفل كان يموج البحر الأسود.

وسألت أصدقائي:

- أتريدون معرفة كيف ينظر البحر إلى كُلِّ واحد منا؟

وتطلع الجميع إليَّ مُباشرة، فقلت:

- البحر يحب هذا الشخص، ويتعامل مع ذلك بحذر شديد، فهُو يخافه، وأما إلى ذاك فيعامله بشكل طبيعي. وأما ذلك الشَّخص فيتمنى البحر موته. فلديه

نظرة غير صحيحة تماماً تجاه البحر. وخطر عليه السباحة فهي. من كان في المرتبة الأخيرة؟

كُنت أعرف أنَّه لا يُمكن أنْ أكون أنا الأخير. قبل هذا كُنت أرى كيف يتعامل معي البحر، وفي كُلِّ مرَّة كانت هناك مشاعر الحُبّ واللُّطف. كُنت أستطيع السباحة في البحر لساعات في أي طقس ولم أكن أخاف مطلقاً. وحتى إذا مسكتني حورية البحر من قدمي وأنا أعوم في البحر كُنت أظل هادئاً، لأنني كُنت أعرف بأنني سأنجو في أي وقت. ولذلك عندما قال صديقي لي إنَّ الشَّخص الأخير إياه كُنت أنا، بدت علامات الإحساس بالذهول لدي. فيم كُنت مخطئاً بخصوص نظرتي إلى البحر؟ لاسيما في الساعات الأخيرة. وهنا تذكرت فجأة.

في خليج بالقرب من جبال «الدب» كانت هناك صخرتان في البحر، تسميان «آدالاري». وكان عمق البحر بين تلك الصخرتين ١٠ - ١٢م، وخلف الصخرة الثَّانية قمنا بقياس العمق بواسطة حبل وتبيَّن أنَّه ٨٢ متراً، وكنت سابقاً أستطيع الغطس دُون زعانف حتَّى عمق ٢٠ متراً. في هذا العام غطست حتَّى عمق ٢٠ متراً، لكنْ بزعانف هذه المرَّة. وبالمناسبة كانت المياه في القعر باردة وصافية. وقلت:

- يا رفاق سأحاول أنْ أغطس قدر ما أستطيع.

في ذلك شعرت بألم في رأسي وكان أنفي يؤلمني كذلك. وعلى أعماق أكثر من عشرة أمتار يُمكن أنْ يكون ذلك خطراً. وإذاً، عندما غطست اعتقدت أنني أستطيع البقاء في القاع، إذا استطعت طبعاً الوُصُول إلى العمق تماماً. وفجأة ظهرت في رأسي فكرة واضحة تماماً: «حسن جداً، سوف تنتهي كل المشكلات أخيراً»، وبعد ذلك وصلت إلى القاع وعلى السّطح كانت درجة حرارة المياه في آب ١٩٩٨ نحو ٢٧°، وحتى أكثر من السنوات السابقة، ومثل هذه الحرارة لم تكن منذ ١٠٠ عام. وعلى عمق ١٠ - ١٥ متراً كانت المياه باردة، وعلى عمق ٢٠ متراً بدا أنَّ هناك تياراً بارداً حقيقياً، كانت هناك ظلمة، وبرد، وسرعان ما اندفعت إلى الأعلى إلى الشمس. وإضافة إلى ذلك رعفت من أنفي، وكانت الدماء حمراء قانية. ولو أنني غطست أكثر في المياه كانت ستكون هناك مشكلة حقيقية. والآن فقط فهمت أنني كُنت سأقتل نفسي حقيقة، بحيث لا يُمكن لإنسان أنْ يشك في ذلك. ولم يكن لأحد أنْ يستطيع انتشال جثة رجل موجود في القاع على عمق ٢٠ متراً. وأدركت أنَّه في الفترة الأخيرة ازدادت فعاليَّة برنامج التدمير الذاتي في لا شعوري بدقَّة. وفي الصيف اعتقدت أنَّ هذا مُجرَّد تعب ونتيجة لأعباء عصبية عديدة. وتبين أنَّه مخرج جديد لمستويات الوعي لدي والتعامل مع مصادر معلوماتية جديدة. أصبح مفهوماً لماذا أصبحوا «يظلمونني» في كُلِّ المبادرات التَّجاريَّة

والمخططات الشاملة. ونظرت بشكل مغاير تماماً لتلك المواقف الَّتي حدثت معي في الصيف، وإحداها كانت قويَّة، بحيث ساعدتني في بداية السَّيطرة على نفسي. وكانت كالتالي:

كُنت على معرفة بشخص ساعدني في حالات ومواقف كثيرة، دُون أي لقاء. وكانت مساعدته لي عبارة عن خدمات صغيرة، لكنها كانت بالنِّسبة لي رائعة.

وقال لي ذلك الشَّخص:

- أتعلم، أريد أنا كذلك أنْ أسألك عن أمر. فأنا بحاجة أنْ أرسل مبلغاً من المال إلى بنك في الغرب. وأنا سأعطيك هُنا مبلغاً مماثلاً، وأنت تعطي المبلغ لشخص ثالث يقول لك عنه. كُنت أرغب كثيراً في تقديم المساعدة، وبدأت اتصالاتي مع كل معارفي. لكنَّ هذا كان مبلغاً كبيراً جداً، ولم يستطع نقله أي إنسان، واتصلت بعد ذلك بالشخص الَّذي طلب مني تحويل المبلغ وقلت له:

- أتعرف يبدو أننا لن نلحق بإرسال المبلغ إذا لم نتمكن من جمعه خلال يومين، لذا شكراً لك على مساعدتك وسوف ننسى ما حصل من حديث بيننا.

لكنَّ هذا الموقف لم يرحني أبداً، ذلك لأنني أردت شيئاً ما وفجأة لم أتمكن من تنفيذه، ومن جديد قمت بمحاولة تلو الأخرى، وبعد يوم التقيت صديقي الَّذي طلب مني المساعدة، وقلت له:

- حظك جيد، لقد عثرت على شخص سيحول المبلغ، وسآتي إليك خلال يومين.

وهزَّ رأسه قائلاً:

- رائع.

التقينا بعد يومين وقلت:

- لقد جاء اليوم قريب لك ذلك الشَّخص الَّذي حول لك المال. ويجب أنْ تعطيه هذا المبلغ.

ضحك صديقي كثيراً وقال:

- ليس لدي مال.

نظرت إليه باندهاش محاولاً فهم شيء ما.

- لكنَّك قلت بأنَّك ستعطيه المال.

- كُنت أقصد بأنني سأعطيه بعد فترة قصيرة، وإلا كيف كُنت سأتعامل معك.

- حسن، متى تستطيع أنْ تعطيه المال؟

- سأحاول بسرعة وقدر الإمكان، لكن في الواقع ليس قبل ثلاثة أشهر.

أجبته:

- حسن، سوف ننتظر، ومساءً اتصلت إلى أمريكا، وحاولت تقديم الاعتذار للشخص الَّذي غامر بالتعامل معي:

- سأرهن شيئاً ما، أو أبيع شيئاً، أو أعطيه شيئاً ممَّا أقوم به، وسأبدأ بإعطاء المال في الوقت القريب.

هل سيعيد ذلك الشَّخص المال أم لا، لكنني ألتزم بالتعويض تدريجيَّاً. وتستمر الرواية، بعد ثلاثة أشهر ذهبت إلى الصديق الَّذي طلب المُساعدة (المال). وقبل ذلك كُنت أتصل معه كل أسبوع، وهُو يؤكد وعده بإرجاع المال.

وسألته:

- هل أنت مستعد لإرجاع المال؟

ويبتسم من جديد قائلاً:

- أنت تعرف أنَّه ليس لدي مال.

- حسن، ومتى تستطيع إرجاع المال؟

- ليس قبل ثلاثة أشهر.

جلست ناظراً إلى الأرض بصمت. ما العمل؟ هل أحاول حل هذه المسألة بالطَّريقة التقليدية لإحلال العدل في روسيا؟ أم أحاول استخدام إمكاناتي وقدراتي؟ في هذه الحالة، ما يبهجني هُو أمر واحد فقط، لا أشعر أبداً بأي ألم أو كره تجاه ذلك الشَّخص. ومن أجل هذا الأمر كُنت مستعداً لإنفاق أي مبلغ من المال. أنا أتغير نحو الأفضل، وهذه سعادة لا توصف. وكل ما تبقى أمور تافهة.

واقترحت قائلاً:

- لنتصرف على الشَّكل التالي، منذ هذا اليوم سيزيد المبلغ، وبداية بنسبة ١٠٪ في الشهر. وبعد ثلاثة أشهر سيكون المبلغ أكبر بكثير من الحالي. لكنْ إذا أعطيت المال خلال هذا الشهر، فإنَّك تستطيع إرجاعه دُون فوائد. فأنت قد استدنت مني هذا المال؟ استدنته. وهذا يعني أنَّك تستطيع استدانته من أي شخص.

بعد عدَّة أيَّام اتصل معي وقال:

- اتفقت مع أحدهم على استدانة مبلغ وبعد أسبوعين سأعطيك المبلغ المطلوب.

obeikandl.com

- بعد أسبوع سأسافر إلى القرم، وسيأتي إليك قريب لي والذي أثق فيه تماماً. وسيعطي المال لمن يستحقه.

بعد أسبوعين اتصلت من القرم إلى بيتربورغ. وشعرت أنَّ هناك مشكلة ما فيما يخص المال. وبالفعل كان السبب في وضعي، إذ لم أتمكن من السَّيطرة على نفسي. واعتقدت بأنَّ هذا قد يبدو غريباً جدَّاً إذا استلم قريبي المال.

لقد جرت هذه الحادثة الغريبة بالفعل. تَمَّ استلام كل المبلغ. وفي اليوم التَّالي تحققت مخاوفي، إذ كان قريبي مغفلاً، حيثُ سُرِقَ منه المبلغ من حقيبته. وأدركت أنَّهم بدأوا بعلاجي بوسائل قويَّة جداً، وسرعان ما هدأت، وبعد شهر، في آب ١٩٩٨، انهار النِّظام المصرفي، وبعدها اقتصاد روسيا، ومعها كل أعمالي، وبعدها ارتاحت روحي تماماً.

ولاحظت أنَّه لا بد من أنْ أشير أيضاً إلى المشاعر وكيف انهارت. ومع هذا فإنَّ المخزون العاطفي يجب أنْ يُوجِّه إلى الداخل وليس إلى كُلِّ ما هُو إنساني، وإلى الرُّوحي لاسيما في هذه الفترة.

وفكرت بهدوء بالأحداث القادمة، بعد عشرة أيَّام كان عليَّ تقديم كتابي الخامس في موسكو. وسوف أسأل من جديد عمَّ يحدث في روسيا؟ لماذا الأشخاص الموجودين على رأس السُّلطة يتصرَّفون على هذا الشَّكل ملحقين الضرر بأنفسهم وبغيرهم؟ وهذا ليس مُجرَّد فساد، أي عندما تفلس الدولة. بل موظف الحكومة الكبير يكوِّن ثروة، وعندما يكون هناك ابتزاز في اتخاذ القوانين. وشعوري كالتالي، إنَّ الأشخاص في الدولة قد تخلُّوا عن التَّفكير والإدارة، وهذا يُمكن تفسيره بقدر ما على أنَّه في عهد الاشتراكية كانت تسود أشكال من عدم الحرفية، ولا يُمكن أنْ يكون هناك شخص يرعى النِّظام والقانون. النَّاس من دُون أي مبادئ وأخلاق وحصلوا على الأموال والسلطة لأنَّ النِّظام يريد هذا. وأما الإنسان وهُو إضافة إلى جسد هُو رُوح أيضاً، أي أهداف ومبادئ، أخلاق ومشاعر.

وبقدر ما تكون رغبة كل إنسان قويَّة في احتقار موظفي السُّلطة وشجبهم وكرههم، وكذلك في احتقار أنفسنا ومصيرنا، وبقدر ما تهدر كل الطَّاقة على البحث عن المذنبين وعلى كرههم، بقدر ما يبقى القليل فقط لإدراك الوضع والتصرف بشكل سليم، الَّذي يتيح تغيير ذلك الوضع. لكي نفهم القصَّة وتقييم الأحداث بشكل صحيح لا بد من تكرار المقولة التَّالية عشر مرَّات:

- يجب أنْ لا نبحث عن المذنبين، ليس هناك مذنبون.

وعندئذ تتحول قُوَّة التدمير إلى طاقة بناء وإدراك. إذاً، لماذا لا يتمتع نوابنا وموظفونا وسياسيونا بالقدرة على التَّفكير والإدارة؟ وكأنَّ هناك شيئاً ليس على ما يرام في رأسهم، وهم لا يستطيعون ربط السبب بالنتيجة. نعم ليس هناك أي أفق.

ولنستعرض ذلك منطقياً. تتألف المادَّة من المكان، أي حسب الفيزياء المعاصرة، مكان ملتف بشكل ما. ولكي نفهم الوضع ونتحكم فيه، لا بد من الابتعاد عنه والارتفاع فوقه، كل حادثة تحدث في الزمان. والابتعاد عن الحدث - هُو ابتعاد عن الزمن. وكلَّما كان ابتعادنا عن الحالة الزمنية المحددة قوياً، كلَّما كان مستوى الزمن الذي نحيط به أكبر. وكلما مر الزمن ببطء.

وإذا نظرنا في الوقت ذاته إلى الكون لرأيناه غير متحرك تقريباً، وكل القيم الإنسانية تتألف كذلك من الزمن. وبقدر ما نحن متمسكين بالمبادئ والمثل العُليا والأخلاق وبالمال والوظيفة، فنحن لا نستطيع أنْ نقيم أي موقف بشكل صحيح أو أنْ نفكر أخلاقياً.

في المواقف الجديدة وغير المتوقعة، يجب أنْ يكون مُستوى ابتعاد الإنسان عالياً عدة درجات، وإلاَّ فإنَّه لا يستطيع إدراك الموقف الجديد والتحكم به.

إنَّ الفترة الطويلة من الاستقرار الاقتصادي والسياسي يغيِّر، دُون أنْ تتم ملاحظة ذلك، من تفكير النَّاس الَّذين يعيشون في الغرب. وتكوين أشكال جديدة للتفكير صعب جدَّاً عليهم. في روسيا تَمَّ القضاء على الإيديولوجيا أي الأخلاق والمشاعر والقيم الرُّوحيَّة وأصبح كل شيء يقدر من وجهة نظر ماديَّة. وروسيا تتعلم بعذاب وبهدوء، التَّفكير. وتتشكل إيديولوجيا جديدة، وهناك عمليَّة إعادة نظر في القيم القديمة. ويعمل المنطق الإنساني في روسيا بضعف شديد. والكل مرغم على التوجه نحو كل ما هُو روحي بقدر ما. ومن هذا المنطق ستتشكل فيما بعد ثقافة وإيديولوجيا ودستور وقوانين جديدة.

في روسيا عام ١٩١٧، وقبل الثورة، كان التمسك بالمثل والروح والشخصية عالياً جداً، ولذلك على البلشفيين أنْ ينتصروا، ولذلك كان يجب تحقير شخصيَّة الدولة وكل إنسان فيها، أي تحقير ثقافتها وإيديولوجيتها ومعتقداتها وأخلاقها، وبالتَّالي قوانينها، وأصبح مفهوماً الآن لماذا ساد الكذب وعدم المسؤوليَّة والجبن والخيانة في عهد الاشتراكية. وأنا أقوم بتشخيص روسيا قبل الأزمة الَّتي حدثت في آب ١٩٩٨، وبعدها. مدهش حقاً، لكنْ بعد الأزمة أصبحت طاقة البلاد صافية ونظيفة أكثر. وبدقة أكثر أنا لست مندهشاً من هذا الصفاء والنظافة. وهذا طبيعي جداً، إذ إنني مندهش من شمولية ومجال الصفاء. وخفَّ التمسك بالقيم الإنسانية الماديَّة والروحية بقُوَّة. وإذا أطلقنا أحكامنا بناء على هذا، فإنَّهم

سوف يحررون روسيا من كل ما تمسك به عمداً. أي إنَّ الأمل في ظهور تفكير شامل جديد ما زال موجوداً.

وأنا أنظر إلى دول أخرى، ويبدو أنَّ الأوضاع هناك جيِّدة جدَّاً. فالولايات المتحدة على سبيل المثال، كانت لديها مقاييس رائعة، وأما الآن فإنَّ قوتها تذكرنا كثيراً بقُوَّة روسيا قبل الثورة، أي أنَّ التركيز على المبادئ، والأخلاق يُصبح أقوى بكثير.

وفي ألمانيا الوضع متأزم، فالتركيز على القيم الرُّوحيَّة عالٍ جدَّاً. وفي هولندا، أسوأ، ومفهوم الآن من أين تأتي المخدرات والمثلية الجنسيَّة (الشذوذ الجنسي).

وأصبحت مفهومة لدي القصَّة الَّتي رواها لي أحد زملائي: إذ قال لي:

- تصوَّر، فتحت حساباً مصرفياً في بنك ألماني. وأضع هناك عشرة آلاف مارك، وبعد ذلك حولت إلى حسابي ٢٠ ألف دولار من أمريكا. وهذا يعادل أكثر من ٣٠ ألف مارك. واشتريت لنفسي سيارة في فرانكفورت. وصلت إلى فرع البنك، وأعطيتهم رَقْم حسابي واستلمت سبعة آلاف مارك. وهذا لم يكفني لشراء السيارة، يعني، يجب أنْ يبقى في الحساب ٣٥ ألفاً.

وقررت استلام بطاقة مصرفية كي لا أذهب إلى البنك في كُلِّ مرَّة أحتاج فيها إلى المال. وصلت مع مترجمة إلى البنك وأعلمتهم برغبتي في الحُصُول على بطاقة مصرفية. ولكنَّ المرأة الألمانية الجالسة خلف الكمبيوتر قالت لي إنَّهم لا يستطيعون إعطائي بطاقة مصرفية، لأنَّ هناك ثلاثة آلاف مارك في حسابي فقط.

وكأنَّ عينيّ غارتا في جبهتي وقلت:

- تريدون القول إنَّه لم يبقَ لي إلا هذا المبلغ في حسابي؟

- نعم لم يبقَ لك إلا ذاك المبلغ.

- وماذا عليَّ أنْ أفعل؟

فهزت كتفيها وقالت:

- اذهبوا إلى القسم الرئيسي للبنك في برلين.

ذهبت إلى برلين، ودخلت إلى المكتب الرئيسي محاولاً إيجاد تفسير لذلك. تفحص موظف البنك كل شيء وبهدوء أعلن أنَّه لم يبقَ لي مال في حسابي. وفهمت أنني خسرت، وها هُم الألمان المنضبطون العمليون. وتابع صديقي كلامه:

- لقد قالوا لي بالمناسبة كيف أنَّ عروسين وضعا مبلغاً كبيراً من المال في أحد البنوك الألمانية وأعطوها إلى امرأة تعمل هناك كي تضعه في حسابها، ولم

يخطر في بالهما أنْ يأخذا الوثائق الَّتي تثبت حقيقة وضعهما للمال. وبعد ذلك أعلنت الموظفة أنَّها لم تأخذ منهما أي أموال. وعندما ذهبا لتقديم شكوى إلى مدير البنك، قال لهُما إنَّه يعرف هذه المرأة منذ زمن بعيد ولا يُمكن حدوث ذلك. أجل هذا ما حدث. لكنني حولت مالي عبر بنوك أُخرى. وقالوا لي فيما بعد إنَّه ينبغي علي الذهاب إلى أميركا للعثور على وثائق تثبت تحويل المال إلى بنك ألماني. وأثناء ذلك عملت توكيلاً لإدارة حسابي إلى صديق لي يعيش في برلين كي يبلغني بما يحصل من جديد. بعد أسبوعين اتصل بي، وماذا تعتقد أنَّه قال لي:

حركت كتفي مندهشاً: وقلت:

- حتَّى إنني لا أستطيع تخيُّل أي شيء.

- إذاً، تبين أنَّ هناك ٣ آلاف مارك فقط في حسابي، و٢٠ ألف دولار أمريكي، وهم على ما يبدو لا يعدون الدولارات الأمريكية أموالاً، أي عندما سألتهم: «هل هناك مال في حسابي»؟ كانوا يقصدون فقط الماركات الألمانية، وفي بعض البنوك يقومون بتحويل العملات الأجنبية إلى العملة المحلية. وفي روسيا كانوا قالوا لي:

- لديكم مال قليل بالعملة الروسية، أتريدون تحويل المال من العملة الصعبة وتحصلون على بطاقة مصرفية.

لكنَّ هذا غير ممكن في ألمانيا. فالرموز مازالت تأخذ مكانها المعتاد. وأنت تعرف أنَّ هناك شيئاً ما في عقولهم في الفترة الأخيرة. تنظر وترى إنساناً ذكيَّاً طبيعياً، ولكنْ ما أنْ يواجه موقفاً ما فإنَّ آلته الفكريَّة لا تعمل، بل فراغ تام في الرأس. وإذا تغير الوضع على الأرض بحدة، فإنَّهم سيموتون حتماً، بل سينقرضون كـ «فيل الماموت».

- لا تقلق، قلت له، روسيا تساوي بين الجميع، ولدينا في الحالات العاديَّة يرفض المخ أنْ يعمل.

أتذكر هذا الحديث عندما ظهرت في البلاد معتقدات صحيحة وقوانين طبيعيَّة وتحولت البلاد من صحراء إلى حديقة غنَّاء. ومع كل يوم تُصبح الأفكار ماديَّة أكثر.

أنهض من فراشي وأذهب إلى الحمام، وكل الأفكار العامة رميتها جانباً وأصبحت أُفكِّر في اليوم التَّالي. وسوف أجلس في المنزل لعدة أيَّام مستلقياً دُون القيام بشيء لأول مرَّة في السنوات الأخيرة، وحتى يُمكن أنْ لا أُفكِّر بشيء على الإطلاق. ولدي نشاط واحد اليوم - يجب أنْ أذهب إلى مريضة السرطان، وهي الآن في المرحلة الرابعة، ولا تستطيع الحراك مطلقاً.

لو ذهبت إلى القرم كما خططت لذلك، فإنني لن ألحق في الذهاب إليها. وبما أنَّ الأمر هكذا، فإنَّ هذا قدري. وأفكر في نفسي مجدداً: هل أستطيع مداواتها؟ بالنظر إلى كُلِّ شيء - نعم أستطيع. وهل أستطيع مداواتها عن بعد؟ غير ممكن. إذاً، لدي خروقات مشابهة وأثناء التشخيص يُمكن أنْ يظهر صدى خطير لكلينا نحن الاثنين.

رميت جانباً كل شيء وبدأت التَّفكير في أحداث حياتي. وفي كُلِّ حالة أرى حالات خرق واحدة، تلو الأخرى - ارتفاع في مُستوى الاعتزاز بالنفس، طموحات وتركيز على «الأنا» الإنسانية. وهذه حالة شاملة وخطيرة. وعواقبها وخيمة، وإصابتي الحالية بالانفلونزا والسعال يرتبط مع تلك الحالة أيضاً. وهذا هُو الحُبّ الأوَّل. وهذه شرارة الحُبّ لفترة الشباب. ويبدو أنَّه أثناء الحُبّ الأوَّل تزداد شمولية القيم الإنسانية بمئات المرات، وهنا التصرف الصحيح أكثر ضرورة بمئات المرَّات ممَّا هُو عليه الحال في المواقف الأخرى.

اجتزت عشرات وعشرات المرَّات هذه الحالة، عندما تعرض شعوري بالحُبِّ للإهانة، لكنْ من غير المُمكن كما هُو سابقاً تشخيص حالة مريضتي. وفكرت: «يا لهذه الحياة». فخلال عام أو عامين كان يُمكن أنْ أصاب بسرطان رئة ولم أكن لأستطيع أنْ أتبين السبب. وعندما أريد تقديم المُساعدة لرجل آخر، من السَّهل علي أكثر أنْ أتجرد من الوضع ويتكون لدي فهم صحيح يتيح لي فيما بعد أنْ أنقذ حتَّى نفسي».

يتبين أنَّه أثناء الحُبّ الأوَّل يحدث تماس بالمستويات العُليا للقيم الرُّوحيَّة. وعندما تكون مشاعرنا طبيعيَّة فنحن نشمل عالماً واحداً أو اثنين، وعند انطلاق شرارة الحُبّ فيمكن أنْ نشمل كل العوالم الثلاثة والثلاثين، أي الكون كله. وإذا لم نبحث عن المذنبين أثناء إهانة الحُبّ الأول، ونغفر ونحافظ على حب الله، فعندئذ لدينا فرصة في أنْ نتعلق بكل الكون ونشعر بحقيقة «الأنا» الإلهية، وهذا يعني، يُمكن أنْ نقول للطفل:

- روحك وجسدك يستعدان للحب، وأنت قريباً ستجربه، لكنَّ الحُبّ الأوَّل الأكثر روعة سيكون وسيلة فقط لتراكم كل ما هُو روحي فيك. وبقدر ما تشعر أنَّ الحُبّ الإنساني ما هُو إلا وسيلة للحب الإلهي، فإنَّ امتلاك الحُبّ الإنساني والسعادة لن يربط ولن تشعر بالخوف أو الغضب والألم».

obeikandl.com

التعـــامل مـع العـــلاج

اليوم هُو ٢ كانون الثَّاني ١٩٩٨، وسوف أسافر مساءً إلى موسكو، وعليَّ هناك أنْ ألتقي بعض الأشخاص لاستشارتهم، إذ لديهم بعض المشكلات، وبعد ذلك سألقي محاضرة لي.

وأتذكر باسماً كيف تغيرت نظرتي تجاه طُرُق وجلسات العلاج (التَّأمُّل). والرغبة الأولى، هي بالطبع الرغبة في شفاء المريض، وأما الثَّانية فهي متغيرة دائمة لدي. كان هذا بالنِّسبة لي معجزة، كُنت أرغب فقط وسرعان ما يشفى المريض. كُنت أمرر يديَّ أحياناً على مكان الألم، وفي اليوم التَّالي يختفي. بعد هذا كان هناك تركيز على القدرات والإمكانات لتحسين الأداء و الذهاب أبعد من ذلك. في وقت من الأوقات كان المصدر الوحيد لطريقتي هُو الاستقبال. وتدريجياً أصبح يتحول هذا الأمر إلى الإنفاق الماديّ الكبير.

في آذار عام ١٩٩٠ للمرة الأولى شعرت بما أصبح يُسمَّى فيما بعد بـ «البنى الكارميَّة». ووصلت إلى مراحل عالية جداً عندما لم يكن أحد غيري يعرف ذلك.

وبدا أنَّ الطب وعلم النَّفس والتربية والفيزياء والفلسفة والديانة في هذا المُستوى بدا أنَّهم كُلٌّ متكامل.

وظهرت آفاق عظيمة لمعرفة العالم، وكان هذا بالنِّسبة لي كإدمان، وفي القريب بدأ هذا كله يتوقَّف. وفي لحظة ما خطرت ببالي فكرة: «لست مرغماً على شفاء الناس، بل إنني مرغم على مساعدتهم للشفاء». لكنْ من أجل هذا، عليهم أنْ يتغيروا. يعني يجب العثور على الإمكانات وطرق تغيير طابع وشخصية الإنسان في أعمق أعماقه».

وفي البحث عن هذه التغيرات توصلت إلى مخرج واحد منطقياً، كي أغير نفسي وطابعي لا بد من الخُرُوج خارج إطار «الأنا». والعلم لا يستطيع أنْ يتيح أو يدلنا على هذا المخرج. فكل المواد النَّفسيَّة الكيميائية والتَّقنيَّات الفيزيائية تتيح لنا الابتعاد المؤقت، وأما التغير المستقر في الشَّخصيَّة فلا تستطيع تقديمه لنا. ومن خلال الابتعاد عن كل ما هُو إنساني وعبر مراكمة حب الله، فإنَّ هذا ممكن، وطريقتي أصبحت بالنِّسبة لي بحثاً عن إمكانات

تغيير الطابع والمعتقد والشخصية. وهناك عنصر مهم جداً: رأيت أنَّ الشعار لا يعمل إذا كان مُؤلِّف هذا الشعار لا يقوم بما يدعو إليه. وقد أرغمني القدر على الوُصُول إلى بعض النتائج خلال تواجدي في حالات ميئوس منها. وعندما أعود إلى المنطق الرُّوحي فقط، كُنت أجد الحلول لها. وعندئذ كُنت أخبر الآخرين عنها. وهذا الوضع تحديداً أتاح لمرضاي التغير بشكل حقيقي والعيش في حالات ميئوس منها وبالنسبة لي أصبحت قدرة الاستقبال قدرة للعمل على نفسي، وقدرة لإنقاذ أطفالي وليس نفسي، لأنَّه بدا أنَّ الوراثة لدي ليست ضرورية، في الفترة الأخيرة أصبح الاستقبال بالنِّسبة لي إجراءً ثقيلاً مملاً.

فمنذ وقت قريب تعاملت بنجاح مع موضوع «الشَّخصيَّة»، ومن جديد أصبح العالم بالنِّسبة لي رائعاً. أدركت أنَّه لا بد من مرتبة أكبر للاستقلال عن «الأنا» البشريَّة.

وهذه العلاقات ستدوم طويلاً ما دمت أعتقد أنَّ «الأنا» ليست الإنسان فقط. وأنا أنطلق هُنا من البدايات الأولى، وأنا مرتبط بها وأحملها في نفسي. و«الأنا» الحقيقية العائدة لي هي إلهية، وهي موجودة في اللّه وفي الحُبّ. وبين «الأنا» الإنسانية و«الرُّوحيَّة» هناك مراحل زمنية، وعليَّ أنْ أسمو إليها، من خلال الشُّعُور بحقيقة الأنا الإلهية أكثر، ومقللاً بالتدريج من الارتباط بـ «الأنا» الإنسانية.

قبل وقت قصير وقبل جلسة الاستقبال بدأت من جديد التعود على العمل الصعب والشاق في مُساعدة المرضى، وفجأة ومن دُون أي توقع تذكرت أنني سابقاً كُنت أقول للناس: «أنتم تصلون ليس لأنكم تطلبون الغفران، أو تطلبون شيئاً ما، بل من خلال الصَّلاة والحب تطلبون من اللّه أنْ يغيركم» أي، لقد كُنت أصلي لإنقاذ «الأنا» الشَّخصيَّة العائدة لي، وأما الصَّلاة فيجب القيام بها لإنقاذ الأنا الإلهية في أنفسنا، وبقدر ما نعيش للحفاظ على الأنا الإلهية في روحنا، بقدر ما تبدأ بالتطور والازدهار الأنا الإنسانية، قلت في نفسي:

«أنت تدعو النَّاس إلى جلسة الاستقبال لتساعدهم في الإحساس والشُّعُور بالأنا الإلهية فيهم، والجلسة بالنِّسبة لك - هي تلك القدرة على مُضاعفة الأنا الإلهية في روحك».

الطَّهـــارة

جلست في مكتبي ونظرت إلى عقارب الساعة، ففي الساعة ١١ كان يجب أنْ تتَّصل بي مريضة كُنت قد وعدت بمحادثتها على الهاتف، والآن أصبحت الساعة ١١,١٥ ولم يكن هناك رنين أبداً. كان الربيع قد بدأ، على الرَّغم من أنَّه كان اليوم هُو التاسع عشر من شباط. وستسطع من جديد الشمس الربيعية، والثلج موجود في كُلِّ مكان، كان الثلج الأوَّل قد جمَّل المدينة، ومن ثُمَّ ذاب ذلك الثلج وأصبح منظره رهيباً، وأصبحت المدينة كما كانت في السابق: القذارة، الطُّرُق الوعرة، وإشارات المرور الَّتي لا تعمل. وكنت أقول إنَّ هذه «دولة إشارات المرور الَّتي لا تعمل». وببساطة فقد فقدت الدولة الأخلاق والحب الإنساني. وتذكرت حالة الأمس. فقد ذهبت أنا وصديقي إلى «الارميتاج». كان الطقس جميلاً:

- اسمع، وأنت ألاَّ ترغب في الذهاب من روسيا من أجل أطفالك؟

نظرت بإمعان إلى زجاج السيارة، ورأيت منظراً رائعاً: وقلت:

- في المقام الأوَّل سأبقى هُنا من أجل أطفالي، وقد عدت من برلين منذ يومين كل المهاجرين سافروا إلى ألمانيا من أجل أطفالهم، وتقريباً ٨٠٪ من أطفالهم أصبحوا مدمنين على المخدرات، وهنا كانوا يفتقدون السَّعادة الإنسانية، وذهبوا إلى هناك وأصبحوا يتمسكون بهذه السَّعادة وعيشها وتركيز وعيهم على «الأنا» الإنسانية، الَّتي تضاعفت مئات المرات، وأما بالنِّسبة لأطفالهم فلكي يعيشوا يتعين عليهم أنْ يصبحوا مدمنين على المخدرات.
- إذاً، سنجلس في قفصنا ونستمتع بحب الله، هذا ما قاله صديقي مبتسماً.
- ليس عبثاً أنْ نجلس في «القفص»، وأما التَّمتُّع بحب الله فيجب أنْ يكون دائماً. وأنا لا أدعو إلى شيء، بل أورد الحقائق فقط، جاءت إلي فتاة أرمنية ذهبت لعدة أشهر إلى أرمينيا، كانت نحيلة وكانت سعيدة بذلك، عادت إلى ألمانيا، وأصبحت بدينة وبدأ شعرها بالسقوط، ومشاعرها أصبحت ضحلة، وكذلك أحاسيسها، وهذا كله إشارة إلى نظام التدمير الذاتي القوي

لديها، ولدى الألمان الَّذين يعيشون في ألمانيا، حصانة محددة تجاه رغد العيش الإنساني، والعديد منهم، كما رأيت، كانوا يعيشون في حيواتهم السابقة في جنوب أفريقيا، وهناك تركيز على الحُبّ الإنساني والفقر المدقع، وفي ألمانيا على العكس: المهم - رغد العيش والفكر.

وقال صديقي وهُو يقود سيارته:

- ألاَّ يبدو لك أنَّ الأشخاص الطيبين سرعان ما يتركون هذه الدولة. في روسيا القدرة الدَّاخليَّة ليست سيئة، وهذا شيء إيجابي ويؤثر على أولادك، وروحهم تُصبح أطهر. لكنْ من سيعلمهم وماذا سيتعلمون هنا؟ البنى التحتية تَمَّ تدميرها، ولم يبقَ شيء من الحضارة، والقدرات العلمية دمرت. وهذا، هل هُو رهان التَّطوُّر اللاحق لروسيا؟

والآن يبدو لي أنَّ هذه الحالة، أي الوضع الداخلي أهم بكثير من الوضع الخارجي. ويُمكن مُعالجة العديد من الأمراض بالامتناع عن تناول الطّعام. ولكنْ إذا تَمَّ الامتناع عن تناول الطّعام دائماً سيكون هناك إنهاك للجسم وبالتَّالي الموت. وروسيا تجوع الآن في مجال الروحانيات في المقام الأوَّل. والأخلاق والحب الإنساني. وإذا حصلت تغيرات داخليَّة فسوف يتغير كل شيء، والأمر يبدو كالتالي: الديمقراطية لا يُمكن أنْ تكون دُون نظام قانوني صحيح دُون حرية الصحافة دُون الرقابة على المُوظَّفين الكبار.

مازلنا أنا وصديقي نسير بالسيارة وكنت أراقب انعكاس أشعة الشمس على المنازل، وقال صديقي ببرودة أعصاب:

- عندما تتعافى روسيا، سنكون ميتين أنا وأنت، هل فعلاً تعجبك الحياة هُنا».

فقلت له:

- أولاً، الحياة ليست مملة، وثانياً، وأنا لا أتمتع بكل مزايا الحياة، لكنْ ما العمل والنظام العام يتعافى من خلال الفراغ، ومن دُون فائدة في هذه البلاد الاعتماد على المنطق الإنساني. إلا أنَّ العيش حسب المنطق الإلهي جيد جداً.

- أنت تعرف، حصلت معي حادثة في ألمانيا منذ أسبوع، قلت له، حجزت امرأة دوراً لاستقبلها، ذهبت أوَّلاً في القطار الكهربائي بعد ذلك نزلت منه لتقطع عدَّة منازل، وتصورها هنا، تقف على الرصيف، وأنت تعرف الوضع في ألمانيا، وتقترب منها امرأة أُخرى وضربت بكل قوتها على أرجل تلك المرأة، وأصبحت تنظر إليها وتعتذر وذهبت، وها هي المرأة المريضة تجلس أمامي

وتحكي لي عمَّا حدث وأنا ما زلت أرى في ملامح وجهها الجميل علامات الاندهاش وعدم الفهم:

- قل لي من فضلك ماذا حدث؟ سألتني بدهشة.

- لقد جاءك أمر من الأعلى، أنَّ الجلسة قد بدأت.

- كيف هذا؟ لم تفهم.

- لديك نفور داخلي من الأشخاص في مجال الأفكار والأخلاق والحب الإنساني، وعدوانيَّتك تجاه النَّاس المُحيطين بك تزداد بمئات المرَّات.

وأعود الآن إلى روسيا إلى صديق، وفي روسيا هذه القدرات المخصصة للطهارة تزيد بآلاف المرَّات عمَّا عليه الحال في ألمانيا - الفراغ، ونريد أنْ ننظم عالمنا لا بد إذاً من تنظيم أنفسنا.

توقفنا على إشارة المرور الحمراء، وما إنْ أصبحت الشارة خضراء حتَّى انطلق صديقي بسيارته وفجأة أصبحت أمامنا سيارة من الشارع الآخر انطلقت عندما كانت الإشارة حمراء، حاول السائق أنْ يوقف السيارة لكنْ كان عبثاً. وحصل اصطدام ما بين السيارتين ودارت تلك السيارة ١٨٠ درجة وضربت سيارة أُخرى كانت تقف على الرصيف، وتوقفت، خرجنا من السيارة وبدأنا بمعاينة نتائج الحادثة، واقترب منا رجل في الثلاثين من عمره وقدم لنا كارت فيزيت وقال لنا:

- رأيت كيف أنكم كنتم تسيرون والإشارة خضراء وأستطيع أنْ أؤكد ذلك، والآن، اعذراني، ليس لدي وقت كافٍ، وعلي أنْ أتابع سيري، وخرج من السيارة المصدومة شاب له ملامح شباب العصابات، وقال:

- عموماً، كُنت أسير على اللَّون الأخضر، وأما أنتم فعلى اللَّون الأحمر.

ورد عليه صديقي:

- سيأتي رجال المرور الآن وسوف نتحدث معهم.

وأنا لم أفعل إلا أنْ رفعت كتفيّ مستغرباً، وهذه روسيا في نهاية المطاف.

لو كان لدى هذا الشاب علاقات جيدة، لما اندهشت من أنَّ ثلاثة شهود كانوا لصالحنا. وتنقلنا لمدة خمس دقائق وعاينا مكان الحادث. وقلت لصديقي:

- اسمع، أشعر بالبرد، لنذهب إلى السيارة ونجلس فيها.

اقتربنا من السيارة وجلسنا فيها، وبدأت أضحك، ونظر إليَّ صديقي مستغرباً:

- ماذا حدث؟

- ها نحن نتنزه في شوارع روسيا.

داخلياً حاولت كثيراً أنْ أتخلص من الشُّعُور بالنفور من روسيا، ولكنْ من الخارج لم أحاول، وها هي إشارات من الأعلى توحي لنا أننا مازلنا نوعاً ما نعيش بشكل غير سيئ، وأنَّ الوضع يُمكن أنْ يكون أسوأ بكثير.

واستمريت بالضحك:

- ماذا إذاً ألاَّ نعيش بشكل جيد؟

- نعيش بشكل رائع، في دولة رائعة، قال لي صديقي.

وأتذكر هذه الحادثة الآن وأنا جالس في مكتبي وأنظر عبر النافذة.

الطقس اليوم رائع ويُمكن الذهاب للتنزه، لكنْ من الأفضل أنْ أجلس وأتابع كتابة الكتاب السادس، وفي يوم مشمس أيمكن العمل بشكل رائع. نظرت إلى الساعة وكانت ١١,٢٠، ليس هناك رنين هاتف، ويمكنني الذهاب، وما أنْ نهضت من الكرسي حتَّى كان هناك رنين.

والمرأة الَّتي اتصلت بي من دولة أخرى، كانت قد درست كتبي بشكل جيد. وحصلت لديها تغيرات مهمة في معتقداتها وشخصيتها، لكنْ بقيت المشكلات لديها، كانت ترغب أنْ تعرف ما لم تقم به بعد؟ زد على ذلك أنَّها كانت حامل. عاينت مجالها الطاقوي وبدأت أشرح لها:

- لدى ابنك الأوَّل الَّذي انجبته منذ عدَّة سنوات، مجال طاقوي غير سيِّئ. كانت هناك محاولات عديدة في الحيوات السابقة للحفاظ على الحُبّ. والأطفال الَّذين سيأتون سيكونون طبيعيين بما فيه الكفاية، ولدى ذلك الطفل الَّذي تحملينه الوضع أصعب ومعقد أكثر، ولديه تربيتك غير الصحيحة الَّتي قدَّمْتِها له في الحياة الماضية، لذلك فإنَّ آلامك عند ولادته يُمكن إلى حد ما أنْ تقوض البنى الرُّوحيَّة للطفل. وتدفعنا الآلام إلى الحُبّ الإلهي، وبقدر ما نُركِّز عليه بقدر ما تكون الآلام أقل. وبقدر ما نمتنع عن اتباع المنطق الإنساني وعن كل ما هُو غالٍ ونفيس عندئذ يبدأ الحُبّ الإلهي بالحياة، وعندما تتوقَّف الرُّوح عن التغذية بالحُبِّ فستفقد الاتصال مع «الأنا»، وكلَّما طالت هذه العمليَّة كلَّما كان أخطر بكثير.

وتوقفت قليلاً، وسمعت صوتها المدهش:

- اعذرني، لكنْ لا أفهم ما هي علاقة هذا بطفلي؟ تابعت قائلاً:

- لدى ابنك، أهمِّيَّة الأنا الإنسانية، وواقعه أعلى من واقع الأنا الإلهية. ولكي يسوِّي هذا الوضع، لا بد أنْ نقوم بتنظيم نفسك أثناء الولادة. من خلال التقليل من الأنا الإنسانية.
- اعذرني لكنني عملت على نفسي طويلاً، وأستطيع الآن تقبل أي فشل وأي إخفاق في مخططاتي أو آمالي، وأعتقد أنَّ مسألة الاعتزاز بالنَّفس والغيرة ليست متوفرة لدي.

لقد سوَّيت نفسك في مجال الطبقات العُليا لمشاعرك، ولم تقومي بذلك في أعماقك في مشاعرك تجاه أولادك وأحفادك.

- غريب، يبدو لي أنَّه لم تَعُد مسألة الاعتزاز بالنَّفس موجودة لدي.
- الاعتزاز بالنَّفس يأتي من الغيرة.
- اعذرني، لقد اختلطت عليَّ الأُمُور.
- نعم، في أساس الاعتزاز بالنَّفس هناك التركيز على الرُّوح، وهذا يُؤدِّي إلى الارتباط الأعمى بالإرادة والمبادئ والأهداف والقدرات، وهنا بشكل أو بآخر تغلبت على هذا الارتباط. لكنَّ مفهوم «الرُّوح» مفهوم أكثر شمولية ولا بد من السمو على الأنا الإنسانية والتخفيف من الارتباط بها، ولكنْ يجب عدم الابتعاد كلياً عنها، والحب الإنساني هُو المادَّة الخام للحب الإلهي.
- الآن أعتقد أنني بدأت أفهم، وهل بإمكانك معاينة زوجي؟ لماذا يشعر بأنَّ قلبه مريض؟
- لديه غضب كبير من النساء، وهُو مرتبط أكثر بالأخلاق والحب الإنساني.
- هل بإمكانه أنْ يتحدث معك على الهاتف؟
- بإمكانه مستقبلاً. لكنْ هناك وسيلة أكثر فاعلية وذلك عن طريق التغير في العمق، وتغير الأولاد والأحفاد وتستطيعين أنْ تقدمي له المُساعدة أكثر ممَّا أنا أقدمها له.
- قولوا لي من فضلك، لماذا ترتبط صحة وطابع الرِّجال بالوضع الداخلي للمرأة؟
- هل قرأتِ كتبي جيِّداً؟
- نعم، طبعاً.
- تذكري أنني كتبت أنَّ مجال الطفل حتَّى عمر الشهرين يُمكن أنْ يتغير؟

- نعم.
- إذاً، منذ عشرة أيَّام سافرت بالطائرة إلى ألمانيا وأخذت معي جريدة، كان فيها مقال يتحدث عن اختراعات الأطباء في مجال جلسات المُعالجة النفسية، وبدا أنَّه في الأيَّام والأسابيع الأولى يبدأ الطفل بالتطور مثل الفتاة. ويبدأ مجال الطفل بالتحدد بعد أسبوعين فقط، وعندئذ يُمكن للفتاة أنْ تتحول إلى ولد، ويُمكن أنْ تبقى فتاة، وفسر العلماء هذا على الشَّكل التَّالي:

في البداية كانت الإناث موجودات فقط في الطبيعة، وفيما بعد ظهر الذكور، والذكر والأنثى واحد، لكنهما متناقضان، وحسب الفلسفة الصينية، فإنَّ كل شيء في الطبيعة ينقسم إلى متناقضين - ذكر وأنثى، «يان» و«إين». إذاً، في كُلِّ واحد منا بداية ذكرية وأنثوية، رُوح ونفس. وبما أنَّ البداية الأنثوية ظهرت أولاً، فإنَّ الحالة العميقة للنساء لدرجة ما تحدد صحة وطابع ليس الأطفال فقط، بل والزوج أيضاً، وإذا استفدنا من مصطلحاتي القديمة، فإنني تصورت ذلك سابقاً كما يلي: حب الله يولد حب النَّاس والعالم المُحيط بنا. وحب النَّاس يولد الأخلاق والروحانيات، والروحانيات تولد الذهن والقدرات. وهي بدورها تتيح تطور وضعنا الماديِّ.

وتسألني المريضة:

- قل لي من فضلك، لماذا إذاً عملت طويلاً. ولم يحدث لدي تطهير معمق؟
- انظري، أنت تعتمدين على المال، وهذا مصدر حياتك واستقرارك. ولديك الكثير من المال، وأنت سعيدة، وبعد ذلك قمت بمحاولات فاشلة لاستخدام مالك، أو ببساطة تعرضت للغش أو أنَّ البنك الَّذي تضعين فيه مالك قد أفلس، وفقدت كل شيء. وإذا كان اعتمادك على المال فقط، فأنت ستفقدين عقلك أو تنتحرين، لكنْ أدركت أخيراً أنَّ القدرات تعطي استقراراً كبيراً وسعادة أكثر من المال. ما دامت هناك قدرات، هناك أموال، لكنْ فجأة حصلت معك أحداث غير متوقعة، وعجزت عن السَّيطرة على الوضع، أو أنَّك شعرت أنَّ قدراتك ليست على ما يرام، وأدركت أنَّ القدرات أهم من السَّعادة والاستقرار الكبير أهم من القدرة والفكر. وعندما كان اعتمادك على المال فقط وعلى القدرات، فإنَّك كُنت قلقة وخفت أنْ تفقديها، وكلَّما خفت أكثر كلَّما فقدتها بشكل أسرع، وعندما يكون هدفك الأساسي أنْ تكوني رُوحانيَّة، فإنَّ ارتباطك بالمال والقدرات سيقل كثيراً

وعندئذ يُمكن أنْ تمتلكيها، لكنْ تخيلي أنَّ إخفاقاً لأفكارك قد حدث، وفشلت مخططاتك وذهبت أدراج الرياح، ولكي تعيشي يجب أنْ تسيري أبعد، وتبدئي العيش بشكل أخلاقي وبحب، أنت تمتلكين المال والقدرة والذهن، وأنت سعيدة وتتمتعين بذلك، وتعيشين الحُبّ الإنساني وأنت لا ترتبطين بها. لكنْ فجأة تقعين في حب إنسان آخر، وهُو يخون حبك، وبالتَّالي الأنا الإنسانية عندك أهينت، وسوف تمرضين، سابقاً كان يقال إنَّ الإنسان الَّذي ابتعد عن كل القيم الرُّوحيَّة واهتم بالماديات فقط فهُو إنسان لا يعتقد بشيء والأهم بالنِّسبة إليه هُو المال والوضع المادِّيّ.

كلَّما شعرنا بالحُبِّ الإلهي أكثر علينا أنْ نخفف من اندفاعنا في حب الأنا الإنسانية قليلاً. وإيقاف وظائف الوحي يحدث عبر التَّخلُّص من الندم على الماضي وإبعاد الخوف من المستقبل و التَّخلُّص من التذمر من الحاضر.

تقبلوا الماضي بحب، والحاضر بحب والمستقبل بحب، وكرروا صباحاً ومساءً: «أنا أعتمد في كُلِّ شيء على الإرادة الإلهية». وعندئذ يتوقَّف تقييم الوضع والتحكم به، وهذه من إحدى وظائف الوعي، وكبداية قوموا بهذا على الأقل، وهذا سيكون عوناً كبيراً جدَّاً لطفلك.

لماذا لم ينتج عن عملك سابقاً شيء فعال؟ لأنَّك تخلص من ارتباطك بالطبقات العُليا للأنا الإنسانية، ودفعت كل شيء إلى الداخل وزدت بالتَّالي من الارتباط بالبنى في العمق. وهذا لم يناقض نظامي لأنَّه كان يعمل إلى قدر ما على أساس الأنا الإنسانية، كُنت أصلي سابقاً لأنقذ الأنا الإلهية، والأدق، لكي نشعر بها ونشعر بحقيقتها، سابقاً كُنت أصلي لكي أكسب مالاً أكثر. وقدرات وسعادة إنسانية، الآن أنا أصلي لكي أختبر بعمق أكثر الحُبّ الإلهي والارتباط أقل بالسعادة الإنسانية، إذا شعرت بهذا الفارق فسوف تستطيعين أنْ تتغيري بشكل حقيقي.

وسألتني المرأة من جديد:

- اعذرني، كيف عليَّ أنْ أعمل بالتحديد، كي أساعد طفلي؟

- انظري، سأقول لك ثلاثة مقاييس: الأوَّل - الاستعداد لتقبل الطهارة من خلال الحُبّ الإلهي والتقليل من الغضب من النَّاس. الثَّاني - الاستعداد لتقبل الطهارة من خلال المرض والكآبة، والثالث - تقبل الطهارة من خلال الموت. وفي هذا المقياس أي الأخير فلديك استعداد بنسبة ٩٠٪، ومن خلال المرض -

نحـو ٨٠٪، ومـن خـلال الغضـب مـن النَّـاس - نـاقص ١٠٠، يعـني أنَّ الطفـل سـيعالج مـن خـلال المـرض، بمـا أنَّ أمـه لا يمكنهـا تقبـل الطهـارة مـن خـلال الغضب من النَّاس. يعني إذا اعتبرت الغضب من النَّاس يأتي في المرتبة الأخيرة اعتبرت هذه الوسيلة طريقاً للحب الإلهي، فإنَّ طفلك لن يحتاج إلى الأمراض والتعاسة أثناء الولادة وبعدها.

شكرتني المرأة، ووضعت السماعة.

تطلعت من جديد إلى النافذة، حيثُ كما كانت سابقاً تسطع أشعة الشمس، وتولدت لدي الرغبة في كتابة كل هذا الحديث وكل الأفكار الَّتي وردت فيه، كي أضمها إلى كتابي السادس.

obeikandl.com

طهـــارة الكـــارمـــا

الحُبّ الأبدي خارج إطار الزمان والمكان، وإذا كانت أفكارنا ومشاعرنا وتصرفاتنا تنطلق منه، نشعر بأنفسنا أننا متحدون مع أولئك الَّذين في الأسفل، ومع أولئك الَّذين في المعنى الإنساني في الأعلى. وبالتواجد في قعر السَّعادة الإنسانية ينتابنا شعوران متناقضان. وعندما نمتلك حداً أقصى من الثروات الإنسانية، ليس المادِّيَّة فحسب، بل الروحية، نشعر بالفرح الإنساني وبالسعادة وفي الوقت ذاته نهتم في أنَّ السَّعادة يُمكن أنْ تدلنا على الطريق نحو الحُبّ الإلهي. وإذا أعطينا أو قدَّمنا جزءاً من السَّعادة الإنسانية، فنحن في هذه اللحظة نهبها لمن يحتاجها بالفعل، وسنكف عن كوننا أسيرين لسعادتنا الخاصَّة. والحب الإلهي لن يترك روحنا ويهجرها. لذا فإنَّ أحد شروط طهارة الكارما هُو التّربية الصحيحة لروحنا على حب الله.

وبقدر ما نفسر للطفل أنَّ المعنى الأساسي للحياة يكمن في تراكم الحُبّ الإلهي، ومهما فعلنا، فإنَّ كل شيء يسير نحو تطوير الحُبّ والحفاظ عليه في الروح، والحافز الآخر القابع في أعماقنا سيكون عدوانياً.

أتذكر كيف عالجت أحد المرضى لفترة طويلة نسبياً، وقام المريض بفعل كل ما طلبته منه، واختبر تلك التَّجارب الَّتي أعطيتها له بجسارة، وفي وقت من الأوقات حصل تحسن في حالته، ومن ثُمَّ ساءت حالته، فكَّرت في آلاف الاحتمالات، وعملت على هذا الموضوع نصف عام. ولم يساعدني شيء. ولم أكن لأحل هذه المسألة ١٥ سنة أو حتَّى ١٥٠ عام. وخلال كل حياتي لم يكن هناك مسألة لم أكن أقدر على حلها أو تركها معترفاً بضعفي أمامها. وأدركت فيما بعد أنَّه إذا لم تحل المسألة في مُستوى واحد، يعني سوف تحل في المُستوى الثَّاني - أكثر شمولاً وعمقاً. ولا ينبغي التوقف أبداً بل يجب السير قدماً. وجاء الحل بشكل غير متوقع. وقررت معاينة أهدافه ومعنى الحياة في لا وعيه، وتبين أنهما في الأموال ورغد الحياة، وأصبح كل شيء واضحاً لي.

- أنت تصلي، وتزيل وتبعد عنك كل الارتباطات وتجتاز كل الاختبارات، قلت له ذلك، لكن في السنوات السابقة كُنت تركز دائماً وتحلم بالشهرة ورغد

الحياة، وعن أمك ستكون أسمى من الآخرين في مُستوى القدرات والمواهب، وفي أفكارك تلجأ إلى الله وتصلي، مفكراً في الحب، ومن الداخل تستمر بالتمسك بالأنا الإنسانية وتجعل منها هدفك الأساسي. تستطيع تربية روحك ومشاعرك العميقة في أنَّك تعيش من أجل «الأنا» الإلهية، وعندئذ لن تكون الأنا الإنسانية خطراً عليك. وعندما تكون لديك نجاحات كبرى لن تحتقر الآخرين ولاسيما الأقل منك. وإذا كانت لديك إخفاقات وفشل فلن تحسد الآخرين وتحتقر نفسك. وفي الحُبّ الحقيقي ليس هناك مفهوم «أعلى» و«أسفل»، وليس هناك انتصارات أو خسارات والأشخاص الَّذين يُحبُّون بعضهم يصبحون مساعدين لبعضهم بعضاً في اكتساب الحُبّ الإلهي. وعندئذ تُصبح الخسارات والاكتسابات وسيلة فقط لاكتساب الحُبّ الإلهي في الرُّوح. وأي تصرف يصدر عنا يعزز ويقوي من النبض الأوَّل. والأهداف الصحيحة تخلق التصرفات الصحيحة. وإليكم هذه الأمثلة:

منذ شهر ذهبت في إحدى الأماسي الشتوية إلى جزيرة «فاسيلوفسك». كانت أمامي سيارة «جيب» من أحدث الموديلات. كانت تسير ببطء، فقررت تجاوزها، لكنْ من أجل القيام بذلك كان لا بد من السير على الطريق المخصص للترامواي. في تلك المنطقة كانت تلك الطُّرُق بحالة يرثى لها، إذ بين السكك هناك حفرة بعمق ٣٠ - ٤٠سم، لكنْ هُنا كان الوضع مغايراً قليلاً، وتبين أنَّ سيارتي كانت غير قادرة على تجاوز سيارة «الجيب»، لم تكن قادرة وحسب - وتابعت السير خلف «الجيب» لمسافة ٣٠ متراً، وهنا مالت الجيب نحو اليمين، وقلت في نفسي إنَّها تُريد أنْ تفسح لي مجالاً لتجاوزها. وفجأة وعندما أصبحت سيارتي على مساواتها تماماً، أصبحت الجيب تسير نحو اليسار أي نحو، حاجبة عني الطريق. لم يتبقَ لي شيء لأفعله إلا أنْ أنعطف نحو اليسار إلى طريق الترامواي. وكان الجزء في هذا المكان سيئاً جداً. واصطدمت سيارتي بالحفرة وسارت قدماً. اعتقدت أنَّ الإطارات ستبقى على طريق الترامواي، لكنَّ السيارة تجاوزت الطريق بـ ٥٠ متراً، وانعطفت نحو الطريق العاديَّة، وسارت «الجيب» من جديد ببطء. وسرت أنا إلى الأمام. وحاولت أنْ أفهم ما الَّذي حدث؟

بعد ذلك حاولت قراءة أفكار ومشاعر سائق سيارة «الجيب» وأصبح كل شيء واضحاً لي. كان يشعر بقدوم الموت بسبب القدرات، وأردت أنْ أعرف فيما يكمن معنى الحياة عنده؟ وبعبارة بسيطة: «يجب أنْ أكون مقتدراً، وذكياً، ويجب أنْ أكون أعلى من الجميع، وأنا

مستعد لقتل أي شخص يُمكن أن يعيقني» فقد قرر ببساطة أنْ يُلقنني درساً وأنْ يتهكم مني لمحاولتي تجاوزه، وقررت أنْ أدرس حالته قبل ذلك الموقف وبعده، وأنا حددت الشُّعُور بالاعتزاز بالنَّفس حسب أربعة مقاييس:

الأوَّل: المال.

الثَّاني: المصير الناجح السعيد.

الثَّالث: القدرة والذكاء.

الرَّابع: المبادئ والمثل العُليا.

حسب مقياس المصير، والقدرات والمثل العُليا كان الارتباط لديه أكثر مرتين من مُستوى الخطورة. وكانت تحوم في مجاله الطاقوي رائحة موت ممكنة. بعد الموقف أصبح الارتباط لديه أكثر بـ ٦,٧ مرَّات من مُستوى الموت. وفي حقله الطاقوي لم يكن الموت فقط، بل موت الأطفال والأحفاد. وخلال ٥ دقائق يُمكن للإنسان أنْ يقضي على حياته وحياة أطفاله وأحفاده. وصحته ومصيره.

إنَّ حقلي الطاقوي يعمل كالكاشف، وأدركت فجأة لماذا يعمِّر اليابانيون في حياتهم ويعيشون أكثر من غيرهم، فهم لا يحتقرون بعضهم بعضاً.

نريد جميعنا أنْ نطيل عمرنا، نشرب ونأكل حسب حمية معينة، دُون أنْ نعرف أنَّ هناك وسيلة أكثر قُوَّة وفعالية، وهي - أنْ نكون لطيفين، ولا نحتقر ولا نكره الآخرين كي نشعر بأنفسنا أننا لسنا أفضل منهم. وهذا بالمناسبة يزيد من العمر ٢٠-٣٠ سنة. ولا أتحدث هُنا عن صحة وحياة الأطفال والأحفاد. وأورد لكم مثالاً آخر.

في كانون الأوَّل عدت إلى المنزل من «القرم»، أردت أن آكل، وفي هذا الوقت توقف القطار في محطة «أوريول» - وفكرت بأنني «أغامر للمرة الثَّالثة». وعندما ذهبت إلى «يالطا»، رغبت في تناول فطائر مع الملفوف، وتبين أنَّ هناك عجوزاً تبيع هذه الفطائر. وعندما سألتها: «هل لديك فطائر مع الملفوف؟» قامت بوضع فطيرتين مع الملفوف على الطاولة محاولة بيع خمس فطائر أُخرى، وبعد ذلك اختفت. ولم يكن هناك ملفوف في الفطائر. تبين أنَّ فيها بطاطس بكمية قليلة جدَّاً. واشتريت من مكان آخر فطائر بالملفوف، وفي القطار، حاولت تناولها، كان هناك ملفوف. لكنْ بكمية قليلة جدَّاً. وفي محطة «أريول» نظرت عبر العربة ورأيت على الرصيف امرأة واحدة تبيع اللبن، وكم كُنت أرغب في تناول الفطائر. لكنْ لا يُوجد. وأما الندم على الماضي كما أصبحنا نعرف فلا يجوز.

- كم ثمن علبة اللبن؟ سألت المرأة.

- ١٥ روبلاً.

مفكراً في الفطائر أعطيتها المال وأخذت علبة من اللبن وذهبت إلى مقعدي في العربة. وما إنْ وضعت العلبة على الطاولة، حتَّى سمعت صراخاً على الرصيف:

- أسرعوا ونادوا الرجل الَّذي اشترى مني اللبن. أسرعوا فالقطار يوشك أنْ ينطلق.

فكرت أنني رُبَّما لم أعطها المال، فأخذت من جيبي المال وركضت مسرعاً نحو المخرج.

وعلى الرصيف كانت تقف المرأة البائعة وبجانبها امرأة أُخرى.

- لقد أعطيتني ٢٠ روبلاً وليس ١٥ روبلاً - قالت لي - ولا يلزمني مال غريب، خذ الروبلات الخمسة هذه.

وأنا، عن دُون تفكير، مددت يدي وأخذت الروبلات الخمسة.

وطلبت مني المرأة أنْ أقول لها شكراً.

- شكراً جزيلاً - قلت لها.

- آه يا عزيزي - قالت المرأة الَّتي تقف بجانبها بسعادة، اشتر مني الفطائر، ثلاث قطع بخمسة روبلات فقط.

اشتريت الفطائر وشكرتها وعدت من جديد إلى مكاني في القطار، وانطلق القطار. «في المرَّة الأولى لم يكن هناك بطاطس عملياً في الفطائر - كُنت أُفكِّر - وفي المرَّة الثَّانية - ملفوف. لننظر ماذا سيكون في المرَّة الثَّالثة. في هذه الفطائر لم يكن هناك عجين، كانت فطائر معمولة من هريس البطاطا وفي داخلها القليل من الملفوف. وكانت لذيذة جدَّاً وتذوب بسرعة في الفم عند تناولها، جلست ضاحكاً وقلت: «لم أتذمر من مصيري، واجتزت الاختبار، إذاً، ما أرغب فيه يُمكن الحُصُول عليه».

جلست وفكرت أنَّه في كُلِّ وضع أو حالة صغيرة جدَّاً تنعكس كل حياتنا، لقد تعودنا أنْ نقول إنَّ الكون مدور، أي كل جزء من المكان يحتوي معلومات عن كل الكون. لكنَّ الكون مدور ليس في المكان فحسب، بل في الزمان أيضاً. وفي كُلِّ حالة هناك تاريخ للكون كله. والآن عندما يسألني المرضى: «ماذا عليَّ أنْ أعمل لأتغير، لا أستطيع أنْ أتذكر كل الأحداث الصغيرة؟» كُنت أجيبهم:

- خذوا حالتين أو ثلاثاً في حياتكم، ومرَّروها في فكركم مئات المرَّات، بحيث تختفي الأنا الإنسانية، وتبقى الإلهية. وأحياناً عدَّة لحظات في حياتنا يُمكن أنْ تعطينا أكثر من سنوات من العمل الصعب.

أصبحت مهتماً فيما إذا تغير حقل تلك المرأة الَّتي رفضت المال؟ وقررت أنْ أحصل على المعلومات عندما رأيتها عبر نافذة العربة.

الأمعاء ليست على ما يرام، وهذا نظام التدمير الذاتي، غاضبة من نفسها ومن مصيرها، ويُمكن أنْ تكون مصابة بمرض حاد، وهناك شُعُور بالعُدوانيَّة مرتفع جداً. ويُمكن حدوث مشكلات في القلب أيضاً، غاضبة جداً من الرِّجال ومن نفسها ومن مصيرها. ونادمة جداً من الماضي. كليتها اليسرى ليست على ما يرام، للاعتزاز بالنَّفس: بالنِّسبة للمال - فراغ - نظافة، المصير السعيد - مرتفع بثلاث مرَّات أكثر من المُستوى الخطر، القدرات - طبيعية، المثل العُليا - أكثر بمرتين من مُستوى الخطر.

كان هذا لديها منذ نصف ساعة فقط، ومن المفيد أنْ نعرف ماذا لديها الآن؟ العُدوانيَّة اللاشعورية - ٣٠٠ وحدة، ا لأمعاء فارغة القلب - نظيفة، غاضبة من نفسها فقط، الكلية اليسرى - نظيفة تماماً.

وأتذكر الآن عندما كُنت منذ فترة في برلين، إذ أتى إليَّ رجل لاستشارتي كانت لدى الأطفال والزَّوجة مشكلات معينة، وأما عنده فكل شيء رائع، «أيعقل أنْ يكون ذلك، إذ إنَّ هذا نادراً ما يحدث». طلبت منه أسماء أقاربه، واندهشت: لدى الجميع كان الحقل ببساطة سيئاً جداً.

- عجيب، قلت له.

أخذت قلماً وبدأت أرسم الحقُول المعلوماتية.

- في عام ١٩٨٧ حدثت لديكم تغيرات داخليَّة كبرى وحتى عام ١٩٩١ اجتزتم كل المحن بنجاح.

نظر إليَّ ضاحكاً وقال:

- في عام ١٩٨٧ قلت لنفسي: «لن أتكلم في المستقبل أبداً بقساوة أو أنْ أشجب وأتذمر من أحد ما». وبعد ذلك كانت هناك حالات صعبة، واجتزتها كلها.

تذكرت هذا الحديث عندما كُنت أقف عنده في المطبخ في شقته الألمانية بعد استقبال المرضى. وفي المطبخ قال لي مضيفي:

- لقد ساعدت النَّاس على استعادة صحتهم، الآن يجب أنْ تهتم بنفسك. واقترح عليك شرب كأس من النبيذ الأحمر.

- فكرة رائعة، قلت له، وسكب لي كأساً من النبيذ وشربناه، وعندما كان يضع اللحمة على النار، وقفت أمام النافذة ونظرت إلى برلين المشعة في المساء.

وتذكرت حادثة أخرى، سعل صديق لي دماً، وذهب إلى الطبيب الَّذي وجد أنَّه مُصاب بورم سرطاني في الرئة. وحددوا له موعداً لإجراء عمليَّة بعد أسبوعين.

- بماذا تشعر؟ سألت صديقي.

فكر قليلاً ثُمَّ أجاب:

- أوَّلاً لم أعد أخاف وقلت للأطباء: «إذا كان لا بد من الجراحة... هيا قوموا بذلك». لكنهم لم يفعلوا شيئاً.

- وقد حاولت قراءة كتبك، قال ذلك بصراحة، لكنني لم أستطع فهمها، لا أستطيع القراءة فحسب، عندئذ قالت الزَّوجة: «أشاهد أفلام الفيديو»، وشاهدتها فعلاً لمدة خمسة أيَّام وابتعدت عن كل شيء ونسيت كل شيء، وبعد عدَّة أيَّام حان موعد إجراء العملية، حضَّرني الأطباء للعملية، وقاموا بإجراء الصُّور الشعاعية، وبعد ذلك قاموا بإجراء الفحوص والمعاينة لي وقالوا ليس هناك ورم لديك!، وأضافوا:

- لا نفهم شيئاً، تعال بعد أسبوع، وسنعاينك مرَّة أُخرى.

ذهبت إليهم بعد أسبوع، كانت رئتاي نظيفتين تماماً، وهذا ما حصل معي بعد مشاهدتي لأفلام الفيديو الخاصَّة بك: أصبحت أنظر بخفة إلى كُلِّ شيء وإلى كُلِّ ما حدث معي وما يحدث.

تابعت الاستمرار في النَّظر عبر النافذة حاملاً كأس النبيذ الأحمر في يدي، وفي هذه اللحظة وقف صاحبي بجانبي: وسألني:

- نخب ماذا سنشرب؟

فكرت طويلاً محاولاً أنْ أعرف كنه الشُّعُور الَّذي انتابني، وهُو كان ينظر إليَّ باهتمام.

- أنت مازلت هناك؟ - وأشار بأصابعه إلى الأعلى - لنتحدث هُنا عمَّ هُو موجود على الأرض.

- وإنْ كُنت تُريد الحديث عمَّا هُو أعلى وأسمى، فليس لدي مانع، ولنشرب من أجل أنْ لا تتحول الثِّقة بالإنسان إلى إيمان بذاته.

وشربنا، وقلت له:

- شيء رائع، ما نؤمن به ليس منزهاً عن الخطأ. ولا يُمكن مراقبة والتحقق ممَّا تؤمن به. نحن نصلي من أجل الإنسان، وآمنا في الحزب والحكومة، وكانا

عليهما أنْ يقودانا إلى بناء الشيوعية، ولذلك كانت قيادة البلد منذ البداية غير مسيطر عليها، كان يُمكن قتل ملايين الأشخاص وجعل الدولة فقيرة، وعدم تحمل مسؤولية ذلك، ذلك الَّذي تؤمن به لا يُمكن أنْ يخطئ، وإذا آمنا باللّه، فإننا نبدأ الإيمان في الإنسان، لأننا بطبيعتنا يجب أنْ نؤمن بشيء ما، وكلَّما كان إيماننا أكثر، كلَّما كان ارتباطنا به كبيراً، وكلَّما كانت العواقب كارثية أكثر، وهذا الإيمان بالإنسان يقبع في أرواحنا، حتَّى هذا اليوم. وما دمنا نريد الإيمان بأحد ما والارتباط به، فإنَّ كل إنسانيَّتنا يجب أنْ تهان. ولن تكون هناك قوانين تتيح لنا المحافظة على شرفنا وكرامتنا وأملاكنا وسعادتنا الإنسانية.

- لدي نخب آخر أريد أنْ نشربه - قال لي مضيفي - لنشرب من أجل ألاَّ ننتمي لشيء ما في حياتنا، ومن أجل أنْ نتقبل أي شيء بقدر من الضحك.

- موافق - قلت له، وبشكل جدي يجب الإيمان باللّه فعلاً.

وتذكرت المكالمة الهاتفية مع إحدى معارفي، فقد كانت تأتي إلى الجلسات الَّتي كُنت أقيمها دائماً وقرأت كل كتبي، إلا أنَّها كانت قلقة دائماً من إخفاقها في مجال العمل، ومرضت، وشخصوا لها المرض على أنَّه «سرطان»، وحبست نفسها في شقتها، وشاهدت أفلامي وقرأت كتبي، وبعد وقت قصير ألغى الأطباء التشخيص.

- قلت للأطباء، إنني إنسان طيب القلب، والإنسان الطيب القلب لا يُمكن أنْ يصاب بالسرطان، وضحك الأطباء، لكنهم كانوا مندهشين عندما كان عليهم أنْ يلغوا التشخيص السابق.

- لم يكفك اللُّطف تجاه نفسك ومصيرك، لكنْ الآن أفضل بكثير، قلت لها، الأهم كان فيما بعد، فقد اتصلت بي عدَّة مرَّات خلال نصف عام، وكان ذلك صوت شخص آخر تماماً، لم يكن هناك في صوتها ندم أو حزن أو أسى واستطاعت أنْ تتحرر من أسر الاهتمامات الإنسانية وببساطة تمسكت بمشاعر الحُبّ والسعادة.

رجعت بالطائرة من برلين إلى «بيتربورغ» وتذكرت الرِّواية الَّتي ذكرتها إحدى معارفي من نيويورك. في كُلِّ مرَّة أسافر فيها إلى أميركا، كانت تطلب مني معاينة حقل ابنتها، وفي كُلِّ مرَّة كُنت أرى في حقل تلك الفتاة موتاً ممكناً.

- لا أفهم شيئاً، قالت الأم بخوف - فأنا دائماً أصلي وأعمل على نفسي.

- لا أعرف، قلت لها، لماذا لا تحدث أي تغيرات داخليَّة. والفتاة تأخذ بشكل جدي كل ما يحدث، وهي لا تستطيع تقبل الفشل إطلاقاً أو الغضب.
- لكنَّ هذه أميركا، تصحح لي الأم - لكنْ لا يُمكن التعامل بجدية مع داخلنا. وإذا كان الهدف ونقطة الانطلاق لا تعتمد على الله وطبيعتنا ليست إلهية بل إنسانية، فإننا سنرتبط بكل ما هُو إنساني وندركه بجدية، لتصلي الفتاة بكثرة وتردد كثيراً في نفسها أنَّه مراكمة الحُبّ الإلهي أعلى وأسمى من السَّعادة، وهُو هدف الحياة.

وصلت إلى نيويورك من جديد وعندما بدأت الحديث مع الأم وعاينت حقل الفتاة كُنت مندهشاً فعلاً.

- أهنئك، قلت أنا، الحق لدى الفتاة لم يتم تطهيره فقط، بل بدأ بالإنارة كذلك.
- أنت تعرف أنني سألتها منذ فترة كيف تتعاملين مع المشكلات الَّتي تواجهينها في المدرسة؟
- أصبحت أنظر بشكل مغاير تماماً إليها - قالت الفتاة - ولدى شُعُور بأنني أعوم فوقها.

في مركز البحوث في سان فرانسيسكو درس الأطباء عدَّة آلاف من حالات الشفاء الذاتي من السرطان. حاول الأطباء العثور على قانونية التغلب على هذا المرض. والشرعية الوحيدة الَّتي عثروا عليها كانت التغيرات الحادة في مصير المرضى. وغالباً يصلي الإنسان في الحالات الحرجة ويعيد النَّظر في حياته، لكنْ لا تحدث تغيرات مناسبة، لأنَّه من الداخل مازال لا يُمكنه التخلي عن كل ما هُو نفيس بالنِّسبة له، وبنيته الدَّاخليَّة لا تتغير عندئذ.

أريد العودة إلى أحداث عام ١٩٩١، لو قال لي وقتها أخي الجراح إنَّه على الرَّغم من أنني مُصاب بالسرطان، ولدي ٥٪ للبقاء حياً، لكنت مت بالفعل. ولكنت خفت في كُلِّ لحظة من المستقبل، ولكنت اعتمدت عليه وتمسكت بيأس بالخمسة بالمئة تلك، ولكنت ركزت بقُوَّة أكبر على «الأنا» الإنسانية.

- لديك ثمانية أشهر - قال لي عند ذلك - وليس لديك فرصة للبقاء حياً.

ثلاثة أيَّام لمرَّة واحدة وأخيرة، ودعت كل ما أعدُّه غالياً بالنِّسبة لي. وبعدها بدأت بقراءة الإنجيل، ووجدت هناك كلمات «الله» و«الحُبّ» ومنذ هذه اللحظة أصبحت أعيش على هذه الكلمات فقط. وبعد شهر أعطى الأطباء تشخيصاً مغايراً تماماً. وبقدر ما نستطيع أنْ

نبتعد عن الأنا الإنسانية، ونشعر بحق بالأنا «الإلهية» المؤلفة من الحُبّ الأبدي، بقدر ما يُمكن أنْ تحدث تغييرات مناسبة شاملة في جسدنا وفي روحنا. ولكنْ إذا دخلنا في الأنا الإلهية، فلا بد من أنْ نترك وراءنا الأنا الإنسانية. ونتخلى عن كل شيء كنا نتمسك به. وقبل كل شيء ما هُو قريب وغالٍ. وبعدها نترك كل الآلام.

منذ فترة رأيت من جديد كيف أنَّ عدم الرغبة في ترك «الأنا» الإنسانية تغطي طريق الأنا الإلهية، ويبدو أنَّك عندما تُصلِّي يجب أنْ لا تعتمد على شيء آخر، والأمل - هُو الهدف بحد ذاته. وهُو يعيش في الزمان وفي المكان. وإذا صلينا، نأمل أن نصلي من أجل الإنسان، وإذا صلينا وكنا نأسف في داخلنا على الماضي أو نخاف من المستقبل فإنَّ هذا ليس صلاة، بل اهتزاز بالهواء، حتَّى لا يسمح لنا أنْ نقف عند عتبة الأنا الإلهية، نحن نلجأ إلى الله وإلى الحُبّ لأنَّ ذلك سعادة كبرى لا يُمكن مقارنتها مع أي سعادة إنسانية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الحالـــة الدَّاخليَّـــة

أصابني سعال شديد منذ الصباح فأخذت دواءً مضاداً للسعال.

كتبت لي فتاة شابة أنَّ أمها مصابة بسرطان الرئة، ومن خلال الخط درست حقل أمها، ووجدت أنَّ هناك موتاً ممكناً لابنها، والموضوع هُو التركيز على الأفكار، وهذا الغيرة والاعتزاز بالنفس، ولديها عُدوانيَّة في لاوعيها، وكان لديها طابع قاسٍ جدَّاً. وهي بحاجة للصلاة وأنْ تعمل على نفسها وتعيد النَّظر في كُلِّ أحداث حياتها، ولتطهير حياة ابنها لا بد لها من المعاينة لمدة نصف سنة.

واقتنعت في ذلك الأمر من خلال نموذجي أو مثالي الخاص، سابقاً كُنت أنظر لهذه المسألة على الشَّكل التَّالي: أمرر يدي وأقول: «هناك كل شيء واضح! كان تركيز كبير على «الأنا» الإنسانية، وتراكمت العديد من الآلام».

وما زلت آمل أنْ أعثر على آليَّة للتغلب على المشاعر الشاملة.

وأتذكر حادثة المرأة الَّتي جاءت إلى جلسة الاستقبال وكانت مصابة بسرطان الثدي.

- أتعرف لقد شعرت منذ عام أنَّ هناك شيئاً ليس على ما يرام عندي، زرت الأطباء عدة مرَّات للمعالجة، وكانوا يضحكون وقالوا إنني أخترع كل هذا من تلقاء نفسي وأنَّ كل شيء طبيعي. صدقتهم وهدأت. وعندما بدأت المشكلات الحقيقية، ذهبت من جديد إلى الأطباء، لكنْ كان ذلك متأخراً، وكان عليهم إجراء عمليَّة لاستئصال الثدي.

أعود فكريَّاً من جديد إلى نفسي، ففي الفترة الأخيرة كُنت أعاني من آلام حادة في النصف الأيمن من صدري، والورم القادم، كما هُو الحال مع كل مرض، يتشكل في البداية على مُستوى الحقل الطاقوي. ولم يكن هناك مرض بعد، لكنْ في هذا المكان بدأت تظهر آلام حادة يُمكن أنْ تستمر لسنوات. كأنها إشارات عن عدم اللُّطف أو دماثة الخلق. وإذا لم تحدث تغيرات داخلية، فإنَّ المرض سوف يبدأ بالتأكيد.

وهذه الآلام مُتكرِّرة وستستمر ١٥ سنة، وحتى إنني أتذكر متى بدأت. أصبت كثيراً بالتهاب الرئة، وأذكر أنني بقيت شهرين في مشفى مصاباً بالتهاب الرئة، لكنَّ المُعالجة لم تؤد إلى أيِّ نتيجة، وقال لي المدير بأنَّ عليَّ أنْ أجري تحليلاً للسكر. لم تبين التحاليل أي شيء. وخرجت من المشفى سعيداً ومرَّ كل شيء بسلام. وعندما عملت في لينينغراد أصبت خلال عام واحد بثلاث مرَّات من التهاب الرئتين، ولم أستطع بأي شكل أنْ أتغلب على استيائي من العالم المُحيط بي، وبالمناسبة، فإنَّ عملي هناك في لينينغراد هُو الَّذي أنقذني، وكنت أعمل في البناء. وقبل هذا كُنت منغمساً في عالم الأفكار و الوعي، بحيث إنَّ مشاعري بدأت تختفي. وأثناء عملي في البناء لم يكن لدي الوقت لأفكر في شيء. وعلى الرَّغم من أنني درست في معهد ليلي فإنَّ وقتي الأساسي كُنت أقضيه لأكسب قوت حياتي.

إذاً، في أواسط الثمانينيات، وعندما كُنت قد تزوجت وصار عندي طفلة، كان ينتشر في المدينة مرض «الأنفلونزا» ومرضت في تلك الفترة، وكانت درجة حرارتي ٤١، لم تكن بالأنفلونزا فقط، بل كان هناك سعال وآلام في الصدر - وكل هذا كُنت أعرفه منذ زمن، وعندئذ لم أكن أعرف أنَّ سبب مشكلاتي ليس الرشح، بل المثالية غير الواقعية تجاه الأشخاص القريبين والعالم المُحيط. وبدأت بمعالجة نفسي ممرراً يدي على جسمي. وبعد يومين أصبحت الحرارة ٣٧°. على الرَّغم من أنني لم أتناول أي أدوية. وقررت أنْ أستشير الطبيب لأنني بحاجة إلى تقرير طبي. جاءت امرأة، نظرت إليَّ وقالت:

- الأنفلونزا العاديَّة، وعليك ألاَّ تبقى في غُرفة واحدة مع الأطفال، وسوف نستدعي الإسعاف لنقلك إلى المشفى»، ارتديت ملابسي وبعد ٣٠ دقيقة جاءت سيارة الإسعاف وأدخلوني إلى المشفى، حيثُ كان الجو بارداً. بعد نصف ساعة جاءت الممرضة وأعطتني مقياس الحرارة. وبعد فترة جاء الطبيب، وارتفعت الحرارة من جديد، كُنت أشعر بالبرد وعدم الراحة.

عاينني الطبيب وهُو صامت وبعد ذلك أخذ مقياس الحرارة، وقال:

- آه ... ٤١°، وقال: لدى هذا الشاب التهاب الرئة، وليس لديه أي أنفلونزا، أرسلوه إلى غُرفة العناية وابدأوا بإعطائه المضادات الحيويَّة.

كان مساءً، في يوم الجمعة، حيثُ وضعوني في غُرفة كان فيها عدَّة شباب، ١٠-١٥ شخصاً. وقد فتحوا النافذة لإنعاش الغرفة بالهواء. وكان شهر شباط على الأبواب، في البداية خلعت بيجامتي واستلقيت تحت الغطاء، لكنني كُنت أشعر بالبرد، فقد كان الغطاء رقيقاً. ارتديت بيجامتي ومن جديد استلقيت على الفراش، وعلى الرَّغم من أنَّهم أغلقوا النافذة إلا

أنني كُنت رغم هذا أشعر بالبرد، وكنت أرتجف طوال الليل من البرد. وفي الصباح، وبسبب البرد أصبت بالرشح. واقتربت من الممرضة المناوبة وقلت لها:

- أتعرفين، إنني مُصاب بالتهاب الرئتين، وأنا أشعر بالبرد كثيراً، ألاَّ يُمكنك أنْ تعطيني غطاءً آخر؟

- دُون إذن من الطبيب لا نعطي شيئاً، تعال يوم الاثنين، حيثُ سيأتي الأطباء.

عُدْتُ إلى الوراء - وكل ساعتين أو ثلاث كانت تدخل الممرضة وتحقنني بإبرة مضادات حيويَّة، ولكنْ وبقدر ما كُنت أشعر بالبرد، فإني حالتي قد ساءت أكثر، في مساء يوم السبت بدا أنني أقع أمام خيار صعب، فإذا لم يعطوني إبرة مضادات حيويَّة، فإنَّ جسمي سيبدأ بالصراع بنفسه، وإذا ساء الوضع أكثر، فإنَّ حصة كافية من المضادات الحيويَّة يُمكن أنْ تنقذ الوضع، والآن وفي هذا البناء السَّيِّئ وعلى الرَّغم من المضادات الحيويَّة، فنَّ حالتي تسوء كثيراً، وفي حال ساءت أكثر فإنَّ أحداً لا يُمكنه إنقاذي. لذلك عندما دخلت الممرضة مساءً، قلت لها بأنني أمتنع عن تناول أي شيء. وفي يوم الأحد حاولت من جديد أنْ أعالج نفسي بنفسي، ومررت يدي على جسمي وتوصلت إلى نتيجة مفادها أنَّه ما دام هناك دفء في المنزل فإنَّ لديّ فرصاً أكثر هناك كي أعيش. لذلك عندما طلبني الطبيب يوم الاثنين وسألني لماذا امتنعت عن تناول الدواء، لم أحتمل وقلت له:

- أنت تتعامل بشكل غير إنساني مع المرضى، والأفضل أنْ أذهب إلى بيتي.

نظر إليَّ الطبيب باندهاش من خلال نظارته، وقال:

- كما تُريد، لكنْ عُمُوماً يقومون بتخريج النَّاس من المشفى في أيَّام أُخرى. وثيابك موجودة في مبنى آخر، وعليك أنْ تذهب لأخذها بنفسك.

وأعطوني بعض الثياب، وانتظرت حتَّى ترتدي الممرضة ثيابها وذهبت خلفها عبر الباب، كانت درجة حرارة الطقس نحو ١٥ تحت الصفر، وفكرت أنني سأمشي ١٥٠ متر وسوف أكون في المبنى الدافئ لأخذ ثيابي، وتبين أنَّ المساحة الأرضية حول المشفى واسعة جداً، وسرنا نحو ١٥ دقيقة في ذلك الطقس حسبما أتذكر. وعندما اقتربت من الأبواب مرتدياً ملابسي، حيثُ كانت زوجتي تنتظرني، قلت لها:

- أتعرفين، يبدو أنني الآن لن أعيش، وعندما اقتربنا من منزلنا رأيت أخي.

- منظرك شاحب - قال لي - سأذهب إلى الصيدلية، وأشتري «فيبراميتسين»، وهُو مضاد حيوي جيد، وتناوله بسرعة، ولكنْ قبل تناوله خذ فنجاناً من الشاي الساخن، وضع شيئاً ساخناً على صدرك.

بعد يومين استدعيت من جديد الطبيب للمعاينة.

- في الورقة الَّتي أعطوك إياها في المشفى كتب أنَّك كُنت عدوانياً هناك وامتنعت عن تناول الأدوية، لذلك لن أجدد لك بطاقتك للمشفى. قال ذلك وذهب.

مكثت في البيت ثلاثة أيَّام ثُمَّ ذهبت إلى العمل، وبما أنني عملت فناناً تشكيلياً، وكنت ماهراً في ذلك فإنَّهم لم يطردوني من العمل. بعد شهرين من هذا كُنت أشعر باستمرار بألم في النَّاحية اليمنى من قفصي الصدري. واعتقدت أنَّ هذا من بقايا المرض. وأذكر الآن أنَّ هذه البقايا كانت بمثابة استيائي من النَّاس ومن مصيري، حيثُ إنَّ أكثر شيء أثار استيائي هُو تعامل النَّاس غير الإنساني وشعورهم اللامبالي تجاه العذاب والموت. وأدرك الآن أنَّ في داخلهم حدث عندهم ما حدث لي. وإنَّ مشاعرهم أصبحت ميتة لأنَّ أفكارهم وأهدافهم ومخططاتهم كانت أهم بالنِّسبة لهُم. نحن كنا جميعاً جلادين وضحايا في الوقت نفسه. وكل ما هو إنساني لدى هؤلاء النَّاس قد تغلب وتفوق على كُلِّ ما هُو إلهي وبالتَّالي أصبح يتفكك فيما بعد.

عندئذ لم أكن أعرف أنَّ ما حدث معي يتحدد من خلال حالتي ووضعي الداخلي، ولم يكن يخطر في ذهني أبداً أنَّ ما حدث معي كان بمثابة علاج لروحي، وبشكل أدق، علاج «للأنا» الإلهية، عشت ما هُو مقدس، لكنْ ليس إنساني، دُون أنْ أشك أنَّ أي سعادة إنسانية ما هي إلا مادَّة خام لخلق «الإلهي» في نفسي.

تربيـــة المشـــاعـــر

كتبت في أحد كتبي السابقة كيف حكتني أذناي، وفي الصحراء فقط، حيثُ طاقة المكان خالية من المشاعر الإنسانية، وقد اختفت هذه المشكلة عندي. ومما قيل يُمكن أنْ نستخلص شيئاً: ١ - علاقتي الإحساسية في اللاوعي مع العالم المُحيط قويَّة للغاية. وعليَّ، على الأرجح، أنْ أتذكر شيئاً ما في إيقاع حياتي. لكنَّني فكرت أنَّ الصَّلاة وإعادة النَّظر في حياتي كي أتخلص من هذه المشكلة أمر كان تماماً. الأذنان هما الغيرة. وفي الوقت ذاته تولدت في لا شعوري عُدوانيَّة تجاه الناس. حاولت في كُلِّ مرَّة أنْ أعثر على حالات ومواقف في حياتي للغفران والتخلص من الاستياء. ومع مرور الوقت تحسن الوضع أفضل، لكنْ فيما بعد عاد بشكل أسوأ. ولم تتح لي الأعمال الدائمة والاهتمامات أنْ أهتم بهذا الأمر بشكل جدي.

في ربيع العام الماضي أصبت عوضاً عن الحكَّة في الأذنين، بألم كان يزداد مساءً بشكل لا يحتمل. ومن الداخل، في الأذن اليمنى، بدأ المرض وتشكل خرَّاج وبسببه لم أستطع أنْ أضغط على فكِّي. وتطور المرض بسرعة، بحيث إنني في كُلِّ مرَّة كُنت أجهز نفسي للموت. واستلقيت في فراشي مبتعداً عن كل شيء وبدأت الصَّلاة. وفي هذه المرَّة بشكل حقيقي. وليس بشكل عابر كما في السابق وفي الصباح اختفى كل شيء. سعدت كثيراً ونسيت هذا الأمر. وبعد أسبوع أصيبت أذناي بالجرب، كان في البداية بسيطاً، لكنْ أصبح لا يطاق فيما بعد، وملت من هذا كله. ونصحوني باستشارة مختص معروف وذهبت إليه. لم يعثر الدَّكتور على شيء، وكتب لي دواءً اشتريته من الصيدلية وكان عليَّ أنْ أضعه في أذني ٢ - ٣ مرَّات في اليوم. قمت بهذا الأمر لمدة أسبوع، واختفى الألم والجرب من أذني.

وقلت في نفسي: غريب هذا الأمر، لقد صلَّيت سنة كاملة، ولم تكن هناك أي نتائج، وهنا وخلال بضعة أيَّام اختفت كل مشكلاتي. هناك شيء ما في أبحاثي لا يكفي. أو أنَّ شيئاً ما في داخلي ليس على ما يرام.

ولم ألحظ شيئاً سلبيَّاً خاصاً، أي تنقُّل المشكلات. وكأنَّ أذنيّ قد تعافتا، وما تبقى لم يصب بشيء. في بداية الصيف ظهرت لدي مشكلات ذات طابع إحساسي مشاعري، ولم

أعان من هذا مسبقاً أبداً. وأدركت أنَّ هذا إما استمرار للمرض، أو أنَّ عليَّ أنْ أغيِّر شيئاً ما جدياً في تعاملي مع العالم، لكنْ كي أتغيَّر لا بد من الابتعاد عن الواقع وقطع كل العلاقات الَّتي تدفعنا إلى الإيقاع الطَّبيعي للحياة. ولا بد من توفير الطَّاقة لمثل هذه التغييرات. وأنا لم أستطع بأي شكل أنْ أبتعد عن الإيقاع الطَّبيعي والمتوتر باستمرار في الحياة. ومع كل مريض جديد حالته معقدة كُنت أحاول أنْ أنغمس في تلك الحالة مهما حصل، وهذا كان يفقدني كمِّيَّة كبيرة من الطَّاقة.

وكان هناك عامل جدي آخر، عندما نحب شخصاً ونتعلق به بقوة، فإننا في المقام الأوَّل لا نُركِّز على جسده، بل على عناصره الرُّوحيَّة العُليا. وعندئذ يستطيع الإنسان إما أنْ يموت أو يمرض. وهناك طريق أُخرى أيضاً - التخلي عن القيم الرُّوحيَّة، والتي يزداد الارتباط بها. أدركت ما يعني: «لم يختبر الأنابيب المعدنية». والمجد هُو العشق والارتباط بالعديد من الأشخاص وليس بشخص واحد. وهُو يقتل من دُون ملاحظة، لكنْ بشكل مضمون، ويصبح الإنسان غير متغير بخيلاً مرائياً فوضوياً حسَّاساً إلخ. ويحاول الإنسان أنْ يعثر على شيء ما موازٍ كي يحيا، مُركِّزاً جهوده على كُلِّ ما هُو مادِّي. وقد مات العديد من الأشخاص الموهوبين والمشهورين لأنهم كانوا يحافظون على انتقامهم ولطفهم باعتبارهم أصحاب مجد.

هناك طريق الابتعاد الجزئي عن الروحانية، وهي الكحول أو المخدرات أو الامتناع عن ذلك النَّشاط الَّذي يقود إلى المجد، أو الوحدة والعُزلة وعدم الاختلاط بأي إنسان، أو الفقدان التَّدريجيّ للقدرات، أو الأمراض المستعصية، غير المرئية من الخارج، لكنها تتَّسم الحياة باستمرار، والإخفاق التام في الحياة الخاصَّة والشذوذ الجنسي وغيرها. شعرت منذ عدَّة سنوات كيف كان اهتمام الَّذين قرؤوا كتبي عالياً، حيثُ كان يبدأ بدفعي ببطء إلى الأرض.

أتذكر عدم فهمي جيِّداً لمحاولاتي العديدة لإصدار كتاب خارج البلاد، فقد فشلت كلها، وقيل لي إنَّ إصدار كتاب في أي دولة غربية يُعَدُّ خطوة نحو القبر. وسابقاً كُنت واثقاً أنَّ أي ذكر لأبحاثي سيكون على الأقل بعد مماتي. وعندما بدأت أؤلف الكتب حول أبحاثي اعتقدت أنَّ الشهرة ستكون بعد ١٠ - ١٥ سنة وقد سرَّعت وسائل الإعلام هذه العمليَّة بشكل لافت.

روت لي امرأة في أحد الأيَّام قائلة:

- عانت إدارة شركة توليد الطَّاقة من مشكلة غير مفهومة أبداً، إذ مرض جميع العاملين مرتين في الشهر. ولم يعمل أحد، واستدعوا الأطباء النفسيين

والأطباء. وتبين أنَّ الإجازات المرضية الَّتي يأخذها العاملون تأتي في الوقت نفسه الَّذي يبث فيه التَّلفزيون برنامج «بوميرانغ» الَّذي كان مشاهداً من الجميع، وحيث كان موضوع ذلك البرنامج أبحاثي. وقررت الإدارة وضع تلفزيون في مكان العمل، وبالتَّالي لم يَعُد العاملون يدعون المرض.

لكنْ ليس كل الأشخاص المعروفين يعانون عندما يبقى الاهتمام بهم كبيراً، حتَّى إنَّ هناك أشخاصاً أتقياء راكموا الحُبّ في نفوسهم. وهذا الحُبّ يُمكن أنْ يكفيهم لـ ١٠-١٥سنة من الشهرة، وهكذا كانت حالتي. فقد كُنت في طفولتي أمرض دائماً وغامرت بحياتي، وبقي لي طريق واحد فقط، وهُو الخُرُوج من الأنا الإنسانية إلى الإلهية. وما إنْ تُصبح الأنا «الإلهية» أكثر واقعية من الإنسانية فإنَّ شهرتي لن تقتلني.

من السَّهل الحديث، لكنَّ المهمُّ كيف نقوم بذلك، وطبقاً للوضع الإحساسي، فقد تمكنت من القيام بذلك. فقد ساء الوضع وبسرعة كافية، وظهرت من جديد مسألة استقبال المرضى. شعرت أنَّ الجلسات ستُصبح خطراً عليَّ. لكنْ من جهة أُخرى، إنَّ الإنقاذ يُمكن أنْ يأتي عبر الجلسات فقط، وأفسِّر لكم ذلك. إنَّ التقدم إلى الأمام وإدراك وتغيير العالم لا يُمكن دُون الحُصُول على نسبة جديدة من حب الله، ولكنْ، ولكي نحصل عليها لا بد من منح الحُبّ الإنساني. وكل مفاهيمي الشاملة وأفكاري الجديدة جاءت كنتيجة للرغبة في مُساعدة الآخرين، والاستعداد للتضحية بنفسي من أجل حب الآخرين. وإنَّ تأليف كل الكتب كان استمراراً لما كُنت أقوله في الجلسات. لا الحمية ولا الامتناع عن تناول الطعام، قدمت لي ذلك الحب، بقدر ما أعطتني إياه الرغبة في مُساعدة وإنقاذ الآخرين. وبقدر ما كانت الجلسة خطراً عليَّ، بقدر ما كانت ضرورية، ووصلت إلى حلٍّ وسط، الجلسات خارج روسيا يومين أو ثلاثة لمُساعدة المرضى والحصول على المعلومات لتأليف الكتاب السادس.

في تشرين الثَّاني ١٩٩٨ طرت إلى نيويورك، والأحداث الكبرى كانت في أميركا، حيثُ عادة استغلال الآخرين وعدم الرغبة في اعتبار الشَّخص من الدَّرجة الثَّانية والتركيز على الزعامة، هذا ما يشعر به سُكَّان أميركا، وليس غريباً أنَّ لدى كل إنسان شُعُوراً بالخمول والشيزوفرينيا، ولا يُعَدُّ ذلك مرضاً. وكأنَّ الشيخوخة قد أصابت وعيهم والحصول على المعلومات، يتم بشكل صعب جدَّاً. ومن الصعب جدَّاً العمل مع هؤلاء المرضى، إلا أنَّ هناك إمكاناً للبحث عن طُرُق جديدة للإقناع والتأثير.

أتذكر قصَّة كيفيَّة اختيار العسكريين، ثلاثة أيَّام من المسير في الصحراء دُون قطرة ماء، ومن ثُمَّ إتاحة الفرصة للشرب من النهر، وأولئك الذين شربوا بهدوء وبكرامة، يتم

عدُّهم أفضل العسكريين. فهم لم يكونوا مرهونين لرغباتهم، ولم يصبحوا عبيداً لها. إنَّ مشاعرنا تربطنا مع الموقف الَّذي نتواجد فيه، وبقدر ما نصبح عبيداً لمشاعرنا، بقدر ما نصبح عبيداً للموقف الَّذي نتواجد فيه، ونرتبط به دائماً. إخضاع والتحكم بالموقف أصبحنا لا نقدر على القيام به. والشيء الوحيد القادرين على فعله هُو الغضب والكره من الداخل واللذان يدمران روحنا ومصيرنا وجسدنا. وإذا لم يكن العسكري عبداً لمشاعره، فهُو يتحكم بالموقف أثناء المعركة في كُلِّ أحداثها.

والشرط الأوَّل والأساس لاستقلالنا عن رغباتنا هُو العثور على نقطة انطلاق أخرى، كان النَّاس يقومون بذلك سابقاً. فإذا فشل في الحُبّ وكانت لديه رغبة لتأسيس عائلة يبدأ الإنسان بالعمل وبناء شخصيَّة عمليَّة له. لكنْ كلَّما سرنا أكثر، كلَّما تعممت أكثر كل رغباتنا ونبدأ بملاحظة أنَّها كلها مرتبطة وتنطلق من الحُبّ الإنساني. وفي نهاية المطاف إنَّ سعينا وراء رغباتنا يقودنا إلى مأزق، وندرك أنَّ أي انتقال من رغبة إلى أخرى، لن يقلل من تبعيتنا لمشاعرنا، ونتغلغل أكثر في كُلِّ ما هُو إنساني، وعندئذ يبدأ كل ما هُو إنساني بالانحلال. وتبدأ الأحزان والأمراض والإدمان على الكحول والمخدرات وغيرها.

ولكننا في عمليَّة البحث هذه سنجد تفصيلات شيقة، هناك مواقف، حيثُ نغضب، ويجب ألاَّ نُركِّز على الغضب، بل على الحفاظ على الهُدُوء واللُّطف. ويصبح الغضب سطحياً ويذهب بسرعة. ونحقق أكثر عندما لا يبقى هناك غضب في داخلنا، وموقف آخر يرغمنا على الندم على شيء ما فقدناه. والضروري لنا هُو الحفاظ على اللُّطف ودماثة الخلق. ويبدو أننا طالما لا نندم على شيء ما فقدناه بقدر ما يُصبح من السَّهل علينا الحُصُول على شيء جديد، وندرك بالتدريج أنَّ الاعتماد على اللُّطف ودماثة الخلق يتيح لنا التَّخلُّص من تبعية حب المشاعر. وتصبح كل رغباتنا أسهل، وبقدر ما نكون غير تابعين لها، بقدر ما يكون تحقيق تلك الرغبات أسهل.

قرأت في مكان ما تلك الجملة: الجندي الأكثر قُوَّة - هُو الأكثر لطفاً، وأشعر أنَّ هذا صحيح، لكنَّني لم أفهم آليَّة ذلك، والآن فهمتها.

ولنمض قدماً. إنَّ اللُّطف المستقر والعميق يجعل منا أشخاصاً أصحاء وسعداء، وندرك كم هذه سعادة كبرى أنْ نكون لطفاء، ونعتبر أنَّه في أساس هذا الشُّعُور هناك حب الآخرين. لكنْ فجأة تقع الخيانة ويُهان شعورنا بالحب، وهذا يعني أنَّ اللُّطف أيضاً يجب أنْ يزول. وهناك مَنْ يخون لطفه محتقراً وكارهاً الآخرين، وهناك مَنْ يحاول الحفاظ على اللُّطف تجاه الآخرين، لكنَّه يبدأ بكره نفسه. أي تقع خيانة خفيَّة للطفل. وهناك مَنْ يحاول الحافظ

على الدفء واللُّطف عندما يُحْتَقر حبه الإنساني، وعندها نفهم أنَّ اللُّطف لا يتمتع بطبيعة إنسانية، وهُو يأتي من حب الله، وعندها نحاول أنْ نشاهد في كُلِّ شيء «الإلهي»، ونركز على الإلهي. ومهما اهتزَّ وضع «الإنساني»، فإنَّ الحفاظ والثقة في الحُبّ الإلهي واللُّطف يُعَدُّ الهدف الأساسي والسعادة الأساسيَّة.

ولكنَّ هذا الانتقال من الإنساني إلى الإلهي لم ينجح لدي، زد على ذلك، الازدواجية في لا شعوري تزيد بالتدريج، وتظهر الطبقات العُليا للمشاعر في اللاوعي والتي أستطيع التعامل معها. وأرى كيف تظهر لحظات الغيرة والغضب، في العمل وفي المجال كله وتظهر بذور الحياة الماضية، وأنا أستطيع التعامل في أفضل المواقف مع هذه وتلك، وأدرك طبعاً أنَّه إنْ تصرَّفت بشكل صحيح عبر ١٠ - ٢٠ - ٥٠ سنة فإنني سأتغلب على هذه السلبية، ولكنْ إذا دفعتني هذه المشاعر أو أنَّ هذا الوضع يضغط بقُوَّة علي من النَّاحية الإنسانية، فإنَّ رحلتي في العوالم الأخرى ستكون قبل بكثير مما كُنت أرغب، أي عليَّ أنَّ أتحرر من ضغط المشاعر العميقة جداً، وهذا لم يحصل معي بعد. ولكنْ سنعمل وسوف نجمع المواد للعمل.

بدأت أتذكر وأحلل كل الحالات، حيثُ كل المشاعر غير المستقرة تُؤدِّي إلى المشكلات.

كانت القضية عندما كان الاتحاد السوفييتي ما زال موجوداً، أحد الأشخاص تعب من التَّمتُّع بروائع الاشتراكية، قرر السفر إلى الغرب، واشترى بأمواله المتراكمة جواهر، ووضعها في كعب حذائه، وذهب إلى المطار مع ابنه بالسيارة، وفجأة سأل الأب من دُون توقع:

- كفى، يا بني، أوقف السيارة، لنبدل أحذيتنا، لا أستطيع.

قال الابن:

- بابا، اهدأ، لم أسمع منذ فترة طويلة أنَّهم قاموا بتفتيش كعوب الأحذية، لن تخطر على بال أحدهم أنَّ في كعب حذائك جواهر.

قبل أن يصلوا إلى المطار بقليل طلب الأب من ابنه من جديد أنْ يوقف السيارة.

- لا أستطيع وكفى، قال الأب: سأنتعل حذاءك.

وقام الابن بانتعال حذاء والده، وفيما بعد كان الأمر الشيق، اقترب رجل جمارك كبير في العمر من الأب، نظر في عينيه بهدوء وربَّت على كتفيه.

- اخلع حذاءك.

قاموا بتفتيش الحذاء أوَّلاً من جميع جوانبه، وبعد ذلك خلعوا الكعبين، ومن ثُمَّ قطعوا جلد الحذاء بالسكين إلى سنتيمترات.

- كيف سأسافر هكذا؟ قال الأب مالك الجواهر.

- خذ الحذاء إلى أقاربك، قال رجل الجمارك بتوتر.

- أيها الابن، قال الأب، أعطني حذائي، يبدو أنني سأسافر فيه.

فعل الابن ذلك وهُو سعيد. وحملا معهما الجواهر إلى الغرب.

بقدر ما نكون غير تابعين لمشاعرنا، بقدر ما يكون الموقف أفضل لنا، ونبدأ بالتحكم بالموقف بشكل استراتيجي وفي الوقت نفسه، والشَّخص الَّذي يحافظ على اللُّطف الداخلي لن ينكسر عند المحاولة الأولى، حيثُ الموقف قد لا يسمح له تحقيق شيء ما. وبقدر ما يكون الإنسان متعلقاً بالوضع بشكل أقل، بقدر ما يقوم بالمحاولات المُتكرِّرة لتغييره.

وسأورد لكم مثالين:

كان عمر جدتي نحو ٧٠ عاماً، وقرَّرت الانتقال من لينينغراد إلى سوتشي للعيش هناك. وكان هذا في نهاية السبعينيات. لكنَّ كل محاولاتي للانتقال لم تنفعها بشيء. وقد قالوا لها في المكتب المسؤول عن ذلك بأنَّه لا يُمكن تسجيل المتقاعدين في سوتشي، وبالتَّالي الانتقال ممنوع، وكتبت رسالة إلى المجلس التنفيذي في سوتشي، وجاءها جواب مُذيَّل بتوقيع رئيس المجلس التنفيذي في سوتشي، حيثُ جاء فيه أنَّه تَمَّ اتخذا قرار لا يسمح بتسجيل المتقاعدين أو إقامتهم في سوتشي، وحتى الانتقال في المستقبل لا يجوز، وقامت الجدة بإرسال هذا الجواب من رئيس المجلس، وكذلك رسالتها الَّتي أرسلتها إليه، إلى إدارة تحرير صحيفة «البرافدا» الصحيفة الأكثر شهرة في الأوقات السوفييتية، وكان الجواب ممتعاً بالفعل، إذ جاء فيه:

- كل ما تعتبرينه رفضاً، هُو ليس رفضاً في حقيقة الأمر، حيثُ لا يعتمد على أي قانون، والجواب الرسمي يجب أنْ يكون على الشَّكل التَّالي: «بناءً على القانون كذا، وإشارة إلى المادَّة كذا، نحن مضطرون لرفض طلبكم».

والرد الَّذي استملته الجدة من إدارة تحرير الصحيفة، قامت بإرساله إلى الإدارة الرَّسميَّة في سوتشي، وبعد شهرين، تَمَّ الانتقال من دُون أي مشكلات.

الموقف الثَّاني حصل معي:

في بداية السبعينيات سافرت من «سوتشي» إلى «لينينغراد»، وقد عشت لسنوات طويلة في سكن للعمال في مجال البناء، ودرست مساءً في قسم لكلية الهندسة المعمارية، بقيت والدتي في «سوتشي» في شقة من غرفتين، وكان يُمكن أنْ يأخذوا الشقة منها لأنَّ شخصاً واحداً فقط يقيم فيها. وكان لا بد من وثيقة تنصُّ على أنَّني أدرس في الكُلِّيَّة يومياً، أي

أستطيع العودة. وصلت إلى المعهد، وفي الجدار كان هناك نافذتان أو ثلاث، وتجلس فتيات يقمن بإدارة الديوان، نظرت إلى النافذة ورأيت هناك فتاة وسيمة.

- من فضلك أحتاج إلى وثيقة تثبت أنني أدرس في الكُلِّيَّة بدوام يومي.

قالت الفتاة:

- حسناً، أعطني بطاقتك الطلابية.

بدأت بكتابة الوثيقة وفجأة سألتني باندهاش:

- لكنَّك تدرس في الكُلِّيَّة مساءً فقط، لماذا تُريد وثيقة دوام يومي؟

وبدأت أحرِّك بعيوني وألوِّح بيديَّ:

- أنا أحتاج إليها فعلاً.

وظهرت في عيني الفتاة ملامح الحرص والحذر الشديدين.

- لن أعطيك الوثيقة، خذ بطاقتك الطلابية.

أخذت بطاقتي وابتعدت عن النافذة، الوثيقة ضرورية، ضرورية جداً، سرت وأنا أُفكِّر ماذا أفعل، قرَّرت انتظار استراحة الغذاء، ورأيت كيف خرجت تلك الفتاة واقتربت منها، مبتسماً بلُطف قدر الإمكان.

- يا آنسة، هذه الوثيقة ضرورية جدًّاً لي، تُريدين أنْ أعطيك مئة روبل مُقابل إعطائي الوثيقة.

وكان هذا المبلغ متوسطاً حسب تلك الأيام، ابتعدت الفتاة عني بخوف.

- لن أعطيك الوثيقة حتَّى لو أعطيتني مليون روبل، قالت ذلك بحزم وابتعدت. مسكت رأسي، والوضع يزداد سوءاً أمام عيني. والوثيقة يجب أنْ أحصل عليها، سرت في الممر واستمريت في التفكير، في هذا الوقت عادت الفتاة من جديد إلى مكتبها، اقتربت ورأيتها من جديد عن بعد في مكتبها. وكان يعيقني مجموعة تمركزت أمام النافذة، وكان هناك مدخل مكتب المدير، وكان على الطالب مقابلته لأمر ما على ما يبدو. وكانوا صاخبين، ودخل أحدهم إلى مكتب المدير، وسمعت ضجة هناك، وفجأة كان لا بد من اتخاذ قرار، اقتربت من النافذة ومن جديد مبتسماً بلُطف.

- يا آنسة، هذا أنا من جديد.

- ماذا تريد؟ سألتني بحزم.

- إذا جاء إليك الآن المدير وأمرك أنْ تعطيني تلك الوثيقة، هل تعطيني إياها؟

obeikandl.com

هزت كتفيها وقالت:

- أعطيك.

- هرعت مسرعاً إلى غُرفة المدير. وفي طريقي إليه سألت أحد الطلاب عن اسم المدير.

- ما اسم المدير؟

- إيغور سيرغييفيتش.

- حسناً، قلت ذلك ودخلت إلى المكتب، والمدير في هذا الوقت قد ملَّ من صراخ وسؤال الطلاب.

- إيغور سيرغييفيتش، صرخت عند العتبة، الآنسة هناك لا تعطيني الوثيقة.

- مَنْ هي الَّتي لا تعطيك الوثيقة.

- الآنسة هناك في الديوان، أعطيتها بطاقة الطالب، وقلت: أعطني وثيقة دوام يومي في الكلية، ولم تعطني إياها، وقالت لي: إذا أمرني المدير أعطيك إياها.

بعد ثلاث ثوانٍ يقترب المدير من نافذة الديوان.

- أعطه وثيقة دوام يومي بسرعة.

هزت الفتاة برأسها سمعاً وطاعة، وبعد عدَّة دقائق أصبحت الوثيقة في متناول يدي.

- الكذب ليس عملاً جيداً، - قالت الفتاة.

- وأنا لم أكذب، ضحكت، فأنا لم أقل له كل الحقيقة.

وفكرت فيما بعد «إنَّ العالم ينعكس من خلال مشاعرنا»، والعالم متنوع ورائع عندما تكون مشاعرنا رائعة ومتنوعة، وبقدر ما تصمت وتشيح مشاعرنا، بقدر ما يُصبح العالم من حولنا مملاً وشاحباً».

في الطفولة يكون العالم كصندوق الدُّنيا متعدد الألوان، وفي الشيخوخة كقطعة زجاج قاتمة تتدحرج في عدَّة وضعيات، والفرق في نقطة الاعتماد فقط، هناك حلقة «أ» ينطلق منها الحب، وهناك حلقة «ب» وهي مشاعرنا، وهناك حلقة «س» وهي الأهداف والأحداث في العالم المُحيط. وبقدر ما تتركز الرُّوح على الحب، بقدر ما يتلون العالم بكُلِّ الألوان، وبقدر ما يكون الانتباه مرتبطاً بالعالم المحيط، وتكون الرغبة مرتبطة به، بقدر ما تكون مشاعرنا مؤمنة، وبقدر ما نكون مركزين على الحلقة الأولى، بقدر ما يكون أي موقف صعباً دافعاً للعمل على تحسين ذاتنا، ويكون قدرة للطموح والسعي نحو الحُبّ. وبقدر ما تزداد أهمِّيَّة الحلقة الثالثة، بقدر ما يكون أي موقف مزعجاً يثير التَّوتُّر والعُدوانيَّة والكره،

وأهمِّيَّة العالم الدَّاخليَّة مفقودة، ولذلك العالم بالنِّسبة للكبير في العمر تكون الأهمِّيَّة العميقة للعالم مهمة، ولذلك، من الخارج، يبدو له من دُون ألوان وباهتاً.

- ما هُو الحُبّ الإلهي؟ هذا ما سألتني إياه إحدى مريضاتي.

- هُو عندما يكون بالنِّسبة لنا، الشُّعُور بالحُبِّ في عمق الرُّوح أهم من الحبيب. وعندئذ، وإذا خانك، وأهانك وهجرك أو مات، فأنت ستحافظين عليه فوق شُعُور الحُبّ، وعندئذ يُساعد حب إنسان آخر في تطوير شُعُور الحُبّ الإلهي فقط، والذي كان في الرُّوح دائماً، وكان قبل الولادة وسيبقى حتَّى الموت، نحن تعودنا العيش بالمنطق الإنساني والعلمي كذلك. والعلم والمنطق الإنساني ينصان: «المشاعر لا يُمكن أنْ تكون سبباً، هي يُمكن أنْ تكون نتيجةً»، في البداية هناك وضع، وبعد ذلك نحن نتأقلم معه من خلال مشاعرنا، يعني، أوَّلاً المشاعر ترتبط بالعالم الخارجي وتخلق من خلاله.

خانت الزوجة، ظهرت الغيرة، خان الصديق، ظهر الغضب والألم، وضعت يدك في الماء الساخن، ظهر الألم واحترقت يدك. وكأنَّ كل شيء على هذا المنوال. لكنَّ هذا المنطق الإنساني، وهناك المنطق الإلهي، والذي حسب هذا المنطق، فإنَّ الشُّعُور هُو أولاً، وأما الوضع فهُو في المرتبة الثانية، وتحدد مشاعرنا العميقة ما يحدث معنا في المستقبل، ومن خلال البدء بالسيطرة على مشاعرنا العميقة، نبدأ بتغيير أنفسنا والعالم المُحيط بنا، والأحداث الجارية فيه، حتَّى هذا الوقت لا يستطيع العلم أنْ يفهم ويفسر ما هُو التنويم المغناطيسي، لأنَّ الشُّعُور يسير أمام الحدث، والإنسان تحت التنويم المغناطيسي يتخيل أنَّه وضع يده في الماء الساخن، وظهرت على جلده آثار الحريق، وعلى المشاعر يُؤثِّر الجسم بشكل أقوى ممَّا على الهدف الحقيقي. زد على ذلك، عند التَّدريب المعين يُمكن لواقعية المشاعر أنْ تكون أهمَّ من واقعية المادَّة الفيزيائية، وعندئذ تختفي التبعية من مواد العالم المادِّيّ وتظهر أهمِّيَّة القيام بشيء مُفيد معها.

وعندئذ يُمكن أنْ نسكب على أنفسنا الحموض دُون أي ضرر، ونجعل المواد مادِّيَّة ونتحرك في المكان ونغير بنية الخواص إلخ. ولكنَّ هذا حديث مستقل ولنعد إلى مشاعرنا، كانت لدي في أحد الأيَّام جلسة مع امرأة، وحذرتها من أنَّ علاقتها مع زوجها يُمكن أنْ تخلق مشكلة لها وله.

- توقفي عن الغيرة، قلت لها، وصمتت المرأة، ونظرت جانباً طويلاً، وبعد ذلك نظرت إليَّ باهتمام.

- قرأت في مكان ما - قالت ذلك ببطء - أنَّه إذا ظهرت لدي مشاعر الغيرة، فهذا يعني بأنَّ الزوج قد خانني أو أنَّه سيخونني، وإذا أضجرته بالغيرة، فإنني سأتوقف عن هذا.

- أفهمك، قلت لها، ليس هناك دخان من غير نار، وبما أنَّك تشعرين بذلك، فإنَّ هذا قد حدث، وصعب عليك تصديق أنْ يكون العكس تماماً، وتابعت قائلاً: - انظري ما يحدث على أرض الواقع، وفي مُستوى العمق، أنت متحدة بمشاعرك مع أطفالك وأسلافك، وعلاقتك غير صحيحة مع العالم الموثقة في المشاعر العدوانية، ستنقلينها إلى أطفالك، زمان رمي الأحجار، وزمان جمعها. وبعدها ستعود هذه المشاعر إليك، وبالمناسبة، ليس من الضَّروري أنْ تعود منه هذه الحياة، بل من الحياة لماضية، إنَّ الشُّعُور بالحقد في الطبقات العُليا للوعي غير ضار عملياً بالأشخاص المُحيطين بنا، وفي المُستوى الأكثر عمقاً يُصبح خطيراً، وإذا كان أعمق أيضاً يُمكن أنْ يُصبح مميتاً، ماذا يحدث في مثل وضعك؟ الآن لدى طفلك نضوج جنسي، وتتوضح الأوضاع في المستقبل، وستوضح الشُّعُور بالغيرة، وسيعود إليك، وإذا حاولت ألاَّ ترتبطي بهذا الشُّعُور، فسوف تتغلبين عليه تدريجيَّاً، وبهذا الشَّكل، ستعالجين الأطفال وأحفادك في المستقبل ونفسك وزوجك، وإذا بدأت تتعلقين بهذا الشُّعُور وتسترشدين به، وتقضين على اللُّطف الداخلي، فإنَّك تسببين ضرراً كبيراً لنفسك ولكل مَنْ هُو مرتبط معك.

في كُلِّ مشاعرنا هُنا رد فعل على أحداث الماضي والحاضر والمستقبل في وقت واحد، لذلك تُؤثِّر مشاعرنا العميقة على الماضي والمستقبل معاً. وحول قدرة المشاعر على التَّأثير على الماضي، لم أكن أشك قط، لقد اعتقدت دائماً أنَّ الندم على الماضي والتَّأسِّي عليه يقودنا إلى المرض والموت. ويبدو أنَّ الماضي يُمكن تغييره، لكنْ من خلال تغيير العلاقة تجاهه فقط، أي بالتأثير عليه من خلال أنفسنا.

جلست وشرحت للمريضة:

- سأرسم الآن خطاً بيانياً لتطور جنسك. ها هُو الخط المستقيم، وخليتك في الوسط، من اليسار - أهلك، من اليمين، الأطفال، والأحفاد وأطفال أحفادك، وكل ما هُو أعلى هذا الخط - جيد، وكل ما هُو أسفل - سيِّئ. وأرسم خطاً آخر بمسافة ٥ - ٧ سنتمرات إلى الأسفل.

- وأما هذا الخط فهُو خط الموت. ولننظر الآن ما كان لدى أهلك قبل أنْ تأتي إليَّ، كل ما كان متراكماً لدى أهلك في الحياة موجود في مكان ما على الخط المستقيم، وموقعك أسفل الخط، وينحدر نحو الأسفل، وأما لدى أطفالك في الدائرة فتنحدر نحو الأسفل، أدنى من خط الموت، وأما ظهور الأحفاد فلا يلاحظ، أي أمام الخط يتوقَّف الجنس.

ولننظر ماذا تغير بعد الجلسة، أهلك - أبدأ بالتشخيص وأشاهد بتعجب أنَّ النقطة الَّتي تشير إلى المُستوى. قد ارتفعت إلى الأعلى، نحو إشارة الزائد وموقعك في النَّاحية السَّلبيَّة قد ارتفع أيضاً إلى الإيجابية، ولدى الأطفال - تقريباً في موقعك، ولدى الأحفاد كذلك، لكنْ يُمكن أنْ يروا النور، أي بدأت بعمق تغيير نفسك وفي الوقت ذاته بدأ يتغير ماضيك وحاضرك ومستقبلك.

بتغيير نفسك، تقومين بتطهير الكارما ليس العائد لأسلافك فقط. ويولد الحُبّ الإلهي كل ما تبقى من مشاعر، وتحدد المشاعر بنية المكان، والمكان يولد المادة، العالم المادِّيّ يولد الأفكار من خلال تطوره، والأفكار عندما تتراكم وتعمم تتحدد وتصبح مشاعر، وتتحد المشاعر تدريجيًّاً وتتحول إلى مصدر أساسي للحب الإلهي، ويتنفس الكون من خلال حصوله المُستمرّ على الحُبّ ويعيده بالاتجاه المعاكس، ويصبح الحُبّ كالروح، ومن ثُمَّ مادة، والمادة تُصبح رُوحيَّة أكثر وتندفع نحو الحُبّ. وتولد المشاعر المواقف وتتوالد في المواقف، نحن نخرج من الحُبّ وندخل في الحب، والكون مدور ليس في الزمن فقط، بل في المكان، ونحن نحمل في داخلنا الكون منذ بداياته الأولى لظهوره ونحمل في داخلنا نهاية وجوده.

وبقدر ما نشعر ببداية ونهاية كل ما هُو موجود، أي من أي شيء بدأ كل شيء وإلى أين يذهب، بقدر ما تكون رغباتنا السطحية تقودنا إلى الازدهار والتطور.

obeikandl.com

المنطـــق

- تعرف أنني لا أستطيع فهم مقطع واحد من الإنجيل - تقول مريضة - وهي تُفكّر بتركيز، ناظرة أمامها - أنت تتحدث أنَّه لا يُمكن قتل الحُبّ والابتعاد والتخلي عنه، وأما إبراهيم فيبدو أنَّه كان مستعداً لقتل ابنه ليجعله قرباناً لله، لم أكن لأستطيع أبداً أنْ أقتل ابني من أجل الله.
- أتفهمين فيم يكمن الأمر - قلت لها - والمضمون يبقى كما هو، أمَّا الشَّكل فيتغير دائماً، وشكل إعطاء المعلومات يرتبط بتطورنا. وكتب في العهد القديم أنَّه لا بد من إحراق العرافين والمنجمين، وأما الآن فنحن نقول: «إنَّ معرفة المستقبل يُمكن أنْ تكون خطيرة»، لأنَّه في ذلك الوقت سوف نتحكم بمصيرنا من خلال وعينا، وليس من خلال الحب، وسابقاً كان مفهوم «الضَّحيَّة - القربان» رمزاً للتخلي عن كل ما هُو غالٍ وقريب. ومعنى هذا الحوار الإنجيلي يكمن في أنَّه من أجل الحُبّ تجاه الله يُمكن التضحية وإعطاء كل ما هُو نفيس، ولكنَّ هذه الفكرة تناسب ذهنية تلك الأوقات، ولكنَّ المسيح عليه السَّلام يقول ذلك أيضاً، والله يجب أنْ نحبه أكثر من الأم والأب والزَّوجة والأخ والأخت.

منذ ألفي عام قال «المسيح عليه السَّلام» عندما كان يصلي «أبونا الَّذي في السَّموات». ولكنْ الآن واضح للجميع أنَّه ليس للخالق مكان مُحدَّد للإقامة، ولكنْ عند ذلك ومن خلال هذه الجملة أتاح المسيح فهم وإدراك أنَّ الله خارج مجال رؤيتنا ووعينا.

اتصل بي في أحد الأيَّام صديقي، وكان لاعباً في فريق الهوكي، فقال لي:

- كانت لدي حالة غريبة، وكنت أريد أنْ أعرف ما القصة، لعبنا مباراة كان كل شيء يسير بنجاح. وسجلت هدفاً، وكانت النَّتيجة ٣ إلى صفر لمصلحتنا، وفجأة ظهرت في داخلي حالة غريبة جداً، وكأنه الخُمُول والذبول، وبعد هذا وخلال عدَّة دقائق، سجل الفريق الخصم خمسة

أهداف، وخسرنا بنتيجة ٣ إلى ٥ لمصلحتهم. وما يهمني وما أريد أنْ أعرفه ماذا حصل بالتحديد؟

فكرت قليلاً فيما حدث وبدأت أدرك ما حدث تماماً، وقلت:

- هناك ثلاثة أنواع من القادة، الأوَّل - القائد الَّذي يستغل فريقه ويرغمه على العمل لمصلحة. ويتحول الفريق إلى ذيل له، وإذا لم يكن على الشَّكل المطلوب أو يصيبه عطل أو ضرر، فإنَّ الفريق سوف يخسر. وهناك قادة يقودون الفريق خلفهم، ويعملون ليس من أجله، بل من أجل الفريق، وهذا اللاعب يكون، في الوقت ذاته، مدرباً ومربياً، والاحتمال الثَّالث - هُو القائد الطاقوي المفعم بالحيوية، والحرفية في المقام الأوَّل هي الحالة الدَّاخليَّة الصحيحة. ويربح الفريق في البداية على المُستوى الدقيق، ومن ثُمَّ على المُستوى البدني، وإذا كانت الطَّاقة الدَّاخليَّة الرُّوحيَّة قد اختفت، فإنَّ الفريق سيخسر، حتَّى ولو كان فيه لاعبون ممتازون، وإذا كُنت مستقراً داخلياً بشكل جيد، فإنَّ القدرات الطَّاقيَّة لكُلِّ الفريق ترتفع إلى مرَّات عدة، لأنَّك زعيم الظل لذلك الفريق، زد على ذلك أنت تستطيع أنْ تصاب وتجلس في المنزل، لكنْ مع هذا سوف تستمر من ناحية الطَّاقة، تؤيد الفريق وتسانده، وإذا بدأت في هذا الوقت في العمل على نفسك، فإنَّه بقدر ما تصرف من طاقة على اللعب، ستزداد المُساعدة غير المرئية عدَّة مرات، وهي في غيابك يُمكن أنْ تلعب دوراً أفضل ممَّا تلعبه وأنت موجود. ولكنْ لو كُنت أنت من الداخل غير مستقر، فإنَّه من خلالك تستطيع زعزعة كل الفريق، واللعب الضعيف من الداخل، حتَّى لو لعب قليلاً، يُمكن أنْ يمتصَّ كل الطَّاقة لدى الفريق، إذا لم يكن لذلك الفريق قائد مفعم بالحيوية والطاقة.

وقال لاعب الهوكي، وهُو مستغرق في التَّفكير - حسن، أدركت الآن ما حدث مع الفريق، ولكنْ كم أتمنَّى أنْ أعرف لماذا حصل هذا؟

قلت له:

- هذا بسيط جداً، أصبحت تلعب بشكل أفضل، والفريق أصبح «يقلدك» وأصبح يسير كالأعمى خلفك، وها أنت قد أخفقت.

- لا أفهم.

- حسن، عندها سأبدأ من البداية، سابقاً لاحظت ما يلي: إذا كره الإنسان، وكأنَّ هناك سهاماً تنطلق من رأسه، وإذا غضب، تنطلق السهام من صدره، وإذا كره وغضب بسبب فشله في الحب، فالسهام تنطلق من الصدغ الأول، وإذا رغب في الموت فالسهام تنطلق من أساس الرجلين.

وإذا انطلقت السهام من كل مكان، فهذا إخفاق شامل، وهكذا، كُنت أوَّل مرَّة مصدوماً، عندما رأيت أنَّ العُدوانيَّة الشاملة والتبعية القوية بشيء ما في مجال الطَّاقة تبدو بشكل مشابه.

الآن تخيل أنَّ امرأة ما تكرهك، سوف تضربك حتَّى لو كُنت تكرهها، وعندها يُمكن أنْ تمرض وتموت، ولكنْ إذا كانت هذه المرأة تحبك وتعشقك، فإنَّها ستضربك بقُوَّة أكثر، وأنت ستصاب بالمرض أو تتمتع بالسعادة، وفي هذه الحالة وتلك ستكون محصناً إذا لم يكن لديك غضب داخلي تجاه المرأة.

ولنذهب أبعد من ذلك، إذا كانت هناك امرأة تعشقك، فأول شيء عليك القيام به هُو اللجوء إلى الله، وهُو الإنقاذ الوحيد، ولكنْ كي تلجأ إلى الله، لا بد من التَّخلُّص من أي استياء تجاهه.

مع النساء الأمر مفهوم تماماً، والآن ماذا بشأن الفريق، في العام الماضي كانت لديك مباريات غير موفقة وتحدث الزملاء في الفريق أنَّهم خسروا بسببك. غضبت من كل الفريق، واستأت من نفسك، ومن مصيرك، ورغبت داخلياً بالموت، يعني، إذا كان الفريق سيحبك الآن، فإنَّه سيوجه لك سهامه كما فعلت تلك المرأة الَّتي تحبك. وهذا يعني أنَّه إما أنَّك تبدأ باللعب بشكل سيِّئ، أو تبدأ بالإصابة، أو المرض أو حتَّى يُمكن أنْ تموت.

- إذاً، ما العمل؟

- آخر ما تفعله هُو التَّخلُّص من الاستياء من كل الفرق الَّتي لعبت فيها، وكذلك من نفسك ومن مصيرك، ومن كل ما يرتبط بالفريق.

- الحمد لله، قال ذلك بتنهد - أعتقد أنَّ كل شيء سيكون على ما يرام الآن.

- لا، ليس كل شيء - قلت له - لديك في المستقبل خطر الموت.

- لماذا؟

- كيف لماذا؟ بسبب العمل، مع كل ما تتمتع به يُمكن أنْ تُصبح مشهوراً كفاية في كُلِّ البلاد.

- وما السوء في ذلك؟

- انظر!، إنَّ أي توتر من قبل الآخرين أو من قبل نفسك يجعلك في تبعية من مشروع التَّوتُّر. إذا كُنت تحلم دائماً في تسجيل هدف، وتتوتر من الآخرين، إذا أعاقوك في ذلك وتحتقر نفسك، إذا لم تسجل هدفاً - وكل هذا يزيد بقُوَّة من تبعيتك للهدف المسجل. وبقدر ما تكون تابعاً لشيء ما، فإنَّه لا يُمكن أنْ تكون ذلك الشَّخص.

- وماذا علي أنْ أعمل؟

- تخلص من الاستياءات الصغيرة وعدم رضاك عن أي دولة عشت فيها ولا سيما في روسيا الَّتي ولدت وترعرعت فيها، وإلا فإنَّ المجد سوف يقتلك، أو في أحسن الأحوال، سيغلق عليك لا وعيك، وبالتَّالي، سيتوقف اللعب وتنخفض كمِّيَّة الأهداف المسجلة، هناك العديد من الأشخاص الموهوبين الَّذي مرضوا وماتوا بسبب أنَّهم كانوا غير راضين من الداخل من البلاد الَّتي ولدوا فيها، وحصلوا على المجد من خلالها.

شكرني ووضع السماعة، وتصورت الوضع لو أنَّهم قدموا لي فريق لاعبي الهوكي، وطلبوا مني معالجتهم، من وجهة نظر كارمية، لكنت قلت لهُم:

- يا شباب، أوَّل ما عليكم القيام به هُو أنْ تتعلموا أن تكونوا لطفاء في أي موقف، ليس تجاه الآخرين فحسب، بل تجاه أنفسكم، ومن دُون هذا لن تحققوا شيئاً، حيثُ كل نجاح يتطلَّب ثمناً غالياً.

في هذه اللحظة خطرت في ذهني فكرة رائعة، إذ إنَّ هذا يتعلق بي أيضاً، والآن بدأت على ما يبدو إدراك لماذا أغلقت جميع الأبواب أمامي كي أصدر كتبي في الغرب، وكان مهماً أنْ أعرف في داخلي ما هي الاستياءات الموجودة تجاه دولة ما. إنَّ العدوان أتى إلى الإنسانية جمعاء من الحيوات الأربعة الماضية، وفي الحياتين الماضيتين كانت تجاه إيطاليا وإسرائيل.

وفهمت لماذا كانت لدي مشكلات في «إسرائيل» وفي إيطاليا، ويبدو أنني كدت أنْ أفقد عقلي في روما لأنَّ إيطاليا مأخوذة بالقدرات والذهن والروحانية، ومن خلال غضبي العميق كُنت صريحاً وتابعاً، وكان لحججي رنين، ولو أنني لم أصلِّ في الوقت المناسب، لكان غير معروف إلى أين وصلت الأمور، في الحياة الماضية كُنت أستاء كثيراً من أمريكا، ولا سيما في مجال الأخلاق، والآن أتذكر بفرح زملائي الأمريكيين في القنصلية، حيثُ حاولت منذ أسبوعين أنْ أحصل على تأشيرة دخول إلى أميركا. لن أتحمل وسأروي لكم عن هذا بالتفصيل.

انتهت تأشيرة الدخول ذات الثلاثة أعوام، وصلنا أنا وزوجتي إلى القنصلية للحُصُول على تأشيرة أخرى، وأجلسونا عدَّة ساعات وأعطونا الوثائق، وبعد مضي بعض الوقت دعونا إلى الشباك.

- لا تكفيكم الوثائق من مكان العمل، النِّظام الداخلي لمشروعكم وبعض الوثائق الأخرى، قالت ذلك بجفاء المرأة من الشباك - تعالوا في المرَّة القادمة، وعدنا بعد عدَّة أيام، وكنا في منتصف الدور، ووقفنا ساعة ونصف في الشارع، وأخذت معي كل الوثائق كاحتياط، وها نحن نجلس وننتظر دورنا، بعد أنْ سلمنا الوثائق سرت نحو ساعة ما بين الممر والغرفة المخصصة للزوار، وبعدها اقتربت من زوجتي وقلت لها:

- أتراهنين بأننا سنكون آخر مَنْ يستدعوننا ولن يسلمونا التأشيرة، فقالت لي:

- لا يُمكن ذلك، إذا لم يكن ليأخذوا منا الوثائق بسرعة، يأخذون الأوراق، وآخر مَنْ يستدعوننا، هذا لا يُمكن.

مرَّت ساعة، ثُمَّ ساعة أخرى، حان دورنا ولم يستدعونا، وبقي في القاعة بضعة أشخاص فقط، وزوجتي تنظر إليَّ باستفهام، وقلت لها:

- لا تضيعي الوقت عبثاً، هناك فرصة رائعة للاستياء من دولة أخرى، وهكذا مرَّ كل الأشخاص، ونحن ما زلنا نجلس في القاعة.

- إنَّهم يشربون الشاي على ما يبدو، ولا بد أنَّهم نسونا.

مرت فترة زمنية قصيرة، وسمعت اسمي، اقتربت من النافذة الَّتي يجلس فيها شاب يتقن اللُّغة الروسية أكثر ممَّا أتقن اللُّغة الإنكليزية.

- اعذرونا لأننا أخرناكم، قال لي ذلك.

ابتسمت وقلت:

- ما من مشكلة.

- هناك مشكلة، قال الشاب ضاحكاً:

- المرأة الَّتي أَجْرَتْ معكم في المرَّة الماضية حواراً صحفياً تُريد التحدث معكم.

وقلت في نفسي «الحمد لله ليس القنصل» وقلت مستمراً في الضحك:

- من فضلك، أنا مستعد.

- المشكلة أنَّ المرأة ليست موجودة هُنا الآن، قال الشاب بلُطف - تعال من فضلك في المرَّة القادمة.

ابتسمت محركاً رأسي:

- حسناً، أنت لطيف جدًّا.

بعدها خرجت نحو زوجتي.

- إنَّ عمليَّة التَّخلُّص من أحكام الأخلاق ما زالت مستمرة - قلت لها - حاول الشباب الَّذين يجلسون هناك لكنهم لم يستطيعوا، والآن نستطيع أنْ نذهب إلى المنزل وضميرنا مرتاح.

فهمت أنَّ هذه المواقف كلها ما هي إلا إشارات خطرة تشير إلى الحد الَّذي أنا أرتبط به بالقيم الإنسانية العليا، ويبدو أنَّ هذا كان رغبة حدسية بسيطة لإنقاذ نفسي. الإدراك العميق لذلك، إلى أيِّ حدٍّ يُمكن أنْ يجمر الشَّخصيَّة والمصير والصِّحَّة، إذا كانت كمِّيَّة السعادة، والشهرة، ستزيد بكثير عن احتياط الحُبّ في الرُّوح. ما يدهشني، أنَّ لدى المريض الَّذي جاءني لم أر مشكلات خاصة، بل كان حقله نقياً نظيفاً. مدهش، إذاً لماذا أتى إلي؟

- لدي مشكلة واحدة فقط قال المريض - بعد أنْ قرأت الكتاب الثَّاني، تغيرت حالتي الدَّاخليَّة تماماً، وتولد لدي شُعُور بالنقاء الداخلي، واختفت كل أمراضي، كان يزعجني بشكل خاص الفتق في فقرات العمود الفقري، والآن كل شيء طبيعي، المشكلة في أنَّه عندما أخرج من هذه الحالة، يُصبح من الصعب عليَّ أنْ أختلط مع العالم المُحيط بي، أشعر أنَّه تبدأ من جديد التوترات والاستياءات، كيف عليَّ أنْ أتصرف مع هذا وذاك؟ الابتعاد عن العالم، والبقاء فيه في آن واحد.

- هذه قدرة على العمل على منطقين في الوقت ذاته، في منطق «الإلهي»، وفي منطق «الإنساني».

أولاً، نظم نفسك، لكنَّ أسلافك ليسوا على ما يرام، يكون المنطق الإنساني عندنا من الخارج، وأما الإلهي من الداخل، ولكنْ في الداخل وفي المُستوى العميق جدًّا ترتبط مشاعرنا بمشاعر أسلافنا، وإذا كان لدينا أسلاف ليسوا على ما يرام فمن الصعب جدًّا أنْ نكون لطفاء وأحباء، وهذا يعني، لا بد من العمل أكثر على أنفسنا والصلاة كي يتعمق حبنا لله أكثر وأكثر.

يُمكن للمنطق الإلهي أنْ يكون من الخارج أيضاً، ولكنْ إذا خرج الإنساني، فإنَّ الحياة الطَّبيعيَّة تُصبح مستحيلة، لا بد من المحاولة كي نعيش في النظامين، أي من جهة، أنْ نكون أحباء ولا نملك أي استياءات وفي الوقت ذاته، أنْ نكون قساة، إذا تطلب الأمر ذلك.

وها أنا أروي لكم حادثة حصلت معي، ذهبت إلى المسبح، سبحت كثيراً، وبعد أنْ أخذت حماماً اقتربت من خزانتي، حيثُ كانت أغراضي فيها، كان بجانب الخزانة مقعد صغير وضع عليه رجل حقيبة وأشياء أخرى، أي كان المقعد مشغولاً تماماً. أخذت حقيبتي وقلت في نفسي أين أضعها؟ بعد ذلك تصرفت إرادياً كما تصرفت سابقاً، وضعت حقيبتي بجانبي على الأرض، غاضباً من الرجل، لأنَّه لم يُفكِّر في الآخرين بإشغاله كل المقعد، حاولت الصراع مع الغضب الَّذي ازداد، لكنْ لم يحصل شيء، إما كُنت مجبراً على التخلي عن المنطق الإنساني، وأعيش المنطق الإلهي وتقبل كل شيء، وإما كُنت مرغماً على المحاولة في الوقت ذاته لتشغيل المنطق الإنساني، حاولت المحافظة على «الإنساني» بما أنَّه يجب عدم الضَّغط على الهيجان، وهُو يجب أنْ يتحقق كما هي بعض الأفعال، أخذت حقيبتي صامتاً وبدأت بتحريك أغراض الرجل، مفسحاً لنفسي مكاناً على المقعد، كان الرجل صامتاً، وبدأت بهدوء بارتداء ملابسي، ولكنَّ شيئاً ما في داخلي لم يعجبني، شعرت بالإهانة سابقاً، والآن هُو يشعر بها أكيد.

إنَّ إهانة الآخرين أخطر بكثير عندما نكون نحن مهانين، وبالمناسبة فإنَّ الأمر يكمن في أنني دفعت حقيبته، وأنا صامت ولم أتفوه بشيء، قمت بثلث محاولة للتَّحكُّم بالوضع وتوجهت إلى الرجل قائلاً:

- اعذرني، لن تغضب لأنني أزحت أغراضك؟

- لا، لا، قال الرجل، - أنت كذلك بحاجة إلى مكان لتضع أغراضك والآن فقط شعرت بالهدوء، وبدأت أدرك على ما يبدو معنى اتحاد المنطق الإنساني والإلهي، والإنساني - هُو القدرة على الدِّفاع عن حقوقنا، والإلهي - هُو الحفاظ على الحُبّ واللُّطف. وهذا يعني أنَّه إذا فكرت أنا أوَّلاً في شخص آخر بإرسالي إليه دفعة من الحُبّ واللُّطف، فإنني أتصور مصالحه ومشاعره بشكل جيد. وأثبت له أنني احترمه وآخذ بالحسبان مصالحه، لكنْ في الوقت ذاته، أريد أنْ أدافع عن مصالحي، وعندها فإنَّ تصريح القاسي لن يثير لديه حقداً، لأنَّه ليس لدي حقد في داخلي.

المصلحة الأساسيَّة لأي إنسان هي الحفاظ على الحُبّ واللُّطف في الداخل وإذا ساعدناه في ذلك، فإننا سرعان ما نتفق على مُستوى المنطق الإنساني، وفي الحالات البسيطة، على المقعد أو في المسبح، وفي العلاقات ما بين الدول وفي مجال العمل، وما بين الحضارات الفضائية، فإنَّ هذا المبدأ مازال فاعلاً، لذلك يجب البدء في أي حالة من المنطق

الإلهي، وليس من الإنساني، أي في البداية علينا إظهار الحُبّ والاحترام، وبعدها نبدي الاستياء.

حدثت معي حالة غريبة في إحدى الدول الغربية، اتفقت على استئجار مكتب، حيثُ أستطيع استقبال المرضى، وقبل يوم من الاستقبال ضاعف مالك المكتب السعر بمرة ونصف، وافقت، وكان مهتماً وفضولياً. وفي اليوم التالي، اقترب مني وقال:

- هل يسمح ضميرك بأنْ تدفع لي هذا المبلغ الزهيد؟

حركت كتفي وقلت:

- اسمح لي، لقد اتفقنا.
- عندها سنتحدث كرجال أعمال، أعتقد أنَّه يجب أنْ أحصل على مبلغ مُضاعف بخمس مرَّات أكثر.
- إذا كان كرجال أعمال، فإنَّه صعب عليَّ أنْ أفهمك، لأنَّه من إحدى قواعد العمل كرجال أعمال أنْ لا نغير قواعد اللعبة.
- سأهتم بسمعتي أنا، ويُمكن أنْ تهدأ، لأنني لن أغير من قواعد اللعبة أكثر.
- وماذا بعد أيضاً، قلت له، فوقف ونظر إليَّ فقلت له:
- من الصعب علينا أنْ نتفق، لأنَّك بدأت بالاستياء والإهانة، أي أنَّك ادَّعيت أنَّك إنسان من غير ضمير، وهذا الأمر لا يجوز لا في العمل ولا في العلاقات الإنسانية، من فضلك، انتظر عشر دقائق وسأخبرك بقراري.

بعد عشر دقائق دعوته إلى الغرفة المجاورة كي لا يرى المرضى ذلك:

رأيت أنَّ المالك قلق، ويحاول أنْ يعرف من خلال شكلي ما هُو قراري مددت له يدي وشكرته.

- شكراً لك كثيراً، لأنَّك قدمت لي مكتبك بالأمس وكنت لطيفاً جدَّاً. والآن عمَّا دار اليوم، إما أنْ تستلم اليوم المبلغ الأولي الَّذي اتفقنا عليه، وإما سأقوم بإنهاء جلسات الاستقبال وأصطحب المرضى إلى الحديقة معي، وبالمناسبة فعلت ذلك مسبقاً، جلست على مقعد في الحديقة وكان يقترب مني الزوار بالدور، وبعد ذلك تنزهنا في الحديقة وعملت.

وشعرت أنَّ الرجل قد فهم بأنني سأقوم بما وعدته به.

- حسناً، قال ذلك بسرعة، اليوم استقبلهم حسب شروطنا السابقة، لكنْ غداً، سيكون استقبالك لهُم حسب ما قلته اليوم.

obeikandi.com

وعندما انتهت جلسات الاستقبال، اقتربت منه وأعطيته المال، وبعدها أضفت مبلغاً مماثلاً.

- هذا بمثابة مكافأة لك، قلت له.

- ولماذا أعطيته المكافأة؟ قال لي ذلك زملائي، فأنت لن تستقبل أحداً غداً؟

- الأفضل أنْ نعطي الوعود بشكل أقل، وبعد ذلك نضيف، ونوعد أكثر، وبعدها لا نضيف شيئاً، جاوبتهم.

ولكنْ إذا تحدثنا بصدق، وبما أنَّه تصرف على ذلك الشكل، فهذا يعني أنَّ السبب هُو عندي أولاً، ويعني، أنا مرتبط من الداخل بالأخلاق والمصير الجيد، وكل ما أعطيته إياه أموال إضافية، لم تكن ضرورية له بقدر ما هي ضرورية لي.

obeikandl.com

obeikandl.com

مصـــر

كُنت سابقاً أقول للمرضى:

- أنتم مرتبطون بالمال والعمل والعائلة.

وبعد ذلك وفي نهاية المطاف سار كل شيء من قيم العالم المُحيط بنا إلى الإنسان ذاته، وإلى كُلِّ شيء أساسي يشكل الإنسان ذاته «الأنا». الارتباط القوي بالجسد والروح والشخصية الإنسانية كعنصر مكون أساسي أولي إلى التبعية التدريجية بقيم العالم الخارجي.

بدأت من تأليه المادي، وبعدها انتقلت إلى تأليه الروحي، وأصبحت تدريجيًّاً أصل إلى نتيجة مفادها ما هُو الشَّيء الَّذي يكون في أساس تأليه الإنسان، أي غلافه الرُّوحي والجسدي. وفي نهاية صيف ١٩٩٨، وعندما تحدد تماماً مفهوم «الأنا» الإلهية والأنا الإنسانية، تبين أنَّ النِّظام قد اكتمل.

والإنسان من خلال تخلصه من العدوان تجاه الحب، يتغلب بالتدريج على توتر جسده وروحه، ومن خلال شعوره الواضح «بالأنا» الإلهية العائدة إليه، وببقائه واقعياً يُصبح شفافاً وخفيفاً. وبداية تحققت من هذه المعلومات على نفسي، وبعد ذلك على المرضى. وكان النِّظام يعمل جيِّداً مع المرضى، أمَّا معي - فقد توقف كل شيء. وخلال سنوات البحث أصبحت شخصاً آخر، ولكنْ ما كان يُوجد في مشاعري وردود فعلي لم يتغير عملياً. وإلى الآن لا أستطيع التَّخلُّص من استياءات الأشخاص الآخرين ونقدهم الشديد، ما السبب إذاً؟ أوَّلاً، وقبل أي شيء، لأنني تقدمت إلى الأمام في الإدراك، وأما من خلال تصرفاتي وسلوكي فلم أتأكد من التغيرات الَّتي حصلت لي. والنصيحة أسهل من أنْ نقوم بذلك بأنفسنا. ثانياً، لقد اتبعت نظاماً ذي أعباء كبرى. وفهمت هذا من خلال مُساعدة أحد معارفي من الرياضيين، فقد انهارت كل النتائج الرائعة الَّتي حققها، وقلت له:

- لديك تقديس للقدرات في العمل والشخصية، أنت تتمرن عندما يجب أنْ ترتاح. ويُمكن تحقيق النتائج الأساسية، ليس من خلال الطَّاقة الخارجيَّة

المكثفة، بل من خلال الطَّاقة الرُّوحيَّة - الدقيقة. وتتراكم الطَّاقة الكثيفة على حساب النِّظام والجهود الجسدية المستمرة، واحترام النِّظام والمنطق الإنساني. و الكثافة الدقيقة تتراكم عندما نحتقر الالتزامات ونستخف بها، وتدرك هذه الطَّاقة من خلال الشُّعُور بالسعادة الدَّاخليَّة والفرح واللُّطف. وفي المقام الأوَّل يعمل الإنسان من أجل تراكم الطَّاقة الدقيقة، لأنَّها تضمَّن له مستقبله وصحته وأطفاله، وجسده ومصيره. وعندما تنتقص السَّعادة الدَّاخليَّة، وتُضْغط من الشُّعُور بالواجب والمسؤولية، فإنَّ الدفعة الدَّاخليَّة يُمكن أنْ تُؤدِّي فيما بعد إلى انهيار عصبي، والازدواجية والانهيار في الصِّحَّة، وقد وجد المُدرَّبون في الأوقات السوفييتية أثناء التَّدريب أنَّه إذا ضحك الرياضيون وتبادلوا النكات فإنَّ نتائجه ستكون أقل، ولذا منعوا من الضحك والفرح أثناء التَّدريب. في الإيديولوجيا الشيوعية كانت حياة الإنسان تأتي في المرتبة الثَّانية بالمقارنة مع الهدف والنتيجة. لذا أرغموا الرياضيات الشابات على الحمل ليحصلن في الأشهر الأولى على نتائج مرتفعة، لأنَّه في هذا الوقت يتحرر الجسم من الاحتياطات الدَّاخليَّة، وبعد ذلك أرغموهم على القيام بعملية إجهاض. إنَّ قتل الحُبّ و الحياة من أجل تحقيق الهدف كانت من المسلمات في الأخلاق الإيديولوجية الشيوعية. وإنَّ تقديس القيم الرُّوحيَّة أدَّى دائماً إلى مآسي أكثر من الخضوع للمادي.

وعندما شرحت لأحد معارفي الرياضيين أسباب الإخفاق، أدرك فجأة أنَّ هذا يخصني أوَّلاً، ويبدو أنني أساعد الناس، وكلَّما قمت بذلك أكثر كلَّما كان أفضل. ويبدو أنَّ الأمر ليس على هذا المنوال. إذا كُنت تقمع «الأنا الإلهية» أثناء مساعدتك للآخرين، فإنَّ حبك ولطفك عاجلاً أم آجلاً، وحتى مساعدتك ستتحول إلى مأساة، والشُّعُور بالفرق هُنا يكون أحياناً متأخراً. سابقاً كان يعتقد دائماً أنَّ الأنانية ليست سيِّئة فقط، بل لا بد من نسيان أنفسنا تماماً، ولا بد من التغلب على «الأنا» الخاصَّة بنا وقمعها، وجهة النَّظر الشَّرقيَّة هذه تمسكت بها الشيوعية، وبعدها أدركوا أنَّ الأنانية ضرورية في مجالات أخرى، ولكي تعطي شيئاً للآخرين، لا بد أنْ تملكه، وجهة النَّظر الغربية هذه، مازالت فاعلة إلى يومنا هذا. إلى أين الذهاب؟ ومَنْ سنكون؟ وكيف نحدد الكثير من الأنانية أم القليل منها؟

ولنتخيل تلك الحادثة.

الاحتمال الأوَّل: يريد الإنسان الحفاظ في روحه على الشُّعُور بالسعادة والفرح وهُو لا يُساعد جاره الَّذي يموت من الجوع، لأنَّه يحتقر شعوره بالسعادة.

الاحتمال الثَّاني: محاولاً الحفاظ على الشُّعُور بالسعادة والفرح يحاول الإنسان أنْ ينتقم ممن خانه واحتقره، أي يحتقر سعادته الدَّاخليَّة.

الاحتمال الثَّالث: محاولاً الحافظ على الشُّعُور بالسعادة والفرح يضحي الإنسان بنفسه ويموت من أجل إنقاذ الآخرين.

في الحالة الأولى يكون الوضع المادِّيّ هُو مصدر السعادة، وفي الحالة الثَّانية - المبادئ الرُّوحيَّة هي مصدر السَّعادة، وفي الحالة الثَّالثة - الحُبّ الإلهي.

إذا كنا نستخف بالالتزامات الإنسانية من أجل الحفاظ على الحُبّ الإلهي في داخلنا، فهذا أنانية ضرورية لنا، ونحن هُنا نتبع مشاعرنا وهي لن تخيب أملنا. نحن لا نبتعد عن «الإنساني»، فهُو بالنِّسبة لنا يأتي في المرتبة الثَّانية. وإذا كانت السَّعادة الرُّوحيَّة والمادِّيَّة في أساس أنانيتنا، فإننا لسنا بحاجة إلى حب غريب، وعندها فإنَّ مشاعرنا، من خلال إعطائها الشُّعُور بالسعادة والفرح، تكذب علينا في حقيقة الأمر. خلال حياتي كلها ومن خلال قراءتي للكتب ومشاهدتي للسينما، أعوِّد نفسي أنَّه في أساس الفرح والسعادة هناك إما بداية مادِّيَّة أو روحية، وبما أنَّ الرغبة في التقدم إلى الأمام موجودة عندي منذ الطفولة، فإنَّ قُوَّة استمرار مشاعري الَّتي تربطني بالإنساني، تبين أنَّها على مُستوى من أعلى من المتوسط، واتضح لي أنني تحررت من ضغط «الإنساني»، والأمر الوحيد الَّذي أعان ذلك، هُو التبعية تجاه الوسطاء، وقد أطلقت على هؤلاء حلقات تضم الأنا الإنسانية مع الأنا الإلهية، والحلقة الأولى أو الدَّرجة الَّتي لم أستطع التغلب عليها هي قُوَّة استمرار مشاعري وتبعيتي إليها، وبقدر ما تكون المشاعر مرتبطة بالأحداث الجارية وبإيقاع الحياة كان لا بد من تغيير الحياة وجعلها تسير بنظامها الطَّبيعي.

بداية إنَّ مشاعرنا مرتبطة بثلاث وظائف حياتية: التنفس والغذاء والجنس، وبقدر ما نبتعد عنها كلها، بقدر ما يُصبح من السَّهل السَّيطرة على مشاعرنا، وبداية قرَّرت أن أصوم، ومن أجل هذا الذهاب إلى مكان ما، كي يتخلص جهازي العصبي من عمل المشاعر العادي، وقررنا أنا وأصدقائي السفر إلى مصر.

استيقظت صباحاً بسبب نوبة سعال، إذ بدأت أسعل عندما آويت إلى الفراش. يعني هذه مشاعر عُدوانيَّة عميقة، وهي أشمل من وعيي ومن حياتي، استلقيت وعيناي مغمضتان،

وصلّيت وغفرت كل الاستياءات ولاسيما من قبل النساء، لكنْ في الفترة الأخيرة لم يساعدني هذا الأمر، ومن جديد أحاول العثور على أسباب نوبة السعال وسبب أحزاني، ومن جديد وأثناء غفوتي تصورت مقتطفات: الغضب من النساء، من الأهل، من نفسي، من مصيري، لكنَّ النِّظام لا يعمل، لا أعرف لماذا سعلت قليلاً، وتابعت صلواتي في غفوتي محاولاً العثور على الأسباب.

وعند استيقاظي في هذا الصباح أدركت أنَّه لا بد من انتزاع آلام محددة، وحل السؤال على الشَّكل التَّالي: إما نعم أو لا، إما استمر في الاستياء من النَّاس والتفكير بسوء فيهم، أو لن أقوم أكثر بهذا، ومن جديد بدأت أصلي.

- يا ربي، أحاول ألاَّ أستاء أكثر من الناس، وعدم التَّفكير بسوء فيهم، وفجأة، اختفت نوبة السعال في هذه اللحظة، ولم تتكرر في ذلك اليوم ولا في التالي، استطعت التَّخلُّص من مشاعر الاحتقار والتفوق على النَّاس. والتحكم بالمشاعر عندما تبدأ الشُّعُور بواقع الأنا الإلهية، يُصبح مرحلة ضرورية للتطور، وإذا تعلَّم الإنسان التَّحكُّم بمشاعره ولا وعيه، دُون التركيز على الإلهي، بل بالحفاظ على الأهداف الإنسانية، يحدث انحلال سريع أو بطيء للوعي والمشاعر.

ولكي لا نرتبط بمشاعرنا وأحاسيسنا ولكي لا نصبح عبيداً لها، لا بد من القدرة على العيش دائماً بشعورين اثنين: حب إلهي لا يرتبط بأي شيء، وحب إنساني وسعادة وفرح، وهي تتأرجح في التبعية للحالة الإنسانية. وكما خططت سابقاً، كانت الرحلة إلى مصر يجب أنْ تعطي مشاعر إيجابية، ومع هذا كانت فرصة للابتعاد عن التَّوتُّر العملي المُستمرّ والتغلب على قُوَّة استمرار المشاعر، إنَّ الغذاء - هُو الحياة، وكلَّما كان الطّعام أكثر، كان نوعياً وأفضل، كلَّما كان يعطي حياة، أدركت منذ زمن أنَّ الحياة ليست طعاماً، وحتى ليست وعياً، بل حباً، توقف عن التَّعلُّق بكُلِّ شيء، وفي هذه الرحلة كُنت آمل التقليل أو التخفيف من أن أكون عبداً لمشاعري، الَّتي تربطني بالأنا الإنسانية في تجليها الرُّوحي والمادي.

وصلت مع رفيقين اثنين إلى «هورغادا»، وأخذنا معنا دراجات عادية، ولم نكن نريد تعكير مزاجنا في البحث عن سائقي سيارات أجرة، ومن ثُمَّ الاتفاق معهم. وعلى دراجاتنا كان يُمكننا التجول بحرية إضافة إلى القيام بتدريبات بدنية.

اخترنا فندقاً رخيصاً، لا يقع على شاطئ البحر، وقررنا التوفير وعدم أخذ الضمان الصحي، وهذا ما أسفت عليه فيما بعد، أدركت أنَّ الفندق لن يكون الأفضل، لكنْ في

الواقع فاق كل التوقعات، كان الفندق يقع في ساحة بناء، وكانت الأوساخ بقربه، ولم يكن هناك إسفلت، تركنا دراجاتنا في الغرف وقررنا الذهاب إلى البحر.

في المرَّة الماضية نزلت في فندق قريب من البحر، وكان كل شيء هناك نظيفاً، ولكننا في هذه المرَّة وكأننا غطسنا في دلو للغسيل، أخذت آلة التصوير وقررت تصوير المشاهد والانطباعات الأولى، اجتزنا الشارع الرئيسي في «هورغادا» وكانت الأوساخ تحيط به، وقررت تصوير كل هذا، وكان لدي بالطبع شُعُور بالاحتقار والاستياء تجاه العالم المُحيط بي، وتعطلت الكاميرا. والعناصر غير الحية الَّتي تختلط مع النَّاس زادت من حساسيتنا. كل الكون حي أو غير حي، وإذا تقاسمنا في وعينا هذه المفاهيم كالمكان والزمان والمادة، فإنَّ هذه الخواص أو المفاهيم الثلاثة مرتبطة في مشاعرنا ولا سيما في الشُّعُور بالحُبِّ. ومشاعرنا تولد دائماً مادَّة ومكاناً وزماناً جديداً.

والفكر أيضاً هُو مجموعة من المكان والزمان والمادة، لكنْ بفعالية أكبر للمكان، وفي المشاعر الفعاليَّة الكبرى للزمان، وقياساً على أنَّ الكون ينتفخ، تزداد النَّزعة إلى العودة إلى النقطة، أي إلى المكان والزمان والمادة، وتزداد النَّزعة إلى الاتحاد، ويصبح الكون محسوساً أكثر، والعناصر غير الحية تبدأ بالهجوم أكثر على الحية، وتذكرت كل الحادثة، عندما حاول شخص طلب أسماء الشُّهداء في قائمة الكمبيوتر، وكان اسم واحد يسقط سهواً دائماً، ويرفض الكمبيوتر طباعته. واتضح فيما بعد أنَّ ذلك الشَّخص مازال حياً. لم أستطع الاتصال مع شخص في ألمانيا كان يتمتع بخبرة قانونية رائعة، وذي وضع مادِّي كبير. وهُو يعمل في عالم إدراك الطاقة، ومع المعلومات، وكان يتصل دائماً مع العناصر غير الحية، وكانت سيارته تصمت دائماً ولا سيما أثناء التقاطعات، ولم يستطع الميكانيكيون فهم ما حدث أبداً، عندها تساءل في نفسه ربما تحتاج لاسم أطلقه عليها.

وبعد أن اختار لها اسماً لم تتعطل مطلقاً، إنَّ الطبيعة غير الحية تتأقلم بسرعة مع مشاعر الإنسان. وأنا اعتدت على ذلك منذ زمن. والهيجان، وخيبة الأمل الَّتي عانيت منها، في مصر نقلتهما إلى آلة التصوير، مصوراً كل شيء لم يكن يعجبني، وهناك بالذات تعطلت. وكنت أُفكِّر فيها أكثر ممَّا كُنت أُفكِّر في نفسي محاولاً ألاَّ أفقدها، لأنني كُنت حريصاً على تصوير كل شيء.

إنَّ التَّدريب على التَّمتُّع بالمشاعر في مصر كان رائعاً. وذهبت إلى كابينة هاتف للاتصال بروسيا.

- كم تكلف دقيقة الاتصال إلى روسيا؟

- ثلاثة دولارات.

- رائع، طلبت الرَقْم وانتظرت الرَّدّ.

تحدثت ثلاثين ثانية، وبعدها خرجت، وكانت تقف هناك امرأة مصرية ذات نظرات حادة.

- المطلوب ستة دولارات، قالت لي.

- لماذا؟ قلت مندهشاً.

هزت كتفيها وقالت:

- المطلوب ستة دولارات.

واتضح فيما بعد أنَّه يجب التحدث دقيقتين على الأقل.

في اليوم التالي، طلبت التحدث بالهاتف في الفندق.

- كم تكلف دقيقة الاتصال إلى روسيا؟

- أربعة دولارات، ولكنْ يجب التحدث ثلاثة دقائق على الأقل.

وقررت أنْ أغش الجميع، وذهبت إلى الفندق الأكثر فخامة، حيثُ مُستوى الخدمة كان أعلى بكثير، وعرفت أنَّ قيمة دقيقة الاتصال ٤ دولارات ويُمكن الحديث دقيقة واحدة، وتحدثت نحو ٤٠ ثانية.

- المطلوب ثمانية دولارات، قال لي ذلك الشَّخص الواقف في مكتب الاستعلامات وناظراً إلي بشزر.

- كيف هذا؟

- لقد تحدثتم دقيقة وعشر ثوانٍ، قال، يعني يجب أنْ تدفعوا لقاء دقيقتين، والكمبيوتر، أضاف ذلك، مشيراً إلى الكمبيوتر المعطل في النَّاحية الأخرى، من غير المفيد المجادلة، وأحياناً يُعَدُّ هذا خطراً.

في تايلند سمعت أنَّ سائقي سيارات الأجرة، يُمكن أنْ ينقلوا الأشخاص ساعة كاملة عوضاً عن خمس دقائق، ومن ثُمَّ يطلبون مبلغاً ضخماً لقاء ذلك، وإذا اعترضت على ذلك يُمكن أنْ يستدعوا البوليس، ورجال البوليس هناك لا يعرفون كلمة واحدة بالإنكليزية، وإذا دخلت إلى السجن المحلي، فيمكن أنْ تقتل هناك ببساطة، وصدقوا أنَّ الدولة لن تسأل عنكم أبداً أو تدافع عنكم، ويتعاملون مع السياح الروس في العالم بازدراء، من جهة، الثقافة المتواضعة للاختلاط مع النَّاس والتصرف، ومن جهة أخرى، يعرف الجميع أنَّ السائح الرُّوحي غير محمي بتاتاً.

obeikandl.com

حدثوني في أحد الأيَّام عن قصَّة حصلت في تونس، حيثُ استأجر شخص سيارة وصدم جملاً بالمصادفة، ويبدو أنَّه لم يكن مذنباً عموماً، لكنْ فرضوا عليه دفع غرامة مئات الآلاف من الدولارات، وزجوه في السجن، كان يُمكن أنْ يبقى هناك طوال حياته، لكنَّ صديقاً له أنقذه، حيثُ اشترى جملاً من آسيا الوُسطى ونقله إلى تونس.

في روسيا الآن هناك العديد من مكاتب السياحة تعمل في فترة قصيرة ويفكرون قليلاً بالسياح الَّذين يحجزون رحلاتهم، لذلك إذا سرت في البلاد، حيثُ المُستوى المُتواضع من الثقافة، من الأفضل أنْ تعرف كحد أقصى مصادر حمايتك، وأنْ تكون مستعداً لأي حدث مفاجئ، والأفضل بالطبع هُو أنْ تعتمد على نفسك.

وما حدث معي في مصر أعادني إلى صوابي، والنظام يتم معالجته بالفراغ. كُنت قد طرت إلى مصر قبل أصدقائي، وقد رافقوني على دراجاتهم، وفي الطريق إلى المطار أوقفتهم الشرطة، وطالبوهم بترك دراجاتهم، وتابعوا سيرهم مشياً على الأقدام، وساعدوني في نقل الأغراض إلى نقطة التفتيش الجمركية.

- ماذا تعتقدون، هل سيأخذون الدراجات منكم؟ سألتهم.

- لا، لا ينبغي ذلك - قالوا هُم - فهناك ضابط شرطة.

ولم تتم سرقة الدراجات فعلياً، وكان هذا نجاحاً كبيراً.

وحقيقة، كان على الدراجتين مصباحان أجنبيان، ولم يستطيعوا أخذ أحدهما، والآخر استعملوا السكين لأخذه.

وقبل السفر مُباشرة التقيت بأحد معارفي القدامى وقال لي:

- لقد عشنا أنا وزوجتي في فندق خمس نجوم، وقبل السفر كان يجب أنْ نحمل أغراضنا في السيارة، اقترب مني الحمالون ويعرضون أسعاراً غير واقعية، لكنني وافقت على شروطهم ودفعت لهم، أخذوا النقود وهمُّوا بأخذ الحقائب لكنهم اختفوا بعد ذلك، وكان عليَّ أنْ أحمل حقيبتي إلى السيارة، وأنا لن أذهب مرَّة أُخرى أبداً، قال ذلك بحزم. إنَّ أحد أجزاء مشاعري موافقة معي وتعمل على مُضاعفة الشُّعُور بالاستياء والاحتجاج، والثاني، أي الجزء الثَّاني أكثر صحة، ويتقبل كل شيء ببساطة وهدوء، وهذا الجزء من المشاعر حاولت أنْ أنقله له:

- أنت تعرف أنَّه لا يستحق الأمر لكي نعممه، ثُمَّ إنَّ الحمالين غشوك بخمسة دولارات، بينما الموظفون الروس غشوك ألف مرَّة أكثر، وقرأت بنفسي أنَّ

قرضاً بعدة ملايين عام ١٩٩٨ كان ليس ضرورياً لروسيا أبداً. وكتبوا في الصحف أنَّه يبقى ١٥٪ فقط من أي قرض، وهذا سيعطوننا إياه، إلا أنَّ الحمالين عندنا لا يكذبون.

وتنفَّس الصعداء وقال:

- وهذا صحيح، ليس مستقراً عالمنا المخطئ أبداً.

وفكرت: «روسيا الآن واقعة في الفراغ، وهذا يهددها بانهيار الاقتصاد والدولة، وقبل هذا كانت مستقرة تماماً، وهذا أي إلى الشَّيء ذاته أيضاً»، وفي أي نظام لا بد أنْ تكون هناك حلقات للتدمير الذاتي، وإلا فإنَّه سيفنى.

وإلى جانب كل شُعُور عادي يستطيع الإنسان أنْ يحافظ على تصرفات عادية، وكلَّما كنا قريبين إلى الله، كلَّما كنَّا ملزمين على أنْ نشبه الملائكة، وكلَّما اختبرنا شُعُور الحُبّ أكثر.

obeikandl.com

الدَّرجـــة الرَّابعـــة

كُنت أجلس في الطائرة عائداً من مصر، وعليَّ أن أطير خمس ساعات لأصل إلى روسيا. سابقاً لم أكن أحب الرحلات الطويلة، وبعدها فهمت أنَّه أثناء الرحلة يُمكن القيام بشيء ما. وها أنذا أتذكر الحكاية الصوفية التَّالية:

في أحد الأيَّام ذهب المُعلِّم مع طلابه إلى القرية، لكنَّ أهل القرية لم يقدموا لهُم الطعام، ولم يسمحوا لهُم بالنوم فيها، وها هُم يجلسون مساءً في الصحراء الباردة، ومن حولهم تدوي العواصف، وبدأ المُعلِّم الصَّلاة:

- اللّه، شكراً لك لأنَّك وضعتني في هذا الموقف.

وقال الطلاب:

اللّه لم يعطِ لا ماء ولا خبزاً، فلماذا تشكره إذاً؟

- أعرف شيئاً واحداً، قال المُعلِّم، في هذه اللحظة أعطاني اللّه لي ولكم ما كنا نحتاج إليه، وإذا شعرنا بذلك، فإنَّه ستختفي لدينا كل الاستياءات وكل ما نعدُّه اليوم سعادة، غداً، يُمكن أنْ يكون مأساة لنا.

وتأخرت الطائرة قليلاً، وأشعر دائماً بعد هبوط الطائرة وكأنَّ شيئاً ثقيلاً قد أزيح عني، ولكنْ بعد الوُصُول سرعان ما يُصبح الهاتف عندي يرن إما من الأصدقاء أو من المعارف، وألغيت كل محاضراتي وجلساتي، باستثناء محاضرة بيتربورغ، حيثُ كل خريف وربيع أقوم بتلخيص ما حدث معي من أبحاثي.

وها هي أمامي ورقة أرسلتها لي إحدى الصحف عن طريق الفاكس، وفيها مجموعة من الأسئلة الَّتي يريد الصحفيون طرحها علي، وهي تختلف عن تلك الأسئلة الَّتي يطرحونها عليَّ أثناء المحاضرات.

- هل تُعَدُّ نفسك مختاراً من أحد ما؟

- أصحيح أنَّك إنسان قاسٍ لا يرحم المرضى؟

- هل تعرفون الشُّعُور بالأسف؟

فيما يتعلق بالسؤال الأوَّل، أظنُّ أنَّه مضحك، وأما ما يتعلق بأنني شخص قاسٍ، وأنا أسال هُنا هل يُمكن اعتبار الطبيب الجراح قاسياً؟

في إحدى المُدُن عاينت بعض الأشخاص، وقدم المُساعدة لي في تنظيم الجلسات أحد الأشخاص، وتبين فيما بعد أنَّ اشتراكه في الجلسة كان بسبب رغبته في الإعلان عن نفسه ومحاضراته، وهُو يُعدُّ نفسه شخصاً يفهم جيِّداً الإنجيل. وكان النَّاس يأتون إليه وقرر استغلال محاضرتي وجلساتي. وأمامي تجلس امرأة تنهمر الدموع على خديها.

- لقد انتحرَتْ ابنتي - قالت لي، ساعدني في أنْ أفهم ما حدث؟ قلت لها:

- الشُّعُور بالاعتزاز بشكل كبير، وابنتك لم تستطع تقبل الأوضاع الَّتي تتواجد فيها، والأهل لا يريدون، والأطفال لا يستطيعون، وكان يُمكن أنْ تتجنب ابنتك الانتحار، وبما أنَّ هذا لم يحدث، فإنَّ الوضع انتهى مأساوياً، وسوف تتعذب رُوح ابنتك. وجلست المرأة وكانت حزينة جدَّاً ومندهشة ولم تتوقع ما قلته لها.

وفي نيويورك كانت هناك امرأة تطرح عليَّ أسئلة من دُون معنى أو أهمِّيَّة، وقلت لها:

- منطقك يغلق أمامك إمكانية تقبل معلوماتي - ما أقوله يجب أنْ تشعري به أوَّلاً، وأنت لا تريدين أنْ تتغيري، تحاولين استخدامي وأسئلتك لن تعطيك شيئاً.

وهي أصرَّت، وأنا وافقت. وكنت أريد أنْ أعرف هل أستطيع التحمل أم لا. وحاورتني ساعة وساعتين، وفي النهاية قالت:

- لقد جئت إليك لأتخلص من العدوانية، وأنا أرميها إليك، وأنت تعيدها إليَّ من جديد.

وعندها فهمت لماذا تطرح عليَّ تلك الأسئلة.

إنَّ موت كل إنسان مُحدَّد من الأعلى، ومن ثُمَّ يتم تحديده من الكارما الخاصَّة والشخصية ومصير كل إنسان.

التشـــخيص

لكي أقوم بتشخيص حالات النَّاس ومساعدتهم عليَّ أنْ أشغِّل الحلقات العُليا من الأنا الإنسانية، ولاسيما المُستوى الرابع، وإنَّ أي فشل أو إخفاق مع الأقارب كان يُعَدُّ إخفاقاً لعملي.

في إحدى المحاضرات الَّتي ألقيتها وصلت إليَّ ورقة غريبة، كتب الرجل فيها أنَّ أمه مريضة جدَّاً وقررت الانتهاء من حياتها برضاها، وساعدوها في ذلك. والآن لديه أزمة، إذ ليست لديه الرغبة في الحياة، وصعب عليه جدَّاً أنْ يتقبل ذلك. وسأل الرجل، هل وضعه مرتبط مع موت أمه؟ بين التشخيص أنَّه مرتبط. فلدى الأم كانت رغبة الموت لنفسها وأطفالها وأحفادها. لماذا تتمنى الموت لنفسها فقط؟ إنَّ مشاعرنا العميقة مرتبطة مع مشاعر أولادنا، ومع أحفادنا، وبقدر ما تكون قُوَّة استمرار مشاعرنا قويَّة بقدر ما يُؤثِّر هذا على الأسلاف بقُوَّة. وإذا قرر الإنسان أنْ ينهي حياته فإنَّه كلَّما ركز بقُوَّة على هذه الرغبة، كلَّما تعمقت لديه بقُوَّة، وبالتَّالي تنهار صحة ومصير الأسلاف، سألتني إحدى النساء أنْ أنظر لها ما حدث مع معارفها، فهم قرروا إنجاب طفل، وقبل عدَّة أشهر من الولادة تركوا التدخين، واتبعوا حمية قاسية، وأثناء الحمل قاموا بكُلِّ ما نصحهم الطبيب القيام به، وولد الطفل بإصابة قويَّة في القلب وبعد تسعة أيَّام مات، وتبين لي بعد أنْ قمت بالتشخيص أنَّ أم الطفل كانت تتمسك بالمبادئ والبرامج القاسية.

وجاءت إليَّ امرأة تُعاني من مشكلات كبيرة في الصحة، ورأيت أنَّه يُمكن لابنيها أنْ يموتا.

- إنَّ مشاعرك تموت - قلت لها - توقفي عن التَّفكير.

لماذا لدى الشماليين نسبة كبيرة من المنتحرين؟ لأنهم أقل حساسيَّة من الجنوبيين، ومشاعرهم تقمع بسرعة.

- أنا كل يوم أستحم بالمياه الباردة. قالت المرأة بهدوء:

- يجب أنْ لا تقومي بذلك كل يوم.

obeikandl.com

مصـــر، كلـــوي

في المرَّة الماضية عندما كنا في مصر، عشنا في فندق جديد، وكان الشاطئ جديداً، فقد قاموا بردم البحر بالرمال وجعلوا منه شاطئاً، وباستثناء البحر لم يكن هناك شيء مميز، وقررنا السفر إلى القاهرة والأقصر، وكلفتنا الرحلة إلى القاهرة ٧٠ دولاراً من كل شخص، حاولت العثور على خيارات أخرى، ووافق سائق التاكسي المصري على البقاء معنا مُقابل ٢٠٠ دولار، بما أنَّها كانت تتسع لستة أشخاص، وبالتالي، فإنَّ كل شخص سيدفع ٣٠ دولاراً، وإضافة لذلك يُمكن إيقاف التاكسي أينما كان وليس هناك من داع للخوف من التأخير. ذهبنا في الخامسة صباحاً مع مجموعة من الباصات والسيارات، وكان يرأس القافلة شرطي مع مدفع رشاش يجلس على سقف الباص الأوَّل، وتذكر الأهرامات المصرية بالبازار، فهناك الكثير من النَّاس. وكنت مقتنعاً بشيء: إنَّه إذا أردت أنْ تشعر بجمال وروعة أي مكان فلا يجوز الاقتراب منه عند وُجُود الكثير من الناس، ويجب الاقتراب منه سيراً على الأقدام تاركاً السيارة بعيداً. وعندئذ سيكون هناك انطباع رائع، ومفهوم الآن لماذا كانوا سابقاً يسيرون مشياً على الأقدام إلى الأماكن المُقدَّسة.

ولكي نصل إلى القاهرة علينا قضاء خمس ساعات في الصحراء، ليس هناك شجرة واحدة، الصحراء والجبال فقط، إما سوداء أو بنية غامقة. وعندما وصلنا إلى متحف القاهرة، فإنَّ كل ما رأيته هناك ذكرني بطفولتي المُبكِّرة.

في روسيا عندما تسير على طريق بالسيارة وترى سيارة أُخرى مقبلة باتجاهك على بعد كيلومتر فإنك تطفئ نور السيارة العالي، وأما سائقنا فقد كان ذا تربية عالية جداً، إذ كان يقوم بإطفاء النُّور كله وهذا ما يقوم به السائق في السيارة المتجهة نحونا. وسرنا نحو كيلومتر في عتمة في الصحراء، وكان مريعاً في البداية لكنَّنا تعودنا فيما بعد. واقترح عليَّ أحد أصدقائي قائلاً:

- غنِّ لنا أي أغنية.

- وفي هذا الصمت المطبق في الصحراء أصبحت أصواتنا وسيلة للتعايش مع العوالم الأخرى، وشعرنا بالعالم اللامتناهي و«الأنا» العائدة لنا، بعد عدَّة أيَّام من عودتنا من الأقصر اتفقت مع سائق التاكسي حول الرحلة القادمة.

- أنا بحاجة لزيارة مكان مقفر تماماً - أتفهم، مكان مقفر، بحيث لا يكون هناك أي شخص، «نو بيوبل» «بالإنكليزية».

- يس، «نو بيوبل» قال السائق.

وبعد ذلك شرح لي أنَّ هذا المكان على بعد ٥٠كم، وقلت له:

- حسنا، هذا ما أريده.

في الصباح التَّالي اجتمعنا كمجموعة وانطلقنا إلى المكان المنشود.

- يا شباب، تخيلوا أننا سنصل إلى مكان مقفر تماماً، ليس هناك أي شخص، سرنا ٤٠ - ٥٠ دقيقة نحو الشمال، وبعدها ينعطف السائق عن الطريق رأينا البحر من الشمال، وقلت للسائق:

- إلى أين تقودنا، سألته بالروسية.

وقال: «نو بيوبل».

- هُو محق، قال ذلك أحد زملائي - فالناس ليسوا موجودين هنا، وعدنا إلى الطريق وبعد ٢كم طلبنا منه التوقف:

- هُنا لا بد من وُجُود مكان جميل، دُون ناس، أليس كذلك؟ سألت دليلتنا السياحية.

- نعم، يُوجد - «كلوي» - وأشارت بيدها إلى الجنوب.

قال السائق: أنا أذهب إلى هناك لصيد السمك مع عائلتي.

- ليكن ما يكون - قررنا - لا بد من المحاولة مرَّة أُخرى.

في الصباح التَّالي هناك ناس، وغطسنا في الماء، وفهمت لماذا أرسلتنا الفتاة إلى هنا، فقد كان هناك أنواع كثيرة من السمك، وقضينا هناك اليوم كله.

والآن لنتحدث عن المهم، كل الوقت الَّذي كُنت فيه على الشاطئ أقنعت نفسي أنَّه في نهاية المطاف ستموت البحار، وتختفي الأسماك وستموت أرضنا، وستنطفئ الشمس، ولكن الهدف ليس في وجودهم الأبدي، بل أنْ تتحول اللحظات الزمنية القصيرة من السَّعادة الإنسانية إلى لحظات إلهية في النَّفس، وكنت أقول إنَّه لا يجب الابتعاد عن الحُبّ وعدم قمعه، وشعور

oberkanar.com

الحُبّ هذا كان ضعيفاً خفيفاً غير مرئي، وإذا توقفت عن مساندته فسوف يختفي، وأما الآن وعندما شعرت بواقعية ووُجُود شُعُور الحُبّ أدركت أنَّه لا بد من زيادة قُوَّة استمرار هذا الشُّعُور كل يوم. وعندئذ يُمكن تسمية السلوك غير الصحيح على الأمر الَّذي يعيق هذا الشُّعُور.

والسلوك الصحيح يُساعد في زيادة قُوَّة استمرار الحُبّ في أنفسنا وفي أنفس الأشخاص الآخرين، وأحد شروط الانتقال الأساسيَّة من الإنساني إلى الإلهي، هُو مُضاعفة قُوَّة استمرار الشُّعُور بالحُبِّ.

obeikandl.com

obeikandl.com

كــن معــافــى ببســاطة

عنـدما لا تكـون هنـاك رحـلات أقـوم فيهـا أذهـب إلى المسـبح، فترتـاح الأعصـاب والعضلات تعمل. والقُوَّة أو الطَّاقة الَّتي يحصل عليها الجسم تستمر لفترة طويلة، ومع هـذا فإنَّ أفضل نظام للطهارة هُو الصوم، والرياضة والتعامل الجيد مع العالم. وما أنْ نبدأ بالارتباط بشيء ما حتَّى تبدأ عمليَّة فقدان الطاقة، وإذا حملنا عضلاتنا أكثر ممَّا يجب تمتنع عن العمل، والعبء النَّفسيّ يُؤدِّي إلى هبوط مُستوى النَّشاط في خلايانا. وليس عبثاً أنْ أطلقوا على المخ الخلية الأساسيَّة عند الإنسان، وعندما نطهر الجسم بمساعدة طُرُق عديدة، فإنه يصل إلى الوضع الَّذي يتناسب مع المعتقد الصحيح والشخصية والسلوك، والجسم يتزود بالطاقة دائماً وفي الوقت ذاته، يعمل في نظام الطهارة، ومستوى الطهارة يتحدد بالوضع الداخلي للإنسان.

منذ فترة التقيت مريضة غريبة، روت لي حادثة مثيرة للفضول، قبل ولادة طفلتها تشكل لديها حصى في الكليتين، وعندما ذهبت إلى الأخصائيين، تبين أنَّها أحجار كلورية، وهذه لا يُمكن طرحها من الكلية ،وعادة ينتهي الأمر إما باستئصال الكُلِّيَّة أو الموت، لكنها استمرت في الحمل وأنجبت طفلتها، وبعد وقت قصير أصبحت تلك الأحجار تختفي دُون تناول أي أدوية، وكليتاها الآن نظيفتان تماماً. وما يهمها في الواقع ما حدث معها، عند رؤيتي الأولى كان واضحاً أنَّ هذا مرتبط مع أطفالها، ونظرت باهتمام أكثر وأصبحت أشرح لها:

- قبل الولادة كان لا بد من جعل طابعك أخف ليدفعك إلى الحُبّ الإلهي. لذا كانت الطهارة عندك من خلال المرض. وقمت بالشيء الصحيح، تركت كل المشكلات وأصبحت لطيفة، وتركزين على الحُبّ واستطعت تطهير ليس نفسك فقط، بل رُوح ابنتك. وإذا تطهرت النَّفس فإنَّ الجسد سيلحقها أيضاً، لذا بعد ولادة الطفلة تطهر الجسد بسرعة. العديد من الأهالي يقلقون من أنَّ أطفالهم يبدأون في الكلام متأخرين، على الرَّغم من نموهم

وحساسيتهم ووعيهم، وفي واقع الأمر فإنَّ إيقاف الوعي يُعَدُّ خيراً بالنِّسبة للطفل، إذ يسمح له التركيز أكثر على شُعُور الحُبّ والإدراك الحسي للعالم.

وقد أدركت بسرعة حقيقة بسيطة جداً، يجب أنْ لا نطلب من الأطفال أي شيء، ويجب مساعدتهم فقط، وهم يحتاجون للمُساعدة لإقامة علاقة صحيحة مع العالم، ومساعدتهم في الصَّلاة كل يوم، وتعليمهم أنْ يكونوا لطفاء مع أنفسهم ومع غيرهم، والمنطق الإنساني - يتطلب، إما الإلهي - فيساعد. ويجب أنْ نتعامل مع الأطفال كما نتعامل مع كائن إلهي، ومن جديد فإنَّ التّربية تبدأ من التّربية الذاتية للمربي وللأهل.

قبل أنْ أذهب إلى المسبح اتصلت بالهاتف بمدينة أخرى، كان عليَّ توضيح بعض الأُمُور المتعلقة بالكتاب السادس، وسمعت الجواب وبدأنا الحديث:

- تعرف، لقد قرأ أقاربي تجارب عالم النَّفس ليونتيف، ألاَّ تستطيع أنْ تقل لي اسم الكتاب الَّذي كتب فيه عن هذه الظاهرة؟

قالوا لي اسم الكتاب الَّذي أريد قراءته وأضافوا:

- تعرف، أنَّ الإنسان عندما يعرف شيئاً يتلمس رأسه بيديه، وإذا كانت الأيدي مفقودة أو دُون حركة فإنَّ عمليَّة المعرفة تتوقَّف لبعض الوقت، وإذا حركنا رأسنا من جهة إلى أخرى، فإننا نسهل على أنفسنا معرفة الأشخاص المقربين، وإذا لم نحرك رأسنا، فإننا نبدأ وكأننا نتلمس كل جسدنا، أي في عمليَّة التَّفكير يُشارك الجسد كله.

- يعني إذا شاخ الجسد وعمل بشكل سيئ، فإنَّ هذا ينعكس على التَّفكير أيضاً، قلت أنا:

- بالضبط، إن الحركة النشيطة تساعدنا على الحفاظ أكثر على وُضُوح التَّفكير وتقلل من إمكانية فقدان القدرات عند الشيخوخة.

وانتهى الحديث ووضعت سماعة الهاتف وخرجت من الشقة، وعلى الرغم من أنَّ اليوم كان ١٨ أيار، فإنَّ الربيع لم يحل بعد، وكان المسبح يقع في الجهة الأخرى، وخلال نصف ساعة سأصل.

تذكرت حديثي مع البروفيسور من معهد «بيختيريف»، وسألته، هل سمع عن أبحاث مشابهة لأبحاثي؟

- تعرف، جاء إلي في المعهد رجل أمريكي، كان يقوم بما تقوم به أنت وأراد أنْ يجري بعض التَّجارب في معهدنا، لكنَّ مضمون هذه الظاهرة، لم يكن يستطيع فهمها وبعد ذلك لا أدري إلى أين ذهب.

- وما هُو مضمون أبحاثه؟

- إنَّه عندما نغفر للإنسان نستطيع التَّخلُّص من المرض، وأورد حالتين، الأولى - امرأة كانت مصابة بسرطان الثدي، ذهبت وزوجها للاستجمام في البرازيل، وقد اشترى زوجها المخدرات ووضعها في حقيبة الزَّوجة، أملاً في أنَّه يُمكن حملها إلى هناك، وتم العثور على المخدرات، وزج بالزوجة في السجن، بعد ذلك خرجت من السجن وأصيبت بسرطان الثدي. وعندما أقنعوها أنَّه يجب أنْ تغفر لزوجها، اختفى سرطان الثدي لديها، الحالة الثَّانية - امرأة طردت ابنتها من البيت، والفتاة كبرت، ومن ثُمَّ أصيبت بالربو، ولم يتمكنوا من علاجها، وعندما استطاعت أنْ تغفر لأمها، اختفى مرضها!!

- كم هُو بسيط أنْ يكن المرء معافى صحياً، لا بد من تربية اللُّطف والإرادة الإلهية في أنفسنا.

وأتذكر مريضاً روى لي عن مشكلاته.

- فهمت من كتبك أنْ لدي تركيز قوي على الوعي وعلى النساء، هل أستطيع أنْ أحلم بالتخلص من هذا وأبدأ أثق بالناس، ووضعي الآن أفضل ممَّا لدى الآخرين، وإذا رأيت امرأة جميلة فإنني أنسى كل شيء، منذ فترة وقعت في الحب، وهي فتاة شابة ولطيفة والأولى الَّتي أظهرت لي بوادر الاهتمام، وشعرت بذلك لكنْ لم أستجب، ولكنْ بعد ذلك أحببتها، وما أنْ عرفت أنني في متناول يدها حتَّى بدأت تهملني. وما أنْ قرَّرت الابتعاد عنها حتَّى بدأ عندي نزيف دموي، وما أنْ رأيت الدماء حتَّى قرَّرت أنني سأعود إليها، فانقطع النزيف، وبعد ساعة قرَّرت التخلي عنها، عاد النزيف من جديد، ذهبت إليها والتقيتها، وكانت تحتقرني أكثر، وقررت الصبر مهما حصل واستمر الحال نصف عام. وبعدها تزوجت من شخص آخر وأنجبت منه طفلاً.

- هل تستطيع أنْ تشرح لي ما الأمر؟ سألني.

- ببساطة أمامك حب كبير، لكنَّك لن تعيش لو اختبرت هذا الشُّعُور القوي بالحُبِّ.

وصلت إلى الشارع الكبير ورأيت من بعيد أحد معارفي، ليس لديه سيارة ولذلك كُنت أوصله معي في السيارة إلى المسبح.

- مرحباً وجلس في السيارة، كيف العمل مع الكتاب؟ سألني.

- عادي، بقي فصلان أو ثلاثة، وبعد المسبح سأعود للعمل.

كنا نسير في الشارع الكبير، وقلت له:

- تعرف، أصبح المرضى يعرفون الأجوبة عن الأسئلة بأنفسهم، وقد قالت لي بالأمس إحدى المعارف: «ها هُم الأشخاص يسألون غالباً: هل تزوجت عن حب، وبعد تطلقت، ما الأمر إذاً؟» وأنا فهمت ما الأمر، لأنَّها تزوجت وأحبت شيئاً ما، وبعد أنْ زال هذا الشَّيء ذهب الحُبّ معها، تطلقت من واحد، وتزوجت آخر، لدى الآخر ما ليس لدى الأوَّل، وعاشت مع الثَّاني، وتبين أنَّ لديه الكثير غير الكافي بالمقارنة مع الأوَّل، وعندما تتزوج لأنَّك ببساطة تحب، لا تُفكِّر بشيء، ابتسمت والتفت إلى صديقي وقلت:

- لن تبقى لي حاجة لتأليف الكتب، سوف نجمع رسائل القراء، وأسئلتهم وأجوبتهم ونقوم بالطباعة فقط.

لعله كان لا بد لي من الاهتمام ليس بمسألة المرض، بل بمسألة الشيخوخة وعلى الرَّغم من أنَّ الشيخوخة مبدئياً - هي مرض بحد ذاته، وسببها في التبعية الكبيرة بالوعي والعالم المحيط، لقد قرأت غالباً عن حالات، حيثُ كان الأشخاص في حالة سبات، واستمروا في تناول الطعام والعيش ولكنَّ وعيهم أنقذ ولم يشيخوا أبداً، وعندما استيقظوا أصبحوا يشيخون بسرعة، إذاً إنَّ آليَّة الشيخوخة مرتبطة بالوعي لدرجة كبيرة، وللتغلب على هذه التبعية بالوعي لا بد من العثور على نقطة ارتكاز أُخرى والابتعاد عن كل ما يربطنا بالوعي.

على قبر أحد أحد اليونانيين القدامى كانت هذه الكلمات: «عشت طويلاً، لأنني أكلت وشربت حسب حاجتي». «السَّعادة الإنسانية - اعتقد أنا - إذا تمسكنا بها طويلاً تُصبح لا سعادة».

وأتذكر الآن قصيدة قرأتها بالأمس:

لـــــدي ثلاثـــــة أشـــــياء غاليـــــة.

أحفظهـــــا بحـــــرص شـــــديد

الأولى تُســـمَّى الشُّـــعُور العميـــق بالحُـــبِّ

والـــــتي لا تـــــرتبط بشـــــيء أبـــــداً.

والثانيـــــة تُســـــمَّى «الثِّقـــــة».

والثالثـــــــــة تُســـــــــمَّى

لا للســـــعي لأنْ أكـــــون الأســـــاس»

حصـــل الحُـــبّ لأنـــني أســـتطيع

أنْ أتصـــرف كجنـــدي حقيقـــي قـــوي

حـــريص، لأنـــني أســـتطيع أنْ أضـــاعف قـــوتي

لا أســـعى لأكـــون الأهـــم في الأرض

ولـــذا أســـتطيع أنْ أتحكـــم بطبيعـــة الأشـــياء

ومَـــنْ يـــترك اليـــوم الحُـــبّ مـــن أجـــل الحـــرب

ومَـــنْ ينفـــي الاعتـــداء مـــن أجـــل الـــوفرة

ومَـــنْ يـــرفض أنْ يكـــون أمـــيراً

لكـــــي يُصـــــبح الأهـــــم

ســـــيموت بالتأكيـــــد!

ولكـــــنْ مَـــــنْ يحـــــب

ويحـــــارب وينتصـــــر

ويـــــتحكم بمشـــــاعره

يُصـــــبح أقـــــوى

والســـــماء تســـــاعده

وتهـــــتم بـــــه وتقـــــدم لـــــه

الصـــــبر والحـــــب

obeikandl.com

قيل هذا الكلام منذ آلاف السنين، وتصوراتنا لم تخرج إلى الآن خارج إطار ما قاله ذلك الشاعر.

انتهينا من السباحة ويلوِّح صديقي لي بيده، واقتربت من السلم لأخرج من المسبح، وذهبنا لأخذ الحمام، وارتدينا ملابسنا، وهُو كان ينظر باهتمام إلى يده ضاغطاً عليها.

- تعرف سابقاً كان يخدر خنصري، أمَّا الآن فكل كفي أصابها الخدر.
- وكيف يُمكن مُعالجة هذا الأمر؟
- من وجهة نظر كارميَّة، فإنَّ هذا يرتبط بالأولاد والأحفاد ومتعلق بكُلِّ ما هُو إنساني، وهنا يجب أنْ تعمل آليَّة الابتعاد عن كل ما يربطنا، وهُو الصوم، والوحدة، والابتعاد عن الجنس، أي وبعبارات بسيطة يجب الحد من كمِّيَّة الطَّاقة الَّتي تصرف على الجسد وتوجيهه نحو تنشيط البنى الرُّوحيَّة المكانية. وهي تعيش أكثر، ونحن نرى ونفكر ونشعر من خلال دماغنا وأعيننا وجسدنا، أي من خلال المادَّة، وفي الوقت نفسه، نرى ونفكر ونشعر بالحقل الطاقوي، أي بالمكان، وفي الوقت نفسه، نحن نرى ونفكر ونشعر بالوقت، وبقدر ما تكون فاعلية الجسد، الزمني والمكاني، مرتفعة بقدر ما يشيخ الجسد الفيزيائي، أي بدننا بشكل أبطأ.
- ماذا أفعل إذاً؟ سألني زميلي.
- تحدث واختلط مع النَّاس قليلاً، وفكر قليلاً، ولكنْ صلِّ أكثر.
- وإذا فكرت أثناء الصلاة، ماذا أفعل؟
- لدي مريض كان يجري خلف الأفكار والنساء، وأستطيع أنْ أنصحك كما نصحته، أنْ تلجأ إلى الصَّلاة إلى الله.

العلـــم والديـــن

خرج العلم من العقائد الصوفية والدينية، وقبل أنْ نقوم بالمقارنات والتحليلات واستخلاص النتائج، لا بد من توفر صيغة حسية. إذا كان العلم يتجه نحو الأفكار، فإنَّ الدِّين يتجه نحو المشاعر، وقياساً على ذلك تظهر لدى العالم الحاجة الأكبر نحو الحُبّ الإلهي، ويبدأ الحوار بين الدِّين والعلم. والعلم كالابن الضال يعود إلى الله، ويولِّد الحُبّ الإلهي المشاعر، وهي تولِّد الأفكار، وأما الأفكار لكي لا تنهار يجب أنْ تعود إلى مشاعر، وتسعى لكُلِّ ما هُو إلهي.

عندما يبدأ الإنسان بالصلاة، فإنَّ الكلمات والوعي يصبحان وسيلة للوصول إلى الله، والندم على الماضي والخوف من المستقبل، وعدم مغفرة الإساءة والمشكلات الرُّوحيَّة وا لمادية والتحكم بالموقف، تجعل من الوعي نشيطاً والصلاة من دُون نتيجة، زد على ذلك، عندما نلجأ إلى الله يجري تسارع في كُلِّ العمليات، وإذا لم يتوقَّف الوعي فإنَّ الارتباط به يزداد، وعندئذ يُمكن أنْ تكون هناك أشياء سيِّئة وأمراض وتعاسة.

قالت لي امرأة:

- لجأت إلى الله، وبدأت عندي المشكلات، وفقدت كل شيء.

وامرأة أُخرى قالت لي إنَّها قرَّرت أنْ تتعمد، وقبل العمادة بوقت قليل احترق فراشها، وبقيت حية بمعجزة.

وثالثة روت لي أنَّ ابنتها أنهت دراستها بامتياز في المدرسة والجامعة، وبعد زيارتها للكنيسة وضعناها في عيادة نفسية، وأصيبت بانهيار تام في الشخصية، وعندما خرجت من العيادة لم تستطع أنْ تُتابع دراستها، والشجرة الَّتي تفقد جذورها، آجلاً أم عاجلاً، ستموت، والإنسان الَّذي يفقد الاتصال الداخلي مع الله، فهُو مذنب، وبقدر ما نكون تابعين بقُوَّة لكل ما هُو إنساني، بقدر ما تكون الفرص أقل لدى خلفنا.

أريد أنْ أقول مرَّة أخرى، نحن لا نصلِّي من أجل العثور على ما هُو إنساني والحصول عليه أكثر، نحن نصلي من أجل أنْ نفقد الإنساني والتقليل من أهمِّيَّته، والتغلب على الجاذبية.

منذ فترة تكلمت مرتين على الهاتف، وكان حديثاً ممتعاً:

- أتعرف، كاد الكلب الَّذي نقتنيه أنْ يجن، فهُو لا يخضع، ولا يسمع لأحد، ويفعل ما يريد، ويبدو لي أنَّ أصحابه القدامى قد أصابوه بالجنون، فهُم كانوا قاسين جداً، ولماذا أتصل معك: لقد حبسنا الكلب وغيرنا اسمه ولا نعرف ما نفعل لاحقاً؟

- هل حدثت أحداث ما في الفترة الأخيرة؟

- وهل تعتقد أنَّ ذلك يُمكن أنْ ينعكس على تصرفات الكلب؟

- ليس مستبعداً، فقد زادت عنده التبعية بالأفكار والوعي، وبالتَّالي ازداد عنده مُستوى الأنا، وحمل ما وجده من أصحاب السابقين في نفسه. وهل فعلت شيئاً ما في الأيَّام الأخيرة، وفعل الشَّيء نفسه:

فكرت المرأة قليلاً، ثُمَّ قالت:

- لم أفعل شيئاً أبداً، والشيء الوحيد الَّذي قمت به هُو أنني صلَّيت كثيراً في هذه الأيام، لقد أصبح كل شيء واضحاً لي.

- لقد كان لديك التَّعلُّق بالأفكار والمثل مرتفعاً جداً، وأفسر لك ذلك. عندما تصلِّين من وقت لآخر، فإنَّ أفكارك الَّتي تسعين من خلالها إلى الله تعود بالتدريج إلى مشاعر، وتجري عمليَّة تناسق للعودة إلى الله، وإذا بدأت تصلِّين بكثرة، فيجب أنْ يحدث توقف سريع للوعي، ومن أجل هذا لا بد من التخلي عن كل ما يعيق هذه العملية، انظري ماذا فعل الكهنة، أي مَنْ سار على طريق الصَّلاة باستمرار:

أوَّلاً: رفض الأهميَّة الخاصَّة.

ثانياً: رفض التملك.

ثالثاً: رفض الالتزامات الاجتماعيَّة.

رابعاً: رفض ارتداء الألبسة الفاخرة والغذاء الجيد والمتعة الجنسيَّة.

أي كي تكون «الأنا» الإلهية فعَّالة لا بد من إيقاف هذا مؤقتاً. وإذا بدأت تصلِّين بكثرة، وهذا لا يُساعد في عودة الوعي إلى المشاعر، فإنَّه يبدأ بالانفجار من خلال التبعية لكُلِّ ما هُو إنساني.

الاتصال الثَّاني كان من ألمانيا، فقد اتصل بي مريض كان عندي منذ فترة، ولو أنَّه اتصل بي قبل ٣ - ٤ سنوات، لما كُنت فهمت منه شيئاً، ولكنْ أصبحت الآن أفهم، قال الرجل بصوت لا يخلو من الأسى:

- لقد قرأت كتبك وآمنت بالله، وبعد لقائي معك أخذت شرائط الفيديو الخاصَّة بك، وعندما بدأت بمشاهدتها والعمل على نفسي، أصبحت فكرة واحدة تغزو رأسي تماماً: «ما من وُجُود لله، ما من وُجُود لله»، ولدي شُعُور بأنني سأفقد عقلي، والمخيف أكثر أنني لا أستطيع الكلام بشيء ولا أستطيع الصَّلاة».

صمت وحاولت أنْ أفهم ما حدث، ومن الممتع أنَّه إنْ قام الآن برمي شرائط الفيديو، وقال - «لازاريف - دجَّال»، فسوف يخفف عنه هذا الأمر كثيراً، وبعد ذلك يقوم برواية ما حدث معه للآخرين، ومن المدهش حقَّاً أنَّه اتصل معي من جديد، على الرَّغم من أنَّه بعد مشاهدته للشرائط حصلت معه المشكلات.

- لقد حذرتك - قلت له - أنَّه ليس من المستحسن بعد الجلسة أنْ تُفكِّر أو تقيِّم أو تحلل، والمعلومات بعد الجلسة تكون مكثفة أكثر ممَّا هُو موجود في الشريط ، وماذا حدث معك، أنت دكتور، وتعودت أنْ تتقبل كل شيء من خلال الوعي، وفي الجلسة تغيرت، وحصلت تغيرات عميقة، وها أنت تعود إلى المنزل، وعوضاً عن الاستمرار بهذه العمليَّة وضعت شريط الفيديو وبدأت التَّفكير والتحليل، وكل المعلومات في الكتب والشرائط، عبارة عن عكازات، تعلمت المشي، إذاً عليك أنْ تنسى العكازات، بدأت بالعرج - تذكرها، وماذا حصل معك؟ بتغلبك على الارتباط بالوعي سرت نحو الله من خلال مشاعرك، وبعد ذلك قمت بخطوة نحو الوعي إلى الوراء، وأما التركيز على الأنا الإنسانية وعلى الوعي، فيؤدي إلى الابتعاد عن الله.

في اليوم التالي، اتصل بي المرأة والرجل، وكان عندهما كل شيء على ما يرام، وأتذكر أنَّه منذ عام تحدثت مع بروفيسور من معهد بيختيريف، وكان سبب المحادثة ملاحظة قدمها لي أحد المرضى، وجاء فيها أنَّ عالمين قد اكتشفا وضعاً جديداً للوعي.

في الولايات المتحدة وفي جامعة أريزونا انعقد مؤتمر عالمي باسم «الإنجازات الأخيرة للعلم حول الوعي»، وجاء في محاضرات المؤتمر ما يلي: «جرت كثيراً في العالم أبحاث على الدماغ أثناء النوم، وأثناء اليقظة، وأثناء التَّأمُّل أيضاً، حيثُ يعطي التَّأمُّل نتائج غير سيِّئة في عمليَّة علاج الحالات العصبية، وفي معهد بختيريف وجدوا أنَّ غشاء المخ يضمُّ آليات الانتباه والتحذير، أي أوَّلاً ما إنْ يغفو الإنسان، تحدث عمليَّة توقف، ومن ثُمَّ تفعيل، ويؤكد العديد من أنصار «اليوغا»، أنَّ التَّأمُّل هُو أيضاً صلاة وتواصل مع الله، وفي أحد الأيَّام تساءل العلماء:

«وماذا يحدث بالمخ عندما يصلِّي الإنسان؟ ولدقة التَّجربة دعوا كاهناً من أحد الأديرة وخططوا دماغه أثناء الصَّلاة، وقد اندهش العلماء من النَّتيجة، فقد وجدوا أنَّ غشاء الدماغ قد توقف تماماً، جلس الرجل وصلى، ولكنْ غاب لديه النبض تماماً، والذي يشير إلى عمل غشاء المخ، هذه الظاهرة أطلق عليها العلماء «الحالة الرَّابعة للإنسان»، وقبل ذلك كان العلم يعرف ٣ حالات للوعي: اليقظة، النوم البطيء والسريع، والتي تختلف كل واحدة عن الأخرى بطابع النبضات الكهربائيَّة في غشاء المخ، وأثناء الصَّلاة الحقيقية يحدث خُرُوج عن الواقع، ممَّا يُؤدِّي إلى تدمير الاتصالات المرضية، وبالخروج عن العالم وعن شكل الأمراض يساهم الإنسان في شفاء ذاته، وقد أطلق رئيس التَّجربة على الوضع الرَّابع هذا طريقاً للتناسق. وبالمناسبة أوضح العلماء أنَّ «موسيقا الروك» الحالية تُبعد الإنسان عن حالة التناسق مثيرة في غشاء المخ تذبذبات كهربائية، وبما أنَّ أبحاث العلماء تطابقت تماماً مع إدراكي للعالم وأبحاثي، اتصلت بالبروفيسور، وفي اليوم التَّالي التقينا، وكان يبدو ذكيَّاً وإنساناً رائعاً، وتحدثنا حديثاً رائعاً:

- هناك ٣ إيقاعات للتذبذب الكهربائي في دماغ الإنسان - قال لي ذلك البروفيسور - وإيقاع دلتا مرتبط بالوضع الفيزيولوجي العميق للإنسان.

وإيقاع تيتا - هُو «أنا» الإنسان وشخصيته، وإيقاع تيتا مرتبط بالعلاقات الأسرية الداخلية، وبعد ٥ - ٦ سنوات يظهر إيقاع ألفا المرتبط مع الأنا الاجتماعية، وتنشط الطَّبقة الاجتماعية، وعندئذ عندما يصلي الكاهن، فإنَّ إيقاع ألفا وإيقاع تيتا يختفيان.

- ومن وجهة نظري - قلت أنا - هذا يُمكن تفسيره بشيء واحد فقط: وعينا ومشاعرنا لا تملك طبيعة فيزيائية، بل جنسية، أي إننا نرى ونفكر ونشعر بالحقل الطاقوي والمكاني وبعد ذلك فقط بالجسد، والمادة، وعندما يلجأ الإنسان إلى الله، فهُو يرتفع فوق المادَّة، وفوق المكان، ولذلك يحدث انتقال الوعي من إيقاع الجسد إلى إيقاع الحقل بسهولة، ومن دُون فائدة، وفي الأوضاع الطَّبيعيَّة يحدث هذا إما أثناء الموت وإما بعد إصابة خطيرة.

- ممكن تماماً - قال البروفيسور - وبالمناسبة، تابع كلامه، نحن لم نخطط دماغ كاهن واحد فقط، واتضحت الحقيقة، لدى المحاضر، مثلاً، يحدث أثناء الصَّلاة توقف الوعي بقُوَّة أكثر من المدرس، إذاً، كلَّما ركز الكاهن بقُوَّة على الأفكار والوظائف الإدارية والمشكلات السِّياسيَّة، كلَّما كانت صلاته ضعيفة، وعندما دعونا كاهناً كاثوليكياً لم نلحظ أي توقف تام

لغشاء المخ، على الرَّغم من أنَّ الوضع استقرَّ، وعندما قلنا له عن ذلك، قال لنا: «إذاً اذهبوا وخططوا دماغ كاهن أمريكي، ولن تروا ذلك أبداً»، واعترف أنَّ المسيحيين الأرثوذكس يُعَدُّون من المصلين الأكثر قُوَّة.

- قل لنا، أي نوع من الصلوات قمتم بها أثناء التَّجربة؟ سألته أنا،

- «أبونا» و«صلاة المسيح»، قال البروفيسور متابعاً، جاء إلينا شخص مارس لعدة سنوات اليوغا، وقرر رؤية في أي وضع يكون دماغه إذا لم يكن يقوم بالتأمل، بل بالصلاة. وصلَّى لوقت طويل قبل التَّجربة، وعندما بدأ بتسجيل التخطيط الدماغي، وجدنا تذبذبات كهربائية خاصة بنوبات الصرع، وكان علينا إيقاف العمل معه، لم تجلب الصَّلاة الهُدُوء له.

واستغرق البروفيسور في التَّفكير قليلاً، وكان الربيع قد حلَّ وهذا كان عام ١٩٩٨، وتابع كلامه:

- ألفا وتيتا مرتبطان بمستويين من الوعي يخدمان تطوير شخصيتنا ووجودها في الوعي الاجتماعي، ويحدث التطوير الهارموني فقط عندما تعمل بنشاط كل مستويات الوعي، والمستوى الأساسي للوعي هُو ذلك الَّذي نلاحظه أثناء الصلاة، حيثُ تتوقَّف الأنا الشَّخصيَّة والاجتماعية، والتفكير غير المعقول أعمُّ من المعقول، وتنغمس الثقافة وعلم النَّفس في أزمة معقدة، وهذا يعود إلى أنَّ الفلسفة وعلم النَّفس لدى الإنسان الغربي تترك أمكنة أقل للتفكير غير المعقول، وتبقى أقل المشاعر وكل مظاهر المنطق، إذا كان الزوج والزَّوجة يُساعدان بعضهما سابقاً في حياتهما الزوجية وحاولا التمسك بالآخر عن طريق الحُبّ وحلاً مشكلاتهما بطيبة وهدوء، فإنَّ عقد الزواج الآن غيَّر كل المشاعر، وكل شيء أصبح مشروطاً. وعوضاً عن الرغبة في فهم ومسامحة الزوج، يتم استدعاء البوليس.

الطَّبقة الأساسيَّة الأولى من الوعي، غير معقولة، ولا تعمل فعلياً، أمَّا الثَّانية المرتبطة مع الحياة العائلية وتكوُّن الشخصية، فهي نصف مدمرة، وفي الغرب تكون قاعدة العائلة مزعزعة، وإذا كانت البنى العميقة للأنا الفردية مفككة، فلا يُمكن للأنا الاجتماعيَّة أنْ تكون طبيعية، ولذلك فإنَّ عدداً كبيراً من المشكلات النَّفسيَّة موجودة لدى الأطفال في السويد وسويسرا، وهذه المشكلات تزداد سوءاً، والدول المتطورة تفتقد إلى جذورها.

- والمدهش حقاً، يتابع البروفيسور، أنَّ الصحف والمجلات تمتنع عن نشر هذه المعلومات، وتوجهت إلى ممثلي الكنيسة ولم أعثر هناك على أي اهتمام بهذا، والإنسان يخاف من فقدان أنماطه القديمة، أكثر من فقدانه للمال، وإذا تقبل العلماء هذه المعلومات بجدية سوف نستطيع أنْ ننقذ أطفالنا والعالم أجمع.

سألته: قل لي، وهل يمكنني أنْ أبحث في هذه المادة؟

- بالطبع، قال العالم، تعال إلينا وسنقوم بالتجربة.

ذهبت بالسيارة إلى المنزل وتذكرت الحادثة الَّتي حدثت معي في ألمانيا، كنا نريد أنْ نستأجر سيارة، وكنا بحاجة إلى سيارة كبيرة مع صندوق. وعندما وصلنا إلى المكتب، رأينا تماماً هذه السيارة الَّتي نحتاجها: بيك أب «أوبل أوميغا»، ودخلنا المكتب، وكانت امرأة ألمانية تنظر إلينا بحدة من خلال عدسات نظارتها.

- نحن نحتاج إلى سيارة «أوبل أوميغا» للإيجار، قلنا لها.

- ليس لدينا مثل هذه السيارات - قالت المرأة بحدَّة، ونظرنا إلى بعضنا باندهاش.

- اعذرينا - قال ذلك صديقي وأشار بيده إلى النافذة - وهذا أليس لديكم؟

- هذه السيارة ليست نظيفة - ردَّت بحدَّة أيضاً.

- حسنا، سوف ننتظر حتَّى تُصبح نظيفة - قال صديقي.

- إذاً تعال بعد ٢٠ دقيقة - قالت المرأة - وسوف تحصلون عليها.

تذكرت، أنني منذ فترة تحادثت مع أحد معارفي من لاعبي الهوكي الَّذي يلعب في أميركا في البطولة القومية للهوكي، إذ قال لي:

- تعرفت هناك على سيدة، وكانت لدي سيارة «جيب» فاخرة، وهكذا نسيت أمري واندفعت نحو السيارة، وبدأت بمعاينتها وتلمسها بيدها، وعندما قلت لها إنني لاعب هوكي، نسيت أمر السيارة، واندفعت نحوي، وبدأت بمعاينتي وتلمسي لنصف ساعة.

عدت فكرياً من جديد إلى الشَّخص الَّذي كان يُمارس اليوغا، ماذا حدث معه؟ حدث ما يلي، في الصلوات المسيحية هناك معلومات تفيد أنَّ الله يُمكن معرفته عبر الحُبّ والابتعاد تدريجيَّاً عن كل ما هُو إنساني، والمسيحية تركز قليلاً على اللحظات التَّقنيَّة للابتعاد عن كل ما هُو إنساني، وتركز أكثر على الحُبّ الحي تجاه الله، وعلى اللُّطف والمغفرة، وما أنْ تُصبح لحظات العمل التَّقنيَّة على النَّفس وتغيير الوعي، وتطوير المهارات وتعزيز الصِّحَّة، هدفاً

بحد ذاتها، فإنَّ الدِّين يختفي ويظهر السحر والإيمان بالغيب، ويساعد نظام اليوغا في الابتعاد الذاتي عن الوعي وعن الارتباطات الإنسانية، وبداية في هذا النِّظام كان السعي نحو الخالق وإلى البداية الأولى أكبر من التركيز على التَّقنيَّات المُختلفة. وإذا تحدثنا عن التَّأمُّل الحالي، فإنَّه أوَّلاً يجب أنْ يكون السعي نحو الخالق، وعندئذ فإنَّ السلم الَّذي نرتقيه إلى الإلهي لن يسقط، ففي الدَّرجة الأولى تأتي وضعيَّة الحركات البدنية والتَّوتُّر العضلي، ووضعيَّة النَّقل والفكر، وفي الدَّرجة الثَّانية - وضعيَّة التنفس والقلب، وفي الثَّالثة - وضعيَّة تبادل الأشياء، لكنَّ العودة إلى الوراء من خلال هذه المراحل، معقدة جداً، ولذا نرى في الغرب، أنَّ مَنْ يُمارس التَّأمُّل، من خلال الاسترخاء وإغلاق العينين ومن دُون تفكير، يغلق المرتبة الأولى من الوعي، وعندئذ يحدث تركيز على المستويات الرُّوحيَّة الأكثر علواً، ومنذ آلاف السِّنين كان هذا يُعَدُّ خيراً ويرفع من المعنويات، وإذا تعلق الإنسان بكُلِّ ما هُو روحي، فإنَّ التَّأمُّل بالنِّسبة إليه يُمكن أنْ يكون خطراً، وهُو لن يقربه من الله، بل يبعده عنه، إذاً، بقدر ما يكون الإنسان مرتبطاً باللحظات المعنوية العليا، بقدر ما يكون التَّأمُّل بالنِّسبة إليه مُفيداً وليس خطراً، إذاً، لو بحث الإنسان دائماً عن النواقص في الآخرين، ويفكر بشكل سيِّئ عنهم، وإذا لم يكن راضياً من نفسه، ومن مصيره، وإذا كان يغار ويغضب من المقربين منه، ومرتبط باللحظات المعنوية العليا، فالتأمل يُمكن أنْ يكون بالنِّسبة إليه خطراً، وهنا اللُّطف والعمل البدني والمعفرة يُمكن أنْ تكون بالنِّسبة إليه أكثر فائدة.

اتفقت مع البروفيسور والدكتور على الالتقاء بعد أسبوع، لكنَّه كان مشغولاً، وبعدها بدأت العمل على الكتاب الخامس، ونسيت كل شيء، وها أنا الآن أتصل به من جديد إلى العمل.

- مرحباً - قلت له عندما سمعت صوته - يزعجكم لازاريف، هل تذكره؟

- طبعاً، أتذكره - قال لي - أين كُنت إذاً؟

- تعرف، لقد أنهيت منذ قليل كتابي الخامس، وبدأت فوراً العمل على تأليف السادس، وبدا أنَّ المعلومات مهمة جداً، بحيث لم أكن أريد فقدان الوقت، وعندما أعمل على تأليف الكتاب، فليس عندي قُوَّة لعمل أي شيء، وسأصدر كتابي السادس في أيلول، ونحن الآن في نهاية أيار، وعندئذ، إذا كان ممكناً، سنلتقي بصدر التَّجارب المشتركة.

- حسن، قال البروفيسور.

- بالمناسبة - هل هناك رد فعل في الوسط العلمي على أبحاثك؟

- تعرف، إلى الآن لا شيء، ولكنْ كأنَّ الثلج يذوب الآن، فبعض الصحف الجادة اهتمت بمعلوماتي، ويبدو أنَّها موافقة على نشرها.
- الحمد لله، وودعته وأنا أُفكِّر بالوضع الحالي، ولا أشك بأنَّ الإنسانية سوف تحيا. سابقاً، عملت على أحد الأسباب الَّتي تثير المرض. وهذا السبب هُو عدم مطابقة طاقة الإنسان مع مُجتمع المستقبل، وعلى المُستوى الجنسي هناك مصفوفة الإنسان - المستقبل، فإذا كانت المصفوفة الدَّاخليَّة لم تناسبها، فإننا سنختلف مع مصفوفة المستقبل. ومصفوفتنا الخاصَّة تبدأ بالانهيار، ثُمَّ إنَّ هذا الموضوع قد اختفى بشكل ما، وبدأت الاهتمام بمسائل أُخرى.

كتبت في كتبي السابقة أنَّ الحياة الحالية للإنسانية بدأت منذ ألفي عام، وستنتهي في العام ٢٠٠٠، وهذا حسب معلوماتي. والحياة القادمة، بالمناسبة ستكون وتيرتها سريعة، سوف تستمر نحو ٣٠٠ سنة، والوعي سيكون مرتفعاً، واعتباراً من ٢٠٠١ ستبدأ معتقدات الإنسانية بالتغير، ومنذ العام ٢٠٠٤ سوف يظهر أولاد من طراز جديد، واعتباراً من العام ٢٠٣٠ ستبدأ إنسانية جديدة بوعي نوعي جديد وطاقة جديدة، وبالمناسبة خلال عشر سنوات، اعتماداً على كُلِّ شيء، سيحدث تسارع رهيب في العمليات الكارمية، وعندئذ سيعيش فقط مَنْ عثر على الطريق الصحيح، في نهاية الثمانينيات سمعت من المستبصرين الفرضية التَّالية: حتَّى العالم ٢٠٠٠ ستكف أي أدوية عن المفعول. والحق يقال ارتبت بهذا الأمر، واعتبرته خرافة، ومنذ وقت قصير في أحد المخابر وبوجود أجهزة تشخيص عصرية ومتطورة، قال لي الأطباء الأمر نفسه، وفي العامين - الثلاثة الأخيرة سوف تكف الأدوية عن التأثير، حتَّى الأدوية القوية جداً، بما فيها الهرمونية، وبما أنَّ الأدوية لن تعالج الأمراض، بل ستدفعها إلى العمق، يُمكن الافتراض أنَّه حدث إشباع في الأوساخ الكارميَّة للبنى الرُّوحيَّة المهمة لنا، ولا أشك أبداً في أنَّه لدينا ولدى الجميع يوم غد - كُنت أرغب فقط في رؤية هذا اليوم محافظاً على الطبيعة والأنهار والبحر، وعلى أطفالنا كذلك.

في البدايـــة كانت الكلمـــة

كُنت مستلقياً في فراشي، ولم تكن لدي الرغبة في النهوض، وكنت أشعر أنَّ وجهي قد تورَّم وتخشب جسدي، يُمكن أنْ تكون هذه الشيخوخة؟ لا. أستيقظ أحياناً وأشعر أنَّ جسدي خفيف ويطير. وفي الحقيقة فإنَّه من الصُّعُوبة أنْ تحدِّد فيما إذا كُنت تتصرف بشكل صحيح أم لا. وإذا كُنت تتعامل مع العالم بشكل غير صحيح، وتتصرف كذلك، فإنَّ هذا شُعُور يدفعك نحو الأسفل، وإذا تصرفت بشكل صحيح فيظهر لديك شُعُور الطيران ويصبح جسدك خفيفاً وتختفي تبعيتك إلى الجاذبية الأرضية، لماذا؟ لم أكن قد وعيت تماماً بعد النوم، وهُو ليس ضرورياً لي. فنحن نفكر بمشاعرنا وليس بأفكارنا، والأفكار تساعدنا فقط في نقل المعلومات، ولكنْ مع هذا لماذا حين نتصرف بشكل صحيح نشعر بالطيران والخفة؟ لماذا ارتفع في الجو «سيرافيم سوروفسكي» أثناء الصَّلاة؟

من المُمكن أنَّ الجاذبية الأرضية مرتبطة مع الزمن، ومشاعرنا مرتبطة مع الزمان، وتتألف من الزمان، والوسيط ما بين العالم والخالق هُو الزمان، كما أنَّ الوسيط بين الأنا الإنسانية، والأنا الإلهية، هُو الزمان، وكلَّما كنا نرتبط بقُوَّة بمشاعرنا كلَّما ارتبطنا أكثر بروحنا وجسدنا، وإنَّ الارتباط بالمشاعر يولِّد الارتباط بالزمان، والارتباط بالمشاعر يجعلنا عبيداً، وبقدر ما نُركِّز على الحُبّ الإلهي بقدر ما يقترب المنطق الإنساني من الإلهي، ونبدأ نتعامل بشكل صحيح مع العالم ونتصرف بشكل صحيح، وفي البداية تتغلب الرُّوح على الجاذبية الأرضية، ومن ثُمَّ الجسد.

فيما إذاً أنا لست محقاً؟ ومن أين هذا الشُّعُور بالإنهاك؟ على ما يبدو لقد اقتربت من جديد من عتبة دورية، عندما أصبح محتوماً على فلسفة القُوَّة والتأثير الإرادي، أن تختفي وأتذكر، كم كان مؤلماً بالنِّسبة لي لأول مرَّة رفض التَّأثير الإرادي واستحواذ الطَّاقة من خلال اليدين، وكان هناك بحث عن أسباب المرض والصلاة فقط، وبالمناسبة فإنَّ مضمون الصَّلاة ليس في جعل أنفسنا أصحاء، بل في التغيير الشَّخصي من خلال اللجوء إلى الله، ويجب أنْ تكون التغيرات ملامسة للمعتقد والشخصية وتصرف الإنسان، لكنْ عندئذ كان يعتقد

أنَّ الطابع لا يُمكن تغييره، وتبين أنَّ هذا الأمر غير واقعي، وكنت أعتقد أنَّ محاولاتي للشفاء والعلاج ميؤوس منها. كُنت واثقاً أنَّ التغييرات المهمة كثيراً مرتبطة بالتأثير الإرادي فقط. وقررت: «ليكن ما يكون، كله بإرادة الله، وتدريجياً سيذهب المرض، وسأقدر على نسيان هذا والاهتمام بأمر آخر».

لكنْ حصل العكس تماماً، تبين أنَّ الحُبّ يُمكن أنْ يقوم بأشياء أضخم من أي قُوَّة أخرى، وللخروج إلى طبقات أكثر دقَّة تحدد المصير والصِّحَّة، كان لا بد من الامتناع عن القُوَّة. وخطوة واحدة على المُستوى الداخلي، تعادل ألف خطوة على المُستوى الخارجي، وسابقاً كُنت أعتقد أنَّه كلَّما كان أقرب إلى الله، كلَّما كان أقرب إلى الجنة، وفي الواقع لقاء كل خطأ أثناء التقرب إلى الله، لها عواقب وخيمة، ولكي لا نرتكب أخطاء، لا بد من التركيز على ضعفنا، وليس على قوتنا.

لاحظت في الفترة الأخيرة أمراً غريباً، أصبحت الجلسات ثقيلة جدَّاً عليَّ، ويبدو أنني فسرت فقط سبب المشكلات لدى الإنسان، واستناداً إلى ذلك بدأ ضميره يتحول إلى غبار، حتَّى أنَّ أسناني كانت تصطك ليلاً، وكاد الدم يسيل من لساني، وازداد هذا الأمر سوءاً، وعلى الرَّغم من أنني توقفت عن استقبال المرضى، فإنَّ الوضع استقرَّ نوعاً ما: والتركيز على الأفكار وعلى الوعي أثناء جلسات الاستقبال أصبح خطراً جدَّاً عليَّ.

اتضح أنَّ الوضع من دُون مخرج، ولكنَّ هذا الوضع بالتحديد أرغمني على الدخول إلى مستويات جديدة. إنَّ أفكارنا مرتبطة بالعالم الماديِّ. وأثناء جلسات الاستقبال - تحدث تسارع في العمليات أكثر بألف مرَّة، العمليات الصحيحة وغير الصحيحة، أتحدث عن الإلهي، وأنا بنفسي أُفكِّر وأحلل وأشرح، وبالحديث عن الله أجذب النَّاس نحو الوعي، ولم يكن بالإمكان الاستمرار في هذا أكثر.

إنَّ حب الله يولِّد الحُبّ تجاه العالم وكل مشاعرنا، والمشاعر تولِّد الأفكار، لذا عليَّ أنْ أتحدث قليلاً أثناء الجلسات. ومن أجل هذا كان عليَّ تعميم ونشر كل المعلومات الأخيرة، وفي مُستوى مُعيَّن تتحول الأفكار إلى مشاعر، وعندئذ ليس من حاجة لتفسير شيء. هذا هُو الإنساني، وذاك هُو الإلهي، والوضع بذاته يدفعني للسير إلى الأمام.

رنَّ جرس الهاتف، قمت من فراشي وسرت نحو الهاتف، وكان صديق لي يتصل من موسكو.

- أتعرف أنَّك كُنت محقاً - تحدث صديقي بفرح - يجب أنْ نتعامل مع الأنخاب بجدية.

- مع أي أنخاب؟
- مع الأنخاب العاديَّة، أنا أقول إنَّك تصرفت بشكل صحيح، إذ إنَّك تعاملت بجدية مع الأنخاب، كل ما تقوله يدخل في النبيذ ويؤثر حتَّى على الصبغيات.
- أي صبغيات، ما هذا؟
- أرى أنَّك ما زلت نائماً - المعلومة ممتعة لك، ولذا اتصلت بك، سأتصل بك لاحقاً.
- لا داعي - قل لي الآن.
- أجريت تجربة مع أحد علماء الوراثة، وهكذا أصيبوا بصدمة، وقالوا إنَّه لا بد الآن من تغيير كل تصوراتنا حول العالم تماماً.

صمت، محاولاً إدراك ما يقوله وبعدها قلت له:

- تحدث من البداية.
- حسن، تعرف أنَّه منذ عدَّة سنوات قمت بإعداد مستحضر له مفعول قوي جدَّاً:

أوَّلاً: يمنع انقسام الخلايا المنحلة، ويساعد على مُضاعفة الخلايا المعافاة.

ثانياً: يُساعد في إعادة تشكُّل الصبغيات المصابة بإشعاعات نووية، وأثناء هذا لا يُؤثِّر على الخلايا.

ثالثاً: يوقف انقسام خلايا السرطان.

رابعاً: يقوي من النفوذ إلى الخلايا، وتتسارع العمليات الكيميائية في الخلايا، وهذا يُؤدِّي إلى الشباب.

هذا كل ما يتعلق بالمستحضر، والآن عن المعلومات الطبية، في الوقت الراهن، تستخدم بشكل أكثر التشخيص عن طريق الكمبيوتر، والذي يقوم على أسلوب «فول»، وبمساعدة مرسلين خاصين يُمكن نزع المعلومات عن طابع الحقل الطاقوي للإنسان، وتسجيلها في ذاكرة الكمبيوتر، ويُمكن عندئذ تقييم وتشخيص حالة الإنسان الصحية ويُمكن القيام بعملية معاكسة، حيثُ بمساعدة نظام المرسلين تقوم عمليَّة تصحيح للحقل الطاقوي للإنسان، وبذلك يُمكن الحُصُول على معلومات حول البنى الجنسيَّة للمستحضرات الدوائية، ومن ثُمَّ نقلها إلى حامل مناسب، مثل الماء، أو المشروب. ومثل هذا المنتج يُسمَّى نسخ الدواء المعلوماتي الطاقي، وهُو يتفوق على المستحضر الأصلي الطبي وفي الولايات المتحدة وأوروبا الغربية تنتشر مثل هذه النسخ بكثرة، فأنت تضع في فنجان ذلك المستحضر، وتعطيها للمريض، ويأخذ المريض النسخة / المستحضر، ويكون مفعوله كمفعول الدواء. ماذا يقول

الأطباء في هذا الأمر، فهم لا يستطيعون تفسيره، ويتمسكون بوجهة النَّظر التَّالية: كل هذا إيحاء ذاتي، لكنْ لو أنَّ الإنسان يقنع نفسه أنَّ هذا ما هُو إلا دواء، فإنَّ المستحضر سيكون له ذلك المفعول الشافي، والمعلومات الطَّبيعيَّة يُمكن أنْ تُؤثِّر على الإنسان أقوى من تأثير الكيميائيات وهذا ما كتبته في كتبك السابقة.

- يعني أنَّ رغبتنا تشكل أسلوبنا الوراثي - قلت له.

- موافق.

وهذه المعلومات يجب أنْ تساعد علماء الوراثة الَّذين يربطون التَّطوُّر مع الاصطفاء الطبيعي، وهذه النظرية، الاصطفاء الطبيعي، عاجزة عن تفسير العديد من الظَّواهر في عالم الحيوان والنبات، والعديد من العمليات تجري بسرعة بألف مرَّة أكثر من حالة الاصطفاء الآلي. يعني، الوضعيات القيمية للإنسان لا تُؤثِّر على صحته ومصيره فحسب، بل على أطفاله والأسلوب الوراثي مرتبط بالفيزيائي، البدني، يعني أنَّ طبيعتنا تحددها رغباتنا.

- وعندما نقف ونقول الأنخاب، فإنَّ هذا يُؤثِّر على أسلوبنا الوراثي.

- فهمت - سنهتم بهذا الأمر كثيراً.

obeikandl.com

عبـادة المشـاعر الإنسانيـة

ما إنْ تظهر عبارة «عبادة المشاعر الإنسانية» على الورقة حتَّى استغرق في التَّفكير فيها طويلاً، منذ عدَّة دقائق تحدثت مع والدة أحد المرضى، وكان مريضاً، وحاولت أنْ أفهم ما حدث معه، السبب أنَّه لم يكن يصلي جيداً، وكان يعمل على ذاته فكرياً، الوضع كان سيئاً، تحدثت مع أمه وتشاورت معها، وكان الارتباط بالمثل لديه قوياً جداً، ووضعه مرتبط مع ابنه، ويُمكن أنْ يلحق به الأذى كثيراً، وسألت الأم، هل كان مصاباً بكسور ما؟ قالت لي.

- نعم، لكنْ هناك امرأة تحبه تتَّصل معه دائماً، وهي تهتم بوضعه المادِّيّ أكثر من الرُّوحي. وهُو كان يتحدث معها بالحسنى، وكان يُرسل لها الأموال، وتتصل كل مرَّة به وتبدي له مظاهر الحُبّ وتطلب منه أنْ يتزوجها.
- المُجرم يجذب الضَّحيَّة.
- نعم، وهُو ذهب إلى مدينة أُخرى بسببها، إلى زوجته السابقة وابنه - وإلى هناك اتصلت أيضاً.
- الآن مفهوم، لديه توتر قوي من كلا الجهتين، مرتبط بازدراء المشاعر، وعندما شرحت له الأمر، قال إنَّ أسباب المرض التبعية القوية للمثل والأخلاق وحب النَّاس. أي الارتباط بالروح، وشيئاً فشيئاً أصبح يتعافى، ومنذ فترة توصلت إلى نتيجة مفادها أنَّ أحد الوسطاء ما بين الإلهي والإنساني هُو مشاعرنا، وعدم إمكانية الحافظ على الحُبّ تجاه الله، وعدم البحث عن المذنبين، عندما تكون المشاعر محتقرة، يعزز من تبعيتنا بحلقات الإنساني، وهذا ما قلته لي، واستناداً إلى ذلك، فاق وضعه إمكاناته.
- إذاً هل ستكف هذه المرأة عن مضايقته أم لا؟ سألتني بخوف والدته.
- إنَّ سلوكه يتحدد من خلال وضعه الداخلي.

حدثت معي منذ نصف سنة، حادثة غريبة، اتصلت امرأة من أوكرانيا، ورجتني وهي تبكي أنْ أساعدها، والوضع كان بالفعل غير طبيعي، فقد أحبت ابنتها شاباً عربياً، وهُو

عشقها، وطلب منها الزواج، ووافقت بعد ذلك عرفت الأم أنَّه قبل ذلك بأسبوع، أعرب عن حبه لصديقتها، وطلب منها أيضاً الزواج، وبعد ذلك عرفت الأم لماذا قام بذلك.

- إنَّه يريد الزواج بك لكي يبيعك هناك، وأنت لست الأولى الَّتي يطلب منك ذلك.
- ليفعل بي ما يشاء - قالت الابنة - أنا أحبه وسأذهب معه إلى حيثُ يريد.
- أشعر أنَّها ستموت هناك - أليس من المعقول أنْ نساعدها في شيء؟ فقلت لها:
- كم هذا غريب، ابنتك لا تخرق القوانين العُليا، وإنما أنت تخرقينها، لديك كره شديد تجاه هذا الشَّخص.
- وماذا تريد، أتريدني أنْ أبقى هادئة وأراقب كيف ستموت ابنتي؟
- أوَّلاً إنَّ زواجها يُمكن أنْ يكون المنقذ الوحيد لها من الموت، ثانياً: لقد تَمَّ احتقار مشاعرك وحبك في حياتك وأنت أصبحت تستائين وتحتقرين الرِّجال.
- وماذا أفعل، سألتني باكية.
- يجب قَبُول الوضع، كل ما يحدث مع ابنتك قد حدث بإرادة الله، لذلك لا يُمكن محاولة تغيير الوضع من خلال المنطق الإنساني، إنَّ سير الأحداث يُمكن تغييره عن طريق المنطق الإلهي فقط.
- كيف هذا؟
- عيشي من جديد تلك اللحظات الَّتي احتقر فيها الرِّجال مشاعرك وحبك. وأفكارك، لا تدافعي عن الأنا من خلال المشاعر، تقبلي الإهانة كفرصة للوصول إلى الله، أقنعي نفسك أنَّه لا وُجُود لمذنبين فيما يحدث وبعد فترة انحلت المشكلة بخير، ورويت هذه الحادثة لامرأة كان ابنها مريضاً، وقالت لي إنَّ هذا الوضع قد حدث معها وهُو ارتبط بعنف المشاعر الَّتي حصلت معها في حياتها، إذا لم يكن الأهل يرغبون في حل المشكلات في حياتهم، فإنَّها تنتقل إلى أولادهم وغالباً لا يستطيع هؤلاء أنْ يجدوا الحلول لها، في الماضي ليس هناك منطق إنساني، وإعادة النَّظر بالماضي، يُمكن من وجهة نظر إلهية فقط، أي دُون أي إساءة، وعدم رضا ومحاولات لتصحيحه.

الاتصـــالات

في كـانون الأوَّل ١٩٩٨ قـرَّرت الـذهاب إلى أميركـا، وعمومـاً كانـت هـذه رغـبتي في الابتعـاد عـن كـل شـيء، وفي أميركـا الوقـت مختلـف، والطاقـة الحيويَّـة مُختلفـة وتغـيير نظـام الوُجُود يسير بسهولة، كان عليَّ هناك أنْ أحلَّ إحدى المشكلات الأساسية، سوء حالتي البدنية تُعَدُّ نتيجة لأخطائي في العلاج، أم أنَّ نتائجي غير صحيحة، أي أنَّ صُورة العالم بدت غير دقيقة. وحاولت العثور على الأجوبة.

الصيغة التقريبية كانت كالتالي، قبل صيف ١٩٩٨ مارست عمليَّة إزالة الارتباطات، وفي نهاية المطاف توصلت إلى تعميم أي نوع من التبعية. إنَّ الارتباط بالروح يقوي من الفخر بالنفس، والارتباط بالنَّفس يولِّد الغيرة، النَّفس - هي القدرة والذهن والهدف والمبادئ والإرادة، وهذا عنصر منطقي، والروح هي العلاقات والمثل العُليا والأخلاق، وهذا عنصر حسي، يجب إزالة الارتباط بالروح والنفس، ويُمكن أنْ تكون سعيداً، لكنْ، كما اتضح، كانت طريقتي آلية، لماذا لم أتمكن بشكل ما من إزالة هذا التعلق، الإنسان أزال أو تخلص من التَّعلُّق بالروح وازداد بحدة التركيز على الروح، وتبين أنَّ كلاً من الرُّوح والنفس هي أوعية ناقلة للمعلومات، وإذا كانت كلتاهما مليئتين، فإنَّ أي تخلص من الزوائد لا يفيد، وفرصة الإنقاذ أتت من خلال السعي نحو الله فقط. وفي الأساس هكذا تطورت الحضارة الإنسانية أيضاً، والإنسان الَّذي يعيش في الشرق، والذي يقوي في نفسه بداية الرجولة، ولو بعد تركيز كبير على الرُّوح في الغرب وانغمس في البدايات الحسية المادية، وهكذا انخفض التَّعلُّق تدريجيَّاً بالقيم الإنسانية، وتطور المُجتمع وأصبح يملك آفاقاً للمستقبل. على الرَّغم من أنَّ وُجُود استثناءات، لا يعمل نظام التصحيح الذاتي، وعملياً كل الإنسانية الآن موجودة في وضع مشابه، كلَّما كان الارتباط بالسعادة الإنسانية أقوى، كلَّما تضررت الفلسفة والإيديولوجيا والسياسة والاقتصاد في الدولة، وبقدر ما يكون متعلقاً بالأنا الإنسانية، بقدر ما يبدأ وعيه ومشاعره بالكذب عليه، وبكونه واثقاً ١٠٠٪ إنَّه يسير على طريق التَّطوُّر فهُو يسير في حقيقة الأمر على طريق التدمير أو الانهيار الذاتي.

خلال سنوات طويلة من قيامي بالبحوث سرت أكثر وأكثر إلى الأمام وفي نهاية المطاف اصطدمت بالأنا الإنسانية، كجدار متين، ومهما صلَّيت ومهما حاولت إعادة النَّظر بآرائي، فإنَّ التَّعلُّق بالروح لم ينخفض، وفهمت أخيراً شيئاً واحداً، إنَّ طريق التغلب على الارتباط بالأنا الإنسانية هي واحدة - يجب أنْ تكون هناك أنا إلهية وعليَّ أنْ استمر بواقعيتها أكثر من الإنسانية، وإذا كان المقصود سابقاً المحافظة على حب الله، كشيء عالٍ وسامٍ، بعيد ولا يُمكن الوُصُول إليه، فإنَّ المقصود الآن أصبح السير نحو الله، المقيم معنا، وفي كُلِّ إنسان، وفي كُلِّ العالم المُحيط بنا.

كان يُمكن الآن الحديث عن كل العلاقات، وعن واقعية الأنا الإلهية، الموجودة في أرواحنا ومن حولنا، ولكنْ يبدو أنني عندما ألجأ إلى الله ألجأ في الوقت نفسه، إلى نفسي، ولكنْ كي أشعر بالأنا أكثر لا بد من الحفاظ على الحُبّ عندما تهتز الأنا الإنسانية في أي حالة كانت.

كل هذه السنوات حاولت من خلال مُساعدة النَّاس أنْ أنقذ الأنا الإنسانية، وكان يجب إنقاذ الإلهية أولاً، وبشكل أدق، حتَّى ليس أنا، بل محدودية أبحاثي وعدم الانتهاء منها، ولم يتسن للكثيرين الانتقال من الأنا الإنسانية إلى الأنا الإلهية، في الشهر الأخير عانيت بشكل مرحلي عدوانيتي في اللاشعور وبدا أنَّها مرتفعة خُصُوصاً تجاه النساء.

كانت هناك طبقات عميقة من الغضب والاستياء لاسيما في مجال أخلاقية المثل العُليا والحب الإنساني، حيثُ أعطتني الحياة مواقف تعرضت فيها لإساءات من النساء خاصة، وأدركت الآن أنَّ أوَّل شيء هُو أنَّ الطهارة تسير من خلال إنسان آخر، وأنَّ الطهارة الَّتي تعطى من قبل النساء أشمل بكثير من الطهارة الَّتي تأتي من خلال المرض أو الموت.

وقد صغت المقولة الَّتي أكررها لكُلِّ المرضى:

- لا يستحق الإنسان الأحب إلينا أنْ نستاء منه، مهما كان تصرفه وتعامله معنا، وسلوكه يتحدد من الله وهُو دائماً يهدف إلى إنقاذ الأنا الإلهية.

وفهمت كل هذا، لكنْ لا أستطيع إلى الآن أنْ أتعامل مع قُوَّة استمرار المشاعر العدائية تجاه النساء. وأحاول تقييم مجال الاستياءات العميقة، وهُو يعاد سبع حيوات، وإمكاناتي محدودة بأربعة فقط، وماذا إذاً، لننظر الآن كيف سينتهي هذا الوضع، يُمكن، في أمريكا ستكون حالة معقدة، بمساعدة الآخرين سأقدر على مُساعدة نفسي، الآن عندما كتبت هذه الأسطر رنَّ جرس الهاتف، واتصلت معي امرأة شابة من إسرائيل، كانت عندي منذ نصف عام في جلسة استقبال كانت مصابة بسرطان الرئة، وهي الآن تُعاني من آلام مبرحة في كُلِّ جسدها.

- قرأت كل كتبك، وكتب فيها أنَّ الجميع سيشفى، لماذا يحدث هذا معي؟ شاهدت حقلها، إمكانية موت الأطفال والأحفاد والمؤلف - هي. برنامج ضخم للتدمير الذاتي، سلوك غير صحيح للرجل يؤذيه وسيموت أوَّلاً، المرأة بداية ترمي كل شيء على أطفالها وأحفادها، لكنْ بعد ذلك سيكون الحمل ثقيلاً عليها.
- لديك ارتباط بالجسد والنفس غير قوي، أمَّا بالروح فهُو قوي جداً، أي تقبل إهانة الحُبّ الإنساني والإساءات في المصير وازدراء أخلاقياتك ومشاعرك، وهذا لا تستطيعين القيام به إلى الآن، قلت لك ذلك في المرَّة الماضية، لكنْ لسبب ما التغيرات غير كبيرة.
- وماذا عليَّ أنْ أفعل؟ الصَّلاة كي أتخلص من ذلك الارتباط؟ رُبَّما تقدمون لي نصيحة ما.
- افعلي ما قلت لك، اغفري لأولئك الَّذين أساؤوا إليك.
- وهذا يكفي؟
- يجب أنْ تتغيري من خلال الصَّلاة، أنت تصلين ولكنَّ علاقتك مع العالم لم تتغير وأنت لا تريدين أنْ تتغيري.
- حسن، سأحاول.

وضعت سماعة الهاتف، وتذكرت أنَّها لم تسمعني، وأحياناً لا يفهم المريض فقط، بل يشعر بما نقوله له. وأعتقد أنَّ المسألة عندها ولدي في الوقت نفسه، «رقصة التانغو تحتاج إلى شخصين» قالت لي مرَّة إحدى النساء، وبعد عدَّة دقائق تتَّصل صديقتها، وقالت:

- أتعرف أنَّها لم تفهم شيئاً، هل أستطيع أنْ أشرح لها ما يجب القيام به؟

قلت:

- انسي أمر «الارتباط»، والروح والنفس والجسد، وأولاً، لديها في داخلها لا تسيطر على استيائها من الرِّجال لاسيما زوجها. وبما أنني رجل، فإنَّ مساعدتي ستكون أقل، وصعب عليها أنْ تفهم وتشعر ما أقوله لها. لذا عليها تغفر لأبيها وزوجها تماماً، وتعيد الشُّعُور تجاههما من خلال الحُبّ، ثانياً: لم تكن راضية عن نفسها دائماً، لتغفر لنفسها وللآخرين، والآن وهي كانت تتحدث معي على الهاتف شعرت بعدم الرضا من نفسها وهذا عُدوانيَّة تجاه الله، عليها أنْ تتغير وعندئذ سيتغير كل شيء.

وضعت السماعة واستمريت في التَّفكير.

- هناك ثلاثة أنواع من المرض، البعض من خلال شعورهم بالهدف والاتجاه يذهبون إلى الأمام تاركين كل النِّظام خلفهم، وهم ليسوا بحاجة إليه، والبعض يستخدمونه كوسيلة في الحالات الصعبة، ولا يستطيعون التغلب على مشكلاتهم، والآخرون قُوَّة استمرار العُدوانيَّة تجاه الحُبّ يعرقل تغيرهم الداخلي والعثور على مخرج من الموقف.

ولكنْ لنعد إلى أميركا، قال لي أصدقائي من نيويورك إنَّ هناك فرصة لاستقبال المرضى لمدة يومين، حيثُ قدم مالك البناء مكاناً مجاناً، وفي منتصف كانون الأوَّل طرنا أنا وزوجتي إلى نيويورك، وشعرت أنَّ هذه الرحلة يجب أنْ تعطيني شيئاً ما في مجال المعلومات، وكلَّما كانت المواقف أصعب لدي، كلَّما كانت عمليَّة العثور أفضل، وفي هذه المرَّة حصل هذا الأمر، لكنْ ليس أثناء جلسة الاستقبال.

كان المرضى متنوعين، وسجلت بعض الملاحظات، لكنْ عُمُوماً كان كل شيء طبيعياً، في نهاية اليوم التَّالي أتى صاحب المكتب، تحدثنا، وسألني: ما هي المشكلات الَّتي يُمكن أن يعاني منها؟

- في مجال الصِّحَّة ليس هناك شيء، أمَّا في مجال المصير، فيمكن أنْ تكون هناك مشكلات، لديك تركيز قوي على القدرات، يعني، لا نستثني وُجُود إخفاقات وإساءات.
- أتريد أنْ أشخص لك أنا؟
- بكُلِّ سرور.
- إنَّ مبادئ عملنا متشابهة، أنت تنقل المعلومات إلى حركة بدنية من خلال اليدين، وأنا أحصل عليها، محدداً مُستوى توتر أعصاب اليدين، وتأخذ بيديك مادَّة ما، وأما أصابع اليد الأخرى فتضمها بخاتم، أوَّلاً بالإصبع الكبير مع السبابة وبعدها مع الوسطى، إذا كانت هذه المادَّة مفيدة، فإنَّ أصابعك ستهتز، وإذا كانت ضارة تضم أصابعك بخفة، وبما أنني طبيب في الأمراض السرطانية، فإنني أستطيع تحديد مكان وُجُود الأورام السرطانية، لنبدأ إذاً.

أوَّلاً لنحدد ما إذا كان لديك ورم سرطاني؟ حسب المعلومات لديك ورم أو حالة ما قبل الإصابة بالورم السرطاني، والآن نقسم بدنك إلى أربعة قطاعات، ونحدد أي قطاع يُمكن أنْ يكون الورم فيه.

- وهذا ما أعرفه - إنَّها الرئة اليمنى، في الوسط.

ضحك الطبيب وقال:

- لا تقاطعني، أريد أن أتحقق بنفسي، وقال بعد ذلك، لديك فعلاً اضطراب في القسم الأعلى الأيمن من الجسد، ولنحدد الآن أين الورم في الجزء الأعلى أم الأسفل، هناك معلومات أنَّه في الأسفل.

وفي نهاية المطاف، ضغط بأصابعه على الصدر، وأخذ قلماً وحدد علامة على المكان المصاب.

- وهكذا عثرنا على مكان احتمال وُجُود الورم، والآن لننتقل إلى المرحلة الثانية، هناك ميكروبات وجراثيم كثيرة في المكان، وهكذا أشارت المرحلة الثَّانية بعد فحصه لجسدي أنَّ حالتي غير خطيرة، والعلاج ليس خطيراً أبداً، ولا بد من التَّخلُّص من تلك الجراثيم، وأستطيع أنْ أقضي عليها بواسطة المضادات الحيويَّة.

وقلت له بعد ذلك:

- إنَّ سبب وُجُود الورم السرطاني لا يكمن في داخل الجسم، ولا في سطح الجسم، بل في العالم المُحيط به، وإنَّ مشاعرنا على الرغم من أنَّها مرتبطة مع الجسد مباشرة، لكنها تملك بداية زمانية ومكانية، أي أنَّ أوَّل ما يصيبه المرض هُو مشاعرنا، وبعدها تبدأ عمليَّة انحلال البنى الجسدية.

وقال لي الطبيب:

- رُبَّما نقوم بجراحة في هذا المكان؟

- أعتقد أنَّ هذا لا يُساعد في حالتي هذه، وهنا لا تكفي التغيرات البدنية، لدي طريق واحدة - التغير في المشاعر بحق.

في اليوم التَّالي سافرنا أنا وأصدقائي إلى ميامي، وقررت الاستلقاء تحت أشعة الشمس كثيراً لأستفز وأعزز نمو الورم السرطاني، لكنْ كانت هناك رياح شمالية وكانت درجة الحرارة ١٠ درجات، وتبقى لي أنْ أسير في الشوارع وأشاهد المدينة، وبعد عدَّة أيَّام ذهبنا إلى مركز ميامي بيتش. وكان صديقي يريد شراء السيجار وكان مولعاً به، وعثرنا على مكان يبيع هذا السيجار وقدم لنا البائع عشرات الأنواع.

- إنَّ أفضل السيجار هُو الكوبي، قال صديقي، لكنْ ممنوع بيعها في الولايات المتحدة. لذا يبيعون سيجاراً من أنواع أخرى، وتريد أنْ تختار لي نوعاً منها؟

- لنفعل ذلك، أنا أغمض عيني وأشم كل سيجار وأقول لك رأيي.
- حسناً.

بدأت بشم الأنواع العديدة، لكنْ لم تكن لديها تلك الرائحة المناسبة، ومنذ ثلاثين سنة شممت رائحة السيجار الكوبي الفاخر، ومازلت أذكرها تماماً.

وأعطاني البائع كل الأنواع ولم أستطع اختيار واحد منها، عندئذ ضجر البائع وذهب إلى الخزانة وأحضر سيجاراً وأعطاني إياه لأشمه، كانت رائحته حقيقية، وتبين أنَّه سيجار كوبي واشترى صاحبي صندوقاً.

كانت هذه أوقات الراحة، وكل ما تبقى من وقت كُنت أحاول التركيز على أمر مفاده، لماذا سنوات عملي على نفسي لم تؤدِّ إلى شيء؟ ولماذا بدوت غير مستعد لما ينتظرني في المستقبل؟ وكان الأمر على الشَّكل التَّالي: على الرَّغم من أنَّ توقي إلى المعرفة منذ الطفولة كان قوياً، فإنَّ السير على هذه الطريق، الَّتي مررت عليها، لم أكن لأستطيع، لذا تحملت أعباءً ثقيلة، ولو حاولت الاسترخاء، لرأيت أنَّه سيبقى لدي القليل من الحظ للبقاء حياً. وها أنا أعرف الآن أنَّه لدي نحو عام كاحتياط، هناك قُوَّة استمرار في المشاعر العدائية الَّتي لا أستطيع إلى الآن التغلب عليها، وهذا إما مُستوى جديد، ولذا فإنَّ المشكلة الظاهرة لا يُمكن حلها بالأساليب القديمة، وإما مشكلات متراكمة، كُنت قد تجاهلتها سابقاً، وحاولت تحليل المشكلات المحتملة، إنَّ الحُبّ الإلهي خارج إطار المكان والزمان، ونحن كلنا متحدون فيه. لذا إذا انطلقت أوَّلاً من الحُبّ الإلهي، إنْ كان قليلاً أم كثيراً، وأينما كُنت موجوداً لن يكون هناك ازدراء لذاتك أو للآخرين.

هناك عنصر مهمٌّ جدَّاً توصلت إليه فجأة، كانت امرأة في جلسة الاستقبال وقد قرأت فيما بعد كل كتبي وشاهدت شرائط الفيديو، لكنَّ الوضع عندها لم يتحسن، وخاب أملها كثيراً.

- أتعرف أنني كلَّما عملت على نفسي أكثر، كلَّما زاد الوضع سوءاً، قالت لي.

وعاينت من جديد ليس حقلها فقط، بل حقل أطفالها أيضاً، وكان لديها طفلان، ١٣ و١٥ سنة، وعلى المُستوى الجنسي كان هناك تشكل أطفالها، وبما أنَّ الأم عملت على نفسها فقط، فإنَّ هذا لا يكفي، وبعد هذا شاهدت المشكلات المحتملة لأطفالها، وأدركت أنني بالعمل مع أطفال غرباء نسيت أطفالي، وأردت أنْ أعرف سبب المشكلة، وتبين أنَّ هناك آلاماً سيعانيان منها، وأنَّ هناك موتاً ينتظر أحدهما، عندها بدأنا الصَّلاة.

نحـــن والمســـتقبل

كلَّما كنَّا قريبين من اللّه، كلَّما كانت التغيرات تحدث بسرعة، ومن الممتع أنْ نعرف أين يكمن «الإلهي» أكثر في الشمس أم في الإنسان؟ في الشمس على الأرجح.

كل كتبي تتحدث عن أنَّه لا داعي للقيام بشيء، وعلى الأرجح وعندما ستكون دائرة الإنساني مرسومة تماماً، يُمكن التَّفكير بالقيام بشيء، للتغلب بسرعة على جاذبية الإنساني.

في روسيا التركيز على الأخلاق والمثل العليا، أدَّى إلى الأصولية القاسية، وإلى الخوف من أي إصلاحات، ومن ثُمَّ حصل الانفجار وانحلال الأخلاق والحب الإنساني والحياة.

وبالمناسبة، حول الحياة، إضافة إلى نقطتي الاستقرار، بدأت أشعر بنقطتين أخريين، وإلى الآن أطلقت عليهما - الحياة والشيخوخة، وقد مرتا في أبحاثي، وأما مفهوم «المصير» فهُو يدخل في مفهوم «الحياة»، ابتعدت عن أفكاري، لأنَّ الباب فتح ودخل إنسان آخر.

- ما هي مشكلتك؟ سألته.
- يبدو لي أنني مُصاب بالسيدا، أتعرف نه منذ عام قرأت كتبك وأمارس وأتبع ما كُنت تقوله، لكنني لم أحقق أي نتيجة تذكر.
- حسن، لنبدأ منذ البداية، منذ شهر كان عندي مريض، وقد جاء به صديقه لأنَّه لم يستطع الوُصُول وحده، ذلك لأنَّه مُصاب بالربو، وفي حالة متطورة، وقال إنَّه كان عندي منذ نصف عام. ولم تحصل لديه تغيرات بدنية، ولكنْ يشعر بخفة في روحه، سابقاً كُنت أعتقد أنَّ الربو هُو عبارة عن اعتزاز قوي بالنفس، أي ارتباط قوي بالقدرات والذهن والمثل، وهُو ماراً عبر حياته، تخلى عن الشُّعُور بالاستياء من الآخرين ومن نفسه، عندما عالجوه من خلال احتقار المثل والقدرات، ولكنني الآن رأيت أسباباً أعمق لمشكلته، «في الحُبّ الإلهي ليس هناك أماني، ولا أهداف ولا تحديد - شرحت له ذلك - وأما في الحُبّ الإنساني فتوجد كلها، أنت

سابقاً كُنت تعبد الحُبّ الإنساني، أي مشاعرك ورغباتك وأخلاقك الإنسانية - أي المبادئ والأهداف والمثل، لذلك عليك أنْ تتخلص من ارتباطك بالعناصر العُليا للسعادة الإنسانية، وتقبل عدم استقرارها كتحرر من الأنا الإلهية.

وطلبت منه أنْ يمر عندي بعد أسبوع لمراقبة وضعه، وعندما جاء كان يبدو أفضل بكثير، ولم تكن لديه أي نوبة ربو، وهنا أريد أنْ أقول هذه الكلمات، «منزل صغير - مدينة كبيرة»، وفي الحالة الأولى والثانية يتم التَّعبير عن المفهوم بكلمتين، لكنَّ مفهوم واحد أعم وأشمل من الآخر، ماذا أعرف اليوم؟ الإنسان، هُو نظام صلب، ولكي يكون مجال هذا النِّظام أشمل ويعلو أكثر يجب أنْ يمر بحالة عدم استقرار أوَّلاً، ومن ثُمَّ استقرار نهائي، وإنَّ اللا استقرار يلامس الأسس الزمانية والمكانية والماديَّة، وعدما يحدث تغيير في البنى الماديَّة، فإنَّ مصفوفة المعلومات يُمكن أنْ تستمر في البنى الجنسيَّة، صانعة لها استقرارها اللاحق. وإذا انحلت البنى الماديَّة والمكانية، فلا بد من أنْ تتمكن المعلومات من الاستمرار في البنى الزمانية، والآن تخيلوا الإلهي والتنظيم الإنساني، بشكل ١٠٠٪، ونحن الآن نتفاعل مع مُجتمع المستقبل، وإذا كانت قدرتنا أقل بـ ٤ - ٥ مرَّات ممَّا هُو مطلوب، فإننا سنصاب بالمرض، والحزن، وربما الموت. وتخيلوا أنَّ قدرتكم المعلوماتية ٢٠٪، وللدخول في مُجتمع المستقبل لا بد من أنْ تكون قدرتكم ١٠٠٪، وإنَّ فيروس الإيدز يستولي على ٩٠٪ من قدرتكم، إذاً للدخول في مُجتمع المستقبل لا بد من الدخول في تلك الحالة الَّتي تتيح لكم الشفاء تماماً من الإيدز.

لماذا قدرتكم أقل من المطلوب؟ لأنكم الآن وفي حياتكم الماضية ركزتم على النِّظام والاستقرار، وأولاً يأتي «الإلهي» كفراغ ودمار، وبعدها فقط نلاحظ أنَّ هناك نظام، وتذكروا، يأتي الإنسان ويدمر كل القوانين والعادات والأخلاق، ويختلط مع المتوحشين والعاهرات، ولكن هذا يبرر الحُبّ، اقرأوا الإنجيل فكل شيء هناك مكتوب.

إنَّ الحُبّ الإلهي هُو نظام عالٍ في الكون، وبقدر ما نُركِّز عليه ونشعر به في داخلنا، بقدر ما نكف عن أنْ نكون مُتعلِّقين بمشاعرنا ورغباتنا وأهدافنا ومبادئنا، وكل ما كان دماراً يتحول إلى بناء، بقدر ما تحافظون على الحُبّ عندما تتهدم أسس الأنا الإنسانية، بقدر ما يُمكن أنْ تزداد قدرة إنسانيتكم، لذا عليكم المرور بالحياة وتقبل المسلمات الإنسانية كفرصة للتمتع والشُّعُور بالحُبِّ الإلهي.

ولننتقل الآن إلى المسلمات.

هناك كائن حي يدعى الإنسان، وكما المادَّة الحية، لديه قيمتان: الحياة والشباب، الشباب هُو الحُبّ وعدم الاستقرار، والشيخوخة - زيادة النِّظام والقليل من الحب، عندما نأسف لأننا نكبر في العمر، وعندما نكره مَنْ يقتلنا، وعندما نأسف أنَّ الحياة لم تكن جيدة، عندئذ نتمسك بالشباب والحياة، نحن نركز على النِّظام ونبتعد عن الإلهي.

عندما نكون قادرين على تقبل إهانة الحُبّ الإنساني والأخلاق، نبدأ من جديد بعبادة الاستقرار الإنساني، وعندئذ تساعدنا الآلام والأمراض والأحزان، أدركوا أنَّ كل حادثة في حياتكم تساعدكم في اللجوء إلى الله، حالتكم جيدة، سيروا نحو الحب، حالتكم سيِّئة - اسعوا أكثر نحو الحُبّ.

لقد شكرت الله سابقاً على الغذاء، ماذا يعني «شكرت» ماذا يعني شكراً، «أشكر الله» يعني إذا لجأت إلى الله فأنا ملزم على تقديم الخير والحب، وأصبحت أقول: «يا ربي، أعطيك الحُبّ والسعادة واللذة الَّتي حصلت عليها في حياتي.

وقلت مرَّة لأحد المرضى: «بقدر ما تشعر بالأنا الإلهية في كُلِّ شيء، بقدر ما يزداد الحُبّ في نفسك، والآن اذهب وحاول التغلب على مشكلاتك. ذهب المريض وبعدها جاء مسن، كان مصاباً بسرطان الرئة، وكان طيباً من الخارج وهادئاً، وعلى ما يبدو كان يكبت آلامه داخلياً دُون أنْ يظهر عليه ذلك. وكان التركيز على النقاط الرَّئيسيَّة للاستقرار الإنساني كبيراً، شرحت له ما سبب مرضه، وبعد فترة جاء مريض كان وجهه معبقاً وبلون أصفر:

- ماذا أفعل؟

- يجب أنْ تغير من ردود فعلك.

- كيف؟

- تذكر أنَّ بافلوف أجرى تجربة - جرس وكلب يأخذ قطعة لحم، ويبدأ اللعاب يسيل من فمه، وإذا تكرر هذا الإجراء عشرات المرَّات، فإنَّ اللعاب سوف يسيل عندما يكون هناك جرس ولا تكون هناك قطعة لحم. وما هُو رد الفعل؟ هُو شُعُور، والشُّعُور هُو المكان والزمان والمادة، ويقول بافلوف إنَّ المشاعر يُمكن التَّحكُّم بها، ويُمكن تكوين مشاعر جديدة وأنواع جديدة من الإحساس، ولنفترض: تُريدون من ابنكم أنْ يرتب سريره، يُمكن إرغام الابن، ومعاقبته إذا نسي ذلك، ويُمكن ببساطة أنْ نساعده

على تعلم هذه العادة، وإذا ساعدتم ابنكم على تكوين عادة جديدة، فإنكم ستبذلون أوَّلاً جهداً كبيراً، ولكنْ بعد ذلك سوف تكسبون أكثر بكير. وخلال أشهر وبتركيزكم، يُمكنكم أنْ تخلقوا الحُبّ لديكم، وليس الاستياء والمرأة مشوَّشة أكثر من الرجل، لأنَّ السعي للحب لديها أكثر، ولذا إنَّ الطلب من المرأة النِّظام والخضوع يُمكن أنْ يكون خطراً على الصِّحَّة.

إذاً، توجهوا واعملوا وسوف تكون هناك نتائج - قلت هذا لأحد المرضى.

ذهبت، ونظرت طويلاً عبر النافذة، الَّتي كان الهواء يضرب فيها، «ها هُو عدم الاستقرار الإنساني - كما في روسيا - وحسب المنطق الإنساني لا يُمكن التحضير للمنطق الإلهي، وأفضل الأفلام الَّتي تعرض فن السينما في الغرب لا تتحدث عن القُوَّة والكره والانتقام، بل عن الحُبّ والمغفرة والفهم، نحن نستعد جميعاً للدخول في يوم الغد، ويرتبط بنا ما سوف يكون هذا الغد وكيف سنكون نحن فيه».

نقطتان لاستقرار السَّعادة

نهاية أيار عام ١٩٩٩، يوم الاستقبال، الوضع غريب فعلاً، وأحوال المرضى تتحسن، وأما أنا فمشكلاتي تزداد وتزداد، وأنا من جديد، أحاول استعراض كل الصيغ الممكنة الَّتي تتيح لي تفسير وضعي وحالتي.

أوَّلاً: انغمست كثيراً في الأُمُور الأرضية، وهي تستنفد مني كل طاقتي وقواي.

ثانياً: أهتم بنفسي قليلاً، عندما تُغيِّر الأفعى جلدها تُصبح ضعيفة للغاية، وعندما تسير معلومة جديدة يجب عليَّ أنْ أتغير كي أتقبلها، ومن أجل هذا لا بد من ترك كل شيء والتركيز على الذَّات والحالة المعنوية.

ثالثاً: حالتي البدنية والنفسية يجب النَّظر إليها ليس نتيجة للإخفاقات، بل كتحضير لمرحلة جديدة وحالة جديدة، وعندما تحاول الاقتراب من الله، فإنَّ العلاقة غير السليمة مع العالم، وكذلك الأسلوب يصبحان مفيدان للغاية وخطران.

حدثتني امرأة أنَّها قرَّرت أنْ تتعمد، وقبل يوم من عمادتها كادت أنْ تموت.

- غريب، قالت، أسير نحو الله، ومن أجل هذا أعاقب.

- تعرفين كيف كانت تتم العمادة سابقاً؟ أعتقد أنَّها كانت تتم هكذا، يصلي الإنسان لاجئاً إلى الله، ومن ثُمَّ يدفعونه نحو الماء، ويبقونه هكذا إلى أنْ يتجمد، وفي هذه اللحظة ينتشلونه، كان هذا فعل مغفرة مع الحياة ومع كل القيم الإنسانية أثناء السعي الحثيث نحو الله، ويصادف أحياناً أنَّهم يموتون جراء هذا، بعد هذا تَمَّ تغيير هذا الطقس.

وبقدر ما نسعى نحو كل ما هُو إنساني بقوة، بقدر ما تكون عودتنا إلى الخالق مفيدة.

قالت لي امرأة أُخرى:

- آمنت بالله وتوجهت ولجأت إليه، وقد أخذ مني كل شيء.

- لا نشك بما يحدث في أعماقنا - قلت لها - غالباً ما نسعى إلى الله بوعينا، معتقدين أننا سوف نستحوذ على السَّعادة. وأما اللاشعور بالسعادة يكون بالنِّسبة لنا استقرار القيم الإنسانية، ونحن نرتبط بالهدف دائماً. والتبعية تولِّد العدوانية، ونحن نحاول السير إلى الله، حاملين في أنفسنا الغضب والكره وعدم الرغبة في العيش. وكيف يُمكن اللجوء إلى الله، محافظين على كره الحُبّ: ولذا تتزعزع سعادتنا، ونتقبل هذا كعقاب.

مع كل كتاب أؤلفه عليَّ أنْ أرتبط بشكل أقل بكُلِّ ما هُو إنساني، وهذا سيحدث عندما أبدأ بواقعية أكثر بالشعور بالأنا الإلهية. وأقول للمرضى:

- ابتعدوا عن كل ما هُو إنساني واشعروا بالأنا الإلهية في أنفسكم، وحافظوا على الحُبّ الإلهي في كُلِّ حالاتكم الصعبة، وتذكروا كل الخسارات الممكنة وغير الممكنة وحافظوا على الشُّعُور بالحُبِّ.

ومع هذا كيف تبدو هذه «الأنا» الإلهية؟ وماذا يجب أنْ تكون؟ كيف يُمكن معرفة هذه «أنا» إنسانية، وتلك إلهية؟

ما زلت إلى الآن في حدود الأنا الإنسانية، وما زالت لدي الآلام في القسم اليميني من صدري، وتؤلمني ركبتاي أيضاً، ولا أستطيع نْ أفهم شيئاً جوهرياً واحداً، السَّعادة الكبرى بعد حب الله، هُو حب النَّاس وأنا لست متعلقاً بهذا، يعني، عليَّ أنْ أكون نظيفاً في كُلِّ ما تبقى.

لماذا إذاً بعد عام ونصف يجب أنْ تحدث حادثة، حيثُ ستتم إهانة أخلاقي لن أحتمل ذلك. وهذا يعني أنَّ الأخلاق ليست نتيجة للحب الإنساني؟ تذكرت حادثة عندما أنهيت كتابي الرَّابع، مقياس المستقبل الَّذي يأتي بعد الإرادة والحياة، لماذا بدا غير مستقر، هُو يرتبط بشيء ما على ما يبدو، وبعدها أدركت بصعوبة أنَّ كل كتبي الأربعة مخصصة لموضوع الجسد والروح، وفيها موضوعات عبادة الرُّوح الإنسانية.

وها أنذا بدأت الاهتمام بموضوع الرُّوح الَّتي تشكلت من عدَّة عناصر، وتنتمي إليها الشيخوخة والأخلاق الدينية، وحب النَّاس. كان عليَّ أنْ أعثر على الحلقة الأساسيَّة الأولى. وعثرت عليها، وكانت حب النَّاس. وسعدت من جديد: النِّظام قد انتهى أخيراً، وبعد ذلك، أي بعد موضوع الرُّوح والجسد جاء موضوع الغريزة، غريزة التَّحكُّم وغريزة الحفاظ واستمرار النَّوع أو الجنس وغريزة الحفاظ على الحياة واستمرارها، وتوصلت من موضوع الغريزة إلى موضوع الشَّخصيَّة إلى جملة الأنا الإنسانية، ليس في هذا العالم، بل في كُلِّ العوالم. وعدت

من جديد إلى موضوع الحُبّ الإنساني والمشاعر الإنسانية. كان على كُلِّ المشاعر أنْ تتشابه في شيء واحد. وأما مع الأخلاق والمثل العُليا فلا، وهنا كان لغز ما لم نجد له حلاً.

قرَّرت دعوة عدَّة مرضى للاستقبال، من المُمكن أن يحدث انقطاع، وحدث فعلاً. بدأت إلقاء المحاضرات أمام عدَّة مستمعين.

- للتغلب على أنفسنا في الجلسة الحالية لا بد من فهم عدَّة عناصر - بدأت أنا. أوَّلاً:

- إنَّ الغضب من شخص آخر - هُو رحمة معطاة من الله، وإذا لم نتقبلها فعندها سيتم تطهيرنا من خلال المرض أو الحزن، وإذا لم نكن مستعدين لهذا، فعندها سيكون الموت. ثانياً: - الطهارة العُليا تعطى من خلال الأشخاص المقربين، لذلك بقدر ما نكون قادرين على الغفران لهم ومسامحتهم، بقدر ما تكون التغيرات الدَّاخليَّة ممكنة، ومثل هذه الطهارة تفوُّق من حيثُ الشمولية الطهارة الَّتي يقدمها الموت. يجب ألاَّ نغفر فكريَّاً فقط، بل أنْ نغفر حسياً أيضاً، وليس عليكم أنْ تفهموا فكريَّاً أنكم سامحتم، بل حسياً. والفكر يُصبح شعوراً ورد فعل، ولذا عندما تركزون على الحُبّ يجب أنْ تخلقوا لديكم مهارات وردود فعل التَّسامح واللُّطف.

ولنذهب أبعد من ذلك، كل العمليات السريعة - عندما يغضبوننا ويخونوننا فإنَّ هذا يأخذ من الوقت ما نسبته ٢ - ٣٪، ونحن نسير من الأنا الإنسانية إلى الأنا الإلهية عبر الحُبّ فقط، لذا قبل الصَّلاة يجب أنْ نطهِّر روحنا، وبقدر ما نشعر بالأنا الإلهية أكثر واقعية، بقدر ما تقل تبعيَّتنا بالأنا الإنسانية، وبقدر ما تُصبح ممكنة التغيرات، لا يُمكننا توقع ما يتطلبه منا الحب، لذا عندما يأتي الحُبّ الإلهي، يبدو لنا هذا كالفراغ، والدمار، وبقدر ما نعبد ونتبع النِّظام ونخاف الفراغ، بقدر ما نفقد داخلياً العلاقة مع الإلهي.

ما الشَّيء الَّذي لا يُمكن أنْ تملكه الأنا الإنسانية؟ لا يجب أنْ تملك الشَّكل، لأنَّ الشَّكل - هُو مجموعة المكان والزمان والمادة.

من وجهة نظر إنسانية، فإنَّ الأنا الإلهية مطلقة ومن دُون شكل ومشوشة، وهي يجب أنْ لا تملك أهدافاً، لأنَّ الهدف يعني التحقيق في المكان أو في الزمان، ويجب أنْ لا تملك رغبة، لأنَّ الرغبة مرتبطة بالزمان، وبقدر ما يتطور الإنسان، فإنَّ رغباته ستنطلق أكثر ويصبح لهدفه شكل جديد.

ماذا يعني رغباتنا؟ هي الحُبّ تجاه شخص آخر، ورغباتنا تتيح لنا الاستمرارية في الجنس، نأكل، نتكاثر، نعيش. وأهدافنا - هي أخلاقنا، ومبادئنا ومثلنا العُليا، وشكلنا -

هُو الجسد الفيزيائي. لدى كل إنسان العنصر الأساسي للسعادة الإنسانية، وهما اثنتان: السَّعادة الخاصَّة - ككائن حي، وسعادة - ككائن جماعي، والإنسان من دُون مُجتمع كان يُمكن أنْ يكون حيواناً، لذا غالباً ما تكون سعادته الجماعية، أهم بكثير من سعادته الخاصَّة، والسعادة الخاصَّة هي حب شخص آخر، والاستقرار والدِّفاع عن الحياة والمصير، والسعادة الجماعية هي الأخلاق والمثل العُليا، واستقرار المُجتمع، وفي أساس أي مُجتمع هناك مفاهيم الأخلاق، ومن دونها لا يُمكن للمجتمع أنْ يتطور، كلَّما كان المُجتمع أخلاقياً، كلَّما كانت هناك آفاق للتطور والازدهار، والمجتمع غير الأخلاقي قليل القدرة والإمكانات، لكنَّ الأخلاق الإنسانية تأتي من الدِّين.

إنَّ الحاضرة الغربية الَّتي شملت كل العالم الآن، ولتطويرها لا بد من الحُبّ والأخلاق، ولكنْ إذا تفوقت الأخلاق على الحب، عندها تبدأ دواوين التفتيش.

والحب الإلهي هُو النِّظام العالمي الأسمى، وهُو أعلى بالطبع من الإنساني، ولذا فإنَّ الحفاظ على الحُبّ عندما تنحط رغباتنا وأهدافنا وأشكالنا، يتيح للأنا الإنسانية أنْ تقترب من الأنا الإلهية، والحب يُسيطر على العالم، وفي هذه الجملة المرتبة الثَّانية للوعي والأولى للحب، لا يُمكن معرفة العالم تماماً، ومن أجل هذا لا بد من العودة إلى الله، وما إنْ يظهر الشُّعُور بمعرفة العالم، فإنَّ هذا يُعَدُّ نصراً للوعي على الحب، وينتهي هذا بزوال الوعي.

في الشرق حاولوا التقرب من الأنا الإلهية، برفض الرغبات والأهداف وظهور كل الوظائف الحياتية، وهذا أعطى دفعة قويَّة للروحانية. وتركزت الحضارة الغربية على التناقض، على العمل النشيط وعلى الأهداف، وعلى الرغبات، وعلى تطوير الأشكال، لكنَّها حققت كثيراً.

- إذاً، متوجهاً إلى المستمعين - سابقاً كُنت أسعى جاهداً لتفسير سبب مشكلة كل واحد من المرضى، والآن هذا ليس ضروريَّاً، وسوف أعاين حسب مقياسين: درجة التَّعلُّق بالأهداف والرغبات، كلَّما تحدثت أكثر أثناء الجلسة، كلَّما كانت رغبتي في مساعدتكم أقوى، والهدف هُو بالطبع هُو أنْ تشفوا سريعاً، إذاً التَّعلُّق بالإنساني يزداد قوة، وبالنسبة لي أصبح هذا خطراً، وكلَّما كانت العمليات سريعة في الجلسة كلَّما كُنت مرغماً على التحدث أقل. ولديكم مهمة واحدة فقط: الحافظ على حب الله، والتركيز على الأنا الإلهية، في لحظة عدم الاستقرار أو تدمير الرغبات والأهداف، أي الزمان والمكان والمادة، سوف أساعدكم ببساطة في هذا، مراقباً

تغيراتكم، والآن اجلسوا، انسوا كل مشكلاتكم، وإذا بقيَتْ في رأسكم فكرة واحدة، يعني أنكم لا تتصرفون بشكل صحيح، وبعد فترة قصيرة سأبدأ بدعوتكم واحداً تلو الآخر، لجلسة خاصة، والآن ليس من المستحب الاختلاط والحديث والتفكير.

خرجت إلى غُرفة مجاورة، وهدأت من نفسي لـ١٠ - ١٥ دقيقة، وكلَّما انتظر المريض أكثر كلَّما توقف الوعي عنده بقُوَّة، لذلك جمعت الجلسات الفردية مع الجماعية، والشَّخص يكون لساعتين أو ثلاث في حالة الانتظار والعمل على نفسه.

تذكرت محادثة مع إحدى معارفي:

- تعرف أنني تحدثت منذ فترة مع امرأة، كانت تُعاني من مرض السكر، كانت التحاليل مخيفة، وأصبحتُ أشرح لها الأشياء العامَّة من كتبك بهدوء، وتصور، بعد عدَّة أيَّام كانت نتائج التحليل سلبية، لا أعرف ما اعتقده الأطباء، لكنْ كان هذا كالمعجزة، وبعد ذلك بدأ الاستياء والغضب، ونتائج التحليل من جديد زادت سوءاً، لكنْ مع هذا فالنتائج كانت أفضل من سابقاتها.

وقلت لها:

- قُوَّة استمرار المشاعر من الصعب التغلب عليها، أحياناً تهدأ، لكنْ لا بد مع هذا من الاستمرار في المحاولة وسوف تكون هناك نتائج.

اتصلتْ بي منذ فترة امرأة، وقالت:

- كانت ابنتي عندك في جلسة استقبال منذ فترة، وقالت لي اسمها وكنيتها، لقد تذكرت تلك الفتاة، كانت متعلقة جدَّاً بالحُبِّ الإنساني والأخلاق، وبكت الأم على الهاتف وقالت:

- رمت بنفسها أمام القطار، ساعدني ولو بالكلمات فقط.

- هل ماتت ابنتك؟

- لا، بقيت حية، حتَّى يداها ورجلاها سليمة، انكسرت فقط فقرتان من عمودها الفقري.

- قولي لي، هل كانت لديها أشياء محزنة؟

- نعم، عرفت أنَّ الشَّخص الَّذي تحبه قد خانها مع صديقتها.

- والآن سأشرح لك ما المشكلة؟

- الوقت الآن ربيع، وفي حقلها دخلت رُوح ابنها في المستقبل، ولديه القليل من الحظ ليكون سليماً، ويعيش، والفرصة الوحيدة له هُو أنْ يتطهَّر - وهذا يعني إعطاء الأم في المستقبل احتقاراً شاملاً للأخلاق والحب الإنساني، وبعد الجلسة تبين لها أنَّ أي احتقار لكُلِّ ما هُو إنساني لا يقلل من حبها لله، لتصلي أيضاً ليس من أجل الذَّات، بل من أجل أطفالها وأحفادها، ولكنْ في أي حالة، وبما أنَّها بقيت حية بعد حادثة القطار، يعني أنَّها استطاعت مراكمة الحُبّ في نفسها.

- أنت تعرف، عندما ذهبت إليها في المشفى بعد ما حدث معها، طلبت مني أنْ أجلب لها كتبك وبدأت تقرؤها من جديد.

- هذا حسن جدَّاً.

اتصلت بأمِّ مريضتي بعد ٢٠ يوماً، وكان صوتها طبيعياً.

- قال الطبيب: «سُكَّان الفضاء أم ماذا. كل شيء صار طبيعياً خلال عشرين يوماً، يا للعجب».

- والحمد لله على ذلك، والمهم أنْ لا نتوقف - قلت لها.

لم يكن عندي إحساس بأنَّ المرضى الَّذين ينتظرونني مستعدون، واستمريت في التفكير، يبدو أنني بدأت أفهم من أين تأتي حساسيتي، ولماذا يغيب هذا الشُّعُور أثناء جلسات الاستقبال، إنَّ أساس الوعي الاجتماعي هناك الأخلاق. وأنا منذ الطفولة أحلم في مُساعدة الناس، وحلمت بالمشاعر الإنسانية الرائعة، وأرغب في أنْ يكون كل إنسان على الأرض يتمتع بها، لذا كان تركيزي على النِّظام والأخلاق والمثل العُليا كبيراً جدَّاً. لم أستطع الاختلاط بالناس لأنَّ الابتعاد عن المثل والأخلاق يجرحني، وبعد ذلك حلَّ عدم الرضا وعدم الصبر مكان الألم، وعندما أصبحتُ أقوى، أصبحتُ أختبر رغبة تدمير مَنْ يخرق قوانين الأخلاق، كُنت أعتقد سابقاً أنَّ أساس الاعتزاز بالنَّفس هُو التركيز على القدرات والذهن، وبعد ذلك رأيت أنَّ هناك طبقة أكثر دقَّة، وهي الروحانية، والشكر اللذان يكونان أساس القدرات، والآن رأيت أنَّ أساس المثل والروحانية، والشكر، هناك إدراك الأخلاق.

كل المُجتمع المعاصر ينطلق من المسلمات الدِّينيَّة الأساسية، وهي بنى أساسيَّة نظامية في المُجتمع الإنساني، لكنَّ عبادتها تُؤدِّي إلى موت المجتمع، ويأتي الحُبّ الإلهي، ويسير الإنسان خلفه خارقاً كل القوانين الإنسانية، وإذا لم يرَ المُجتمع هذا الحُبّ ويستاء ممن يخرق القوانين، عندئذ يكون تدمير أسس المُجتمع كنتيجة للأهداف والرغبات

الإنسانية، ويبتعد الإنسان عن الأخلاق من أجل المال، أو رغد العيش، أو المجد، أو أي مبادئ وأفكار أُخرى.

عندما نحاول أنْ نسيطر على الحُبّ انطلاقاً من الأخلاق، فهذا يعني أننا نحاول أنْ نسيطر على الله من خلال الشرائع السماوية، وفهمت لماذا مع إصدار كل كتاب يكون لدي ذلك القدر من المشكلات، لأنَّه واضح بما فيه الكفاية معاينة فكرة التَّحكُّم بالمصير انطلاقاً من الرغبات الإنسانية، وهذا بحد ذاته سحر، والرغبة في التَّحكُّم بمصائر الأشخاص الآخرين، وفي مصيرنا انطلاقاً من «الأنا» الإنسانية، مازالت موجودة.

إنَّ التَّحكُّم بالمصير مازال غير ممكن، وما أنْ يكون لدي شُعُور بالتعلق المباشر والدِّفاع والتحكم بالعالم المحيط، فعندئذ يبدأ الانهيار التام.

اليوم صباحاً اتصل بي صديق، وقال إنَّ هناك أقاويلاً في المدينة حول موتي، يعني، إنَّ نظامي من جديد حاول أنْ يكون أعلى من الحب، وأنا من جديد حاولت الاتصال مع «الأنا» الإلهية، محافظاً في نفسي على الثِّياب الإنسانية، «مدهش، فكرت، هل هناك شيء ما ليس على ما يرام في كتابي السادس؟ غريب فعلاً».

أرسم بالقلم من جديد محاولاً فهم ما يحدث، وفي أساس عبادة الذَّات هناك احتقار كثير للنفس في الأفكار والكلمات، ويبدو أنني بدأت أفهم ما المشكلة.

تحدثت كثيراً في الكتاب عن نفسي بحذر، والتملق تجاه الآخرين وتجاه نفسي يدل على تأليه الأنا الإنسانية، وكلَّما احتقرنا ما هُو إنساني، كلَّما ارتبطنا به بقُوَّة أكثر، يجب أنْ أزيل من الكتاب مثل هذه العبارات «لاحت لي فكرة» وعموماً لماذا أزيلها، والأفضل أنْ أذكرها، فهذا أفضل، وها هُو الوقت قد حان لاستقبال المرضى.

دَعَوْتُ الأوَّل.

دخلت امرأة كبيرة في السن، لديها مشكلات مع ابنها، رجوتها أنْ تقول اسمه وبدأت التشخيص، لدى الابن حقل سيِّئ.

- ما هي مشكلات ابنك؟ ونظرت إلى المرأة، كان وجهها حازماً، ومثل هذه الأمهات عادة يخططون بقسوة عندما يجب أنْ يكون هناك ولد، ما هُو جنسه؟ وما هي الحمية الَّتي يجب اتِّباعها أثناء الحمل؟ ليس واضحاً لهنَّ أنَّ الطفل سيولد في فراغ، وليس في انتظام، ورأيت كم هُو ابنها مرتبط بالأخلاق والانتظام، والأنا لديه، أعلى بخمس مرَّات من مُستوى الموت، وماذا هناك في النَّفس والحب والناس؟ رائع أيضاً، زائد ٣ مرَّات عن مُستوى

الموت، نعم، بوجود هذه المقاييس هُو نفسه لا يستطيع التَّخلُّص من مشكلاته، وبدأت أشرح للوالدة:

- عليك أنْ تعيشي حياتك من جديد، عابرة العناصر الكبرى للسعادة واللذة، وإعادة كل ما يُمكن أنْ يكون وسيلة لتراكم الحُبّ نحو الله، إذا لم تكوني تشعرين بذلك بعد. ومن ثُمَّ عليك أنْ تجتازي كل الاستياءات والغضب في المصير وتقبلها كطهارة للأنا الإلهية، محافظة على الحُبّ الإلهي ومزيلة لكُلّ الاستياءات. هزت المرأة رأسها وذهبت.

دخل المريض التَّالي، رجل طويل قوي البنية، لديه مشكلات مع ابنته رأيت أوَّلاً مقاييسه، في الحقل احتمال للموت، والمستقبل مغلق أمامه، وفي منطقة الصدر، حيثُ مركز المناعة، انحلالات جنسيَّة قوية، وقرب الصدر بُقعة قد تكون مميتة، ويبدو أنَّها حقل ابنته، قال اسمها وبدأت بالتشخيص، هناك رمز للموت كما لدى الأب، وفي منطقة الصدر انحلال تام بالجهاز البولي، ولديها عدوان ذاتي في لاشعورها.

- قل لي ما هي مشكلاتك مع ابنتك؟

- منذ عدَّة شهور أصيبت بالتهاب القصبات، وتحول إلى التهاب الرئتين، واختفى التهاب الرئتين وبدأ الربو، وازداد الوضع سوءاً، فحصوا نظام المناعة، وتبيَّن أنَّها مصابة بالإيدز، وقرر الأطباء التحقق من ذلك لكنهم لم يعثروا على شيء، وعندما لم تكن هناك أي فرصة، قرروا كوسيلة أخيرة للعلاج أنْ آتي إليك، وأعطوني شرائط الفيديو، وأصبحت حالة الفتاة أفضل، وبدأتْ تأكل من جديد، وها أنذا الآن عندك لمعرفة ماذا سيكون لاحقاً.

- قل لي، ما هي مهنتك؟ مراقباً ملامحه الجدية.

- مارست لوقت طويل القتال الفردي، وعملي مرتبط بهذا الآن.

- إذاً، أنت ركزت طويلاً على التَّحكُّم بالوضع، ولديك تركيز على النِّظام والإرادة والأهداف والمبادئ، أنت لم تطور في نفسك الحب، بل الإرادة، وعندما عالجوك من خلال الخيانة والعلاقة غير الأخلاقية تجاهك، لم تتقبل مثل هذه المُساعدة، محتقراً، ومستاءً من الآخرين ومن نفسك، ولدى ابنتك رغبة في التَّحكُّم بالعالم عبر حالات مختلفة، وعبر الأشخاص أكثر، والعالم لن يخضع لها، وهناك استياء من هذا العالم ويتحول إلى برنامج للتدمير الذاتي، وبالنتيجة هناك المرض ونقص المناعة.

حرَّك الرجل رأسه وقال:

- لكنَّ زوجتي مدربة رياضية، وداخلياً هي غير مسالمة.

- لديكما أنتما الاثنان عمل كثير - اذهب وابدأا به.

خرج الشَّخص واستغرقت في التفكير، فهذا الوضع مشابه لوضعي تماماً. إذا وضعت لنفسي هدفاً معيناً، فإنَّ مفهوم الزمان بالنِّسبة لي لم يكن موجوداً: ١٠ - ٢٠ - ٥٠ - ١٠٠ سنة، لم أكن قد رفضت أبداً الأهداف، والآن عندما أمارس التأمل، فإنَّ كل صفاتي الشَّخصيَّة تحتد كثيراً، والارتباط بها أيضاً، إنَّ سُرعة التغلب على ما هُو إنساني، استناداً إلى ذلك، يتخلص منه بالانغماس فيه، وأنا باندهاش أقنعت نفسي أنَّه في الفترة الأخيرة أصبحت الصَّلاة بالنِّسبة لي وسيلة لشفاء صحتي، أي، الموضوع إياه ذاته، أحاول أنْ أجذب الإلهي للحُصُول أكثر على ما هُو إنساني، وأدركت أنَّه يجب عليَّ أنْ لا أقوم بتشخيص حالتي قبل الصلاة، والأفضل للمرضى ألاَّ يتحدثوا عن المقاييس. وعموماً، إلى أين وصلت؟»، خطرت في ذهني تلك الفكرة، رُبَّما آن الأوان للانتهاء من هذا النِّظام؟ إذا لم يكن داعٍ لذلك لي لماذا أضرب رأسي في الجدار»؟

وتذكرت شعر «إيسينين»:

السَّعادة تعطى للقساة والأغبياء.

والحزن يُعْطى لد لطفاء.

كُنت حتَّى الثَّانية عشرة من عمري كثير الحركة ونشيطاً على ما يبدو، وبعد ذلك لا أعرف، وأصبحت حالة الحزن عندي طبيعيَّة، ودائمة، الإنسان غير الأخلاقي والوقح يكون سعيداً عادة، والإنسان المنتظم والذكي يكون حزيناً وبائساً، ويبدو أنَّ نظامي يعمل عندما لا يكون هناك حب، وعندما يكون حب عندئذ لا تجعل الأخلاق والنظام من الإنسان حزيناً، سمعت طرقاً على الباب ودخلت المريضة التَّالية، حقلها أفضل بكثير ممَّا لدى الآخرين، ومع هذا هناك مسألة المثل العُليا والأخلاق.

- أتعرف، قالت هي فجأة، أنا كُنت عندك منذ فترة.

- وماذا إذاً، هل تغير شيء في الواقع؟

- نعم، لاحظت بعض التحسن، أنت لا تتذكر، لكنْ عندها سألتك:

هل أستطيع أنْ أساعد إخوتي الَّذين لديهم مشكلات؟ وقلت لي: ما يجب عليَّ أنْ أفعله هُو الصَّلاة من أجلي ومن أجل أولادي، وإذا كان في المدينة قديس واحد، فهُو يستطيع أنْ ينقذ كل المدينة.

- وماذا إذاً، ما المشكلة؟

- لدى أخوتي مشكلة مع المخدرات، وقد كانوا يتناولونها ٥ - ٦ مرَّات في اليوم، كل واحد منهم، وها قد مرت نصف سنة ولم يقتربوا منها أبداً.

- الحمد لله، اذهبي واعملي على ذاتك.

كان عند مريضتي التَّالية سؤال واحد:

- تعرف، أنجذب نحو رجل، لكنَّ حالته مزرية، وهناك منافس آخر، وهُو غني جداً، وها أنا أفكر، أنَّ ابني بحاجة إلى المال، ليتعلم وينمو، إذاً، رُبَّما عليَّ أنْ أتزوج من الغني أم لا؟

- ليس لديك ابن بعد، وابنك في المستقبل بحاجة إلى الحُبّ وليس المال، والمال سيجنيه هُو بذاته، وإذا لم يكن في داخله حب، فلن يحصل على أي مال مطلقاً وهذا المال لن يجلب له السَّعادة.

- إذاً، أتزوج من الشَّخص الَّذي أنجذب إليه؟

رفعت كتفَيْ ودرت برأسي في الاتجاه الآخر ناظراً في النافذة. وفهمت هي أنَّ الجلسة انتهت وذهبت بهدوء.

وجلست من جديد امرأة أُخرى، قالت: إنَّ ابنها مُصاب بسرطان الرئة، تغيرات طفيفة، كان واضحاً أنَّها تُعاني من تغييرات ذاتية، السؤال الأوَّل الَّذي طرحته عليَّ:

- قل لي من فضلك، وهل بالإمكان مُساعدة ابني؟

- لا أفهم، وهل هناك أساليب أُخرى للمُساعدة أيضاً؟

- لكنَّك تستطيع أنت بالذات مُساعدة ابني، باستثناء أنْ أجلس وأصلي.

- تعرفين، هُنا في الجلسة، كل ما يمكنني أنْ أفعله، سأفعله، قولي لي كم عدد الكتب الَّتي قرأتها؟

- كُلُّها.

- إذاً، إنَّ التغييرات في الأعماق يمكنها مُساعدة ابنك أكثر من أي وسائل أُخرى.

وحركت يديها بتعب:

- إذاً، أعيد عليَّ من جديد ما يجب أنْ أفعله.

- لن أكرر ذلك.

- لماذا؟ ونظرت إليَّ باندهاش.

- هكذا، لقد شرحت لك مرتين كيف العمل على الذَّات، في المحاضرات وفي الجلسة الأولى، ولن أشرح شيئاً في المرَّة الثَّالثة.

نظرت إليَّ وفهمت أنَّه عليها إما أنْ تذهب من الجلسة، وإما أنْ تحاول التغلب على نفسها، وعندما ستأتي لعندي في المرَّة الثَّالثة سأرى تغيرات واقعية في حالتها وفي حالة ابنها.

الآن يجب أنْ يدخل المريض التالي، وأنا أستعد لإعلان كل ما أعرفه، إذاً، هناك نقطتان للاستقرار الأعلى للسعادة الإنسانية، سعادة «الأنا» الخاصَّة بنا، الَّتي تتحقق من خلال العلاقات وحب إنسان آخر، وسعادة «الأنا» الجماعية، وهي الأخلاق والمثل العُليا والذكاء والقدرات، وإنَّ عدم استقرارها يقربنا من اللّه، إذا توجهنا بشكل صحيح، وفي تصوراتنا أنَّ كل ما هُو إنساني هُو استقرار، وأما كل ما هُو إلهي فنحن ندركه غالباً على أنَّه فراغ، إذا كان الإنسان يحلم دائماً بالدفاع والاستقرار فسوف تُغلق أمامه طريق الإلهي، وفي مرحلة الشباب يتعرض جسمنا لتغيرات دائمة ودائماً يمتلئ بالحُبِّ.

obeikandl.com

obeikandl.com

إدراك العالـــم

هـا هـي نهايـة الصيـف، أواسـط آب، منـذ يـومين أصبـح الهـواء خريفيـاً، وبالمناسـبة هـل ستكون فطور أم لا؟

تـذكرت الشـهور الماضيـة وشـعرت بخفـة في النَّفس، يـتغير إدراك العـالم ببطء، لكـنْ هناك متعة في رؤية العـالم بصُورة جديـدة، سـابقاً كُنت أحلم بشـراء قطعـة أرض، وبنـاء منـزل عليها، أو أنْ يكون لي رصيد في البنك، أو شـراء يخت، وكنت آسف لأنَّه لم يحصل شـيء، وكنت أعتقد طوال حياتي أنَّ المتعة الأساسيَّة - هـي الوُجُود مع الشَّخص الَّذي نحب، وهـي وُجُود الأولاد واستمرار الجنس، وهي الاستقرار في الحياة، وعندما توصلت إلى أنَّ حب اللّه هُو المتعة الأكثر أهميَّة وهُو السَّعادة الحقيقية، فإنَّ مشـاعري رفضت الوثوق في ذلك، لكـنْ الآن أنظـر إلى الـوراء ولا أرى أي خسـائر أو امتلاكـات، وبشـكل أدق كـان ذلـك بمثابـة خلفيَّـة واضحة الأهم هي محاولاتي للشعور بالأنا الإلهية على أنَّها أكثر واقعية.

ببطء وتـدريجياً، لكـنْ هـذا يحصـل معـي، وأي موقـف يُصبح ليس هـدفاً، بـل حـافزاً للشعور بالأنا الإلهية في داخلي، إنَّ تربية المشاعر تسير دائماً بألم، لكـنْ عنـدما تعـرف إلى أين تسير، تظهر مع الآلام متعة تحل تـدريجيَّاً محلها، وأنـا كـثيراً مـا شـرحت بشـكل مغـاير أصل المشكلة للمرضى.

وقلت:

- انظـروا، كـل القيم تُؤدِّي إلى الإنسـان ذاتـه، مـاذا يعـني الإنسـان ذاتـه؟ هُـو الـرُّوح والجسـد والـنفس، ومـع الجسـد يـرتبط العنصـر المـادِّيّ للعلاقـات والقـدرات والـذكاء، والتبعيـة بالعلاقـات تولـد الغيرة، وبالقـدرات والـذكاء - الاعتـزاز الكبير بالنَّفس.

المكان يولِّد المادة، والنفس تولِّد الجسد، ومبادئ الحلم والآمال والمثل العُليا تربطنـا مـع المستقبل، والطبقـة الرُّوحيَّـة أكـثر دقَّـة وشموليـة وهـي تحـدد الوضـع البـدني، وبمـا أنَّ المكـان يولِّد المادة، كذلك المكان يولد من الزمن، والروح أكثر دقَّة وشمولاً من النفس، والـروح هـي

مشاعرنا ورغباتنا، وبما أنَّ المادَّة والمكان هما بمثابة وظائف للزمن وتشكلانه، فإنَّ الجسد والنفس يعدان كذلك جزءاً من الروح، أي بقدر الوعي والفكر.

والإنسان هُو أوَّلاً عبارة عن مشاعر.

بداية نحن نتعلَّم التقليل من التبعية بالسعادة المادية، ومن ثم، معتقدين أننا قهرنا العالم المُحيط بنا وأنفسنا، ندرك تدريجيَّاً أنَّه يجب التغلب على تبعيتنا لنفسنا، ونفهم أنَّه لا بد هُنا من توفر حب ممَّا كان سابقاً، ويكفي التَّعلُّم ألاَّ نبعد أنفسنا عن طريق المال، والأنا الحقيقية إلهية، وهي تتألف من الحُبّ وعندما تُدمر المشاعر والرغبات تستمر في الوجود، وعندما تزول القدرات والذكاء والخطط والآمال، وعندما يزول الوعي، فإنَّ هذا لا يُؤثِّر على حبنا، الحفاظ والتمسك بالحُبِّ عندما تُدمَّر كل الآمال هُو صعب جداً، والحفاظ على الحُبّ عندما تُهان المشاعر، ممكن إذا كان هناك سعي حقيقي نحو الأنا الإلهية، وعندما لا يعيش الإنسان بالمال والأحلام أو بالمبادئ، بل بالحُبِّ.

سابقاً لم أتصور كيف يحدث الانقطاع عن كل ما هُو إنساني عندما نسعى إلى الإلهي، والقماش الَّذي يغطي الجرح لا يثير الشُّعُور بالألم، والألم يبدأ بعد ذلك، وكل ما نسميه بالعادات هي مشاعرنا، ونحن نتعود على الغضب والكره والندم على الماضي والخوف من المستقبل، ونحن نتعود أنْ نعتقد أنَّ السَّعادة الأساسيَّة تأتي إلينا من خلال الجسد، وعندما نحاول تغيير عاداتنا، يكون صعباً على البعض القيام بذلك، وأولئك الَّذين أدركوا أنَّه ليس هناك طريق إلى الوراء، يبدؤون بتكوين عادات جديدة، وسرعان ما تظهر عادة المغفرة والمسامحة، وعادة عدم الانتقام، وعدم الندم، وعدم الخوف، وعادة الحُبّ دُون متطلبات أو شروط، وعادة العيش بالحب، وعندما تسير إلى الله، ليس هناك حلول وسط.

والعديد يعتقدون أنَّهم عندما يصلون سيشفون ويُمكن العيش من جديد حسب ما كان قديماً، ولا يفهمون لماذا لا يتغير شيء عندهم.

إما أنْ تذهب نحو الحب، وإما أنْ تبتعد عنه، ليس هناك طريق أُخرى.

وتبدأ التغيرات الحقيقية لدى أولئك الَّذين يقولون لأنفسهم:

- منذ هذه اللحظة لن أكون كما كُنت في السابق، وبالنسبة لي، مرَّة وإلى الأبد، السَّعادة العُليا والمتعة هي السعي نحو الله، ومراكمة الحُبّ تجاهه، ومهما اهتزت وساءت سعادتي الإنسانية، فإنَّ جسدي ووعيي ومشاعري وحياتي، وحبي تجاه الله سيزداد، وتذبذب الأنا الإنسانية - هي فرصة للشعور بشكل أفضل بالأنا الإلهية.

وفسَّرت ما يلي لأحد المرضى:

- الإنسان هُو رُوح ونفس وجسد، ماذا يعني الجسد والنفس أنت تعرف، ولننظر ماذا تعني الرُّوح.

خلق الكون من الحُبّ الإلهي، يعني، إنَّ الكون هُو أوَّلاً تشكيل حسِّي، وتدور المشاعر في الزمان والمكان والمادة، وتضم الرُّوح مفاهيم الحياة والرغبة والوعي، يعني إضافة إلى المستويات الخارجيَّة الماديَّة والعميقة والنفسية لدينا ثلاث نقاط استناد في المُستوى الأساسي: أوَّلاً - سعادتنا ككائن حي، ونحن نسمي هذا حياة، ثانياً - سعادة الكائن الحي الَّتي يُسمَّى الإنسان، وهي رغباتنا وحبنا تجاه إنسان آخر، وثالثاً - هي سعادتنا ككائن اجتماعي، ومن دُون الوعي الجماعي كان يُمكن للإنسان أنْ يكون حيواناً، ويتولَّد الوعي الجماعي من المجتمع، وفي أساس وُجُود أي مجتمع، وبالتَّالي الوعي الجماعي، هناك الأخلاق. وهذه النقاط الثلاث لسعادتنا لا يُمكن أنْ تُوجد دُون حب، وبقدر ما نحافظ على الشُّعُور بالحُبِّ عندما تتزعزع تصوراتنا عن الأخلاق، بقدر ما نحافظ على الحُبّ عندما تهان مشاعرنا ورغباتنا، وبقدر ما تتعزز علاقتنا مع الأنا الإلهية، وعندئذ تتطور وتزدهر الأنا الإنسانية.

ماذا يعني احتقار الحياة؟

إذا ظهر لديكم التذمر والحزن من تقدمكم في العمر - فإنَّ هذا إشارة خطرة، وإذا أبديتم رغبة في عدم العيش عندما تمرضون فهذا يعزز من الارتباط بالحياة، وإذا كنتم تكرهون مَنْ يقتلكم أو يضربكم فهذا يعزز الارتباط بالحياة، وإذا احتقرتم مَنْ أخذ منكم الحياة، فأنتم تنغمسون من جديد في الأنا الإنسانية، وبما أننا نكبر في العمر ونموت، فإنَّ رمز الحفاظ على الحياة هُو استمرار الحياة في أطفالنا، إذا أحببتم امرأة فإنكم ترغبون في لاشعوركم في أنْ يكون لديكم أطفال منها، وبذلك تستمر الحياة، وإذا تخلت عنكم، فإنَّ هذا خطر برأيكم على الحياة، وإذا رأيتم في هذه اللحظة في هذا الأمر إرادة إلهية وحافظتم على الحُبّ الإلهي، بحب الله في كُلِّ إنسان، وفي أنفسكم، فإنَّ هذا يتيح لكم التقليل بقُوَّة من التبعية لكُلِّ ما هُو إنساني، والشُّعُور بالأنا الإلهية بوُضُوح.

أتذكر مكالمتي مع إحدى النساء منذ فترة:

- ليس لديك أي تغيرات - قلت لها.

- تعرف إلى الآن لا أستطيع مُسامحة حماتي - قالت لي.

- الوضع صعب، فكتبي وشرائطي لم تقنعها، وعليَّ الآن خلال لحظات أنْ أقوم بذلك، وقلت لها:

- تصوري أنَّه عليك الجُلُوس في سيارة والذهاب فيها، أولاً، تقتربين من السيارة وتجلسين خلف المقود، ثانياً - تضغطين على الدواسة، ثالثاً: تضعين المفتاح وتشغلين المحرك، رابعاً: تنظرين إلى اليمين واليسار، خامساً: تضعين السُّرعة الأولى ببطء وتضغطين على البنزين، وتتحركين من المكان، وللذهاب في السيارة عليك القيام بخمسة أفعال، وأنت قمت بأربعة فقط، ولم تقومي بشيء واحد فقط، وهُو أوَّل عمل يجب القيام به، أنت لم تجلسي في السيارة.

نظرت في عينيها وتابعت حديثي:

- تعرفين أنَّ الاعتزاز بالنَّفس - هُو نتيجة لحالة إصابة، وبالتَّالي البحث عن المذنبين أي في نهاية المطاف أولئك الَّذين يُمكن تدميرهم، كُنت أعتقد سابقاً أنَّ هناك ارتباط بالقدرات والذكاء في أساس الاعتزاز بالنَّفس. وبعدها رأيت طبقة أكثر دقَّة: مبادئ ومُثُل وروحانية، وتبيَّن فيما بعد أنَّ هناك طبقة أكثر عمقاً، الأخلاق، والمجتمع المتطور على أساس الأخلاق يملك تصورات دينية، لكنَّ عبادة الأخلاق الدِّينيَّة والإنسانية، يُؤدِّي إلى تدمير الرُّوح تدريجيَّاً في أنفسنا، وفي أولادنا، لذلك، لا يُمكن أبداً نسيان أنَّ الحُبّ يكون فوق كل شيء، وتذكري الرِّواية في الإنجيل، كيف أنَّ امرأة زَنَتْ، وقوانين تلك الأيَّام تقضي بإعدامها ورميها بالحجارة، واجتمع النَّاس للقيام بذلك، لكنْ ما اجتمع هناك رغبة النَّاس في قتل الحُبّ في أنفسهم، دُون أنْ يروا الإلهي في هذه المرأة، لقد رأوا مجرمة يجب احتقارها ومحاكمتها.

من أين جاء الشُّعُور باحتقارها؟ اعتقدوا أنَّها غير محقة أبداً، وهم محقون تماماً، والحب فقط يُمكن أنْ يكون مطلقاً، والأنا الإنسانية لم تكن أبداً ولن تكون مطلقة ومستقرة وكاملة، وعندما اقترب السَّيِّد المسيح من هذه الجماعة، لم ينقذ هذه المرأة التعيسة فقط، بل أرواح هؤلاء النَّاس، إنَّ ثقتك ١٠٠٪ بأنَّك محقة، هذا يعني تأليه الوعي والأخلاق، وعندما اقترح السَّيِّد المسيح أنْ من ليس لديه خطيئة فليرمها بحجر، فإنَّ كل شخص أحس بنسبية الحق لديه، والسَّيِّد المسيح ساعد الجميع بأنْ يشعروا بالحُبِّ في أنفسهم.

أنت لا تستطيعين مغفرة ومسامحة حماتك لأنَّك واثقة أنَّها ليست محقة، وأنت محقة، وهذه الثِّقة تدمر المنطق في الإنسان، وإذا خرق الإنسان القواعد الإنسانية العامة، فهُو يستحق

العقاب، لكنْ ليس الاحتقار، وإذا كان العقاب أهم بالنِّسبة لنا من الحب، فإننا نصبح مجرمين بأنفسنا، وأولاً أمام الله، وثانياً: أمام النَّاس.

نظرت مرَّة أُخرى إلى المرأة، وبما أنَّ الأخلاق قد أوجدها المجتمع، فإنَّ المُجتمع من خلال المحاكم يجب أنْ يعاقب، والغضب بالنِّسبة لنا كالرغبة في الانتقام، وإحقاق العدالة، ولكنْ إضافة إلى الأخلاق الإنسانية هناك الأخلاق الإلهية. استغرقت في التَّفكير ومن جديد عاينت حقلها.

- وأخيراً، إنَّ تعاملك غير السليم مع العالم يبدأ بتدمير البنى الدقيقة، ويُمكن أنْ يُؤدِّي إلى تدهور الصِّحَّة والمصير، لقد تشكل الجسد عندك، ولذلك فإنَّ التدهور لن يصيبك أنت أولاً، بل طفلك، وبقدر ما يكون الوضع جيِّداً مع أطفالك، بقدر ما يقومون بتطهيرك بشكل أعم من خلال أشخاص آخرين.
- لديك مخرجان فقط، أوَّلاً - سامحي الإنسان الَّذي أساء إليك، مدركة أنَّه ليس مذنباً، وأنه من خلاله تعطين فرصة لإنقاذ حياة ابنك، ثانياً: لا تسامحي، وبعد ذلك راقبي كيف سيمرض ابنك.

وذهبت للعمل على هذا.

وأتذكر امرأة أتت إليَّ، وقالت إنَّه ليس هناك أي نتيجة مهما حاولت.

- لا أفهم - لكنْ التغيرات لديك صفر.

انزعجت وبدأت تثبت بقُوَّة لي أنَّها تعمل كما قلت لها.

- لقد قرأت الكثير وقرأت لذلك المؤلف، وقرأت كتبك واستخدمت ذلك الأسلوب وذاك، ولم يحدث معي شيء مطلقاً، لماذا؟
- تصوري أنَّ أمامك تسعة أبواب مفتوحة، وأنت تريدين الدخول فيها جميعاً، إذاً أبقي في الغُرفة للجوء إلى الله ولا بد من نسيان كل شيء والابتعاد عن كل شيء، وفكري فقط بأساليبك ووسائلك.

وعندما فهمت ما الأمر، حصلت تغيرات فعلية لديها، كُنت أرى غالباً كيف يصلي الإنسان، ويطلب شيئاً ما دُون أنْ يتغير، وبعد ذلك في لحظة ما يشعر ويدرك أنَّه لا داعي للنظر باستعلاء إلى الآخرين، ولا يُمكن احتقارهم والتفكير بسوء بهم، وعندئذ يتغير كل شيء، وإذا فهم أنَّه لا يجوز ضرب الرأس بالحائط وأنَّ هذا من دُون معنى، فإنَّه لن يقوم بذلك.

وضعت هذا الأمر بالنِّسبة لي على الشَّكل التَّالي: الفهم أعلى من الصلاة، وأدركت منذ فترة فقط أنَّ الصَّلاة تحديداً تُؤدِّي إلى الفهم.

بعد مضي بعض الوقت عادت المريضة، وسرعان ما بدا واضحاً أنَّها استطاعت التغلب على الغضب.

- خطر على حياة الطفل لا أرى، قلت لها، وقد استطعت من تنظيم نفسك. لكنْ إذا أردت أنْ لا تحافظي على صحة ابنك فقط، بل يجب إعطاؤه فرصة للحُصُول على السَّعادة الإنسانية، فإنَّ تغيراتك يجب أنْ تكون أعمق ومستقرة أكثر، وإنَّ عمق تغيرات الأنا الإنسانية يرتبط بالقدر الَّذي تبتعدين عنه، وإنَّ الابتعاد عن الإنساني يُمكن أنْ يحدث من خلال الشُّعُور بواقعية الأنا الإلهية، وللشعور بهذه الأنا لا بد من اختفاء أي عدوان تجاهه، أي تجاه الحب، والعدوان الأكثر خطراً تجاه الله يسير من خلال عدم الرضا عن الذَّات واحتقارها وعدم الثِّقة في النَّفس ودون أنْ نفهم أنَّ الأنا العُليا موجودة في الأنا الإلهية، لذلك لا بد من التَّخلُّص من عدم الرغبة في الحياة، وعدم الرضا عن الذَّات والمصير.

يجب أنْ نتعامل مع الأنا الإنسانية كما نتعامل مع الطفل، نحبه، مهما كان الأمر، وتربيته ومساعدته في تطوير نفسه، وإذا كان الأهل يغضون النَّظر عن رغبات الطفل ويبدأ بالتعلق به، فإنَّ الطفل سيُصبح متسلطاً، ويُمكن أنْ يموت، لذلك عندما نكون تابعين لمشاعرنا وأهدافنا ووعينا، فإنَّ الأنا الإنسانية تبدأ بالمرض والانهيار، لذلك يجب كل يوم أنْ نربي الطُّمُوح للحب، وكذلك مشاعرنا وأفكارنا وسلوكنا. في ملامح المرأة رأيت أنَّها تستطيع الآن مُساعدة نفسها وابنها، ويُمكن أنْ تغفر، كُنت جالساً في المكتب وأنظر إلى النافذة. سابقاً كُنت أعتقد حسب العادات الهندية القديمة أنَّ المرض - هُو دفع الثمن لقاء ذنوب الماضي، لكنَّ الشَّخص المقعد والمريض جدَّاً - هُو مُجرم في الماضي، وعوضاً عن مواساته نبدأ نتعامل معه بدُون لطف. وبالشعور أنَّ كل طريقة غير صحيحة، تعمقت أكثر من إدراك الأسباب الحقيقية للمرض، أوَّلاً إنَّ أي إخفاق بالنِّسبة لي تُحوّل إلى استعداد للحالة القادمة، وأي خسارة - هي مقدمة للاستحواذ في المستقبل، نحن محكومون بتطور القيم الإنسانية الشاملة، وتطويرها يستمر، لكن في أمكنة أخرى، كل ما خرج من الله يعود إلى الله، وعندما تشعر روحنا بالحصول على السَّعادة الكبرى في المستقبل تستعد تجاهها عبر الخسائر والأمراض والأحزان، وكل هذه الخسائر هي في حقيقة الأمر ابتعاد مؤقت عن الأنا الإنسانية للحُصُول على نسبة كبيرة من الحُبّ. وكلَّما كان الحُبّ أكثر، كلَّما كانت الخسائر أقل. وبقدر ما نستعد جيِّداً للأحداث القادمة، مالئين أنفسنا بالحب، بقدر ما يستقيم مصيرنا.

أجريت تجربة شيقة في فنلندة، بعد محاضرة قصيرة لأولئك الَّذين يهتمون بكتبي، وقفت امرأة وسألتني:

- إلى أيِّ حد يكون الكمبيوتر ضاراً بالنِّسبة لابنها، فهُو لا يستطيع بأي شكل الابتعاد عنه، وكأنه مدمن.
- إنَّ الكمبيوتر يطوِّر وعي الإنسان، وإذا كُنت متعلقة بأسس الوعي كالأخلاق والإرادة والمبادئ والأهداف، فإنَّ التعامل مع الكمبيوتر سيكون آمناً بالنِّسبة لابنك.
- قل لي من فضلك لماذا يعاني مَنْ يتعامل مع الكمبيوتر من آلام في الصدر؟
- لأنَّ التركيز على الوعي يعطي الشُّعُور بالاعتزاز بالنَّفس، وهذا الشُّعُور محاصر في الفترة الأخيرة بانخفاض المناعة العامَّة، ومركز المناعة على المُستوى الجنسي يقع في منطقة الصدر، وتخريب البنى الجنسيَّة قرب الجسد يثير أوَّلاً ألماً جسدياً في الجسد نفسه، وبعد ذلك، وبعمق أكثر، يُمكن أنْ يُؤدِّي إلى أمراض مُختلفة، فمثلاً: نقص في الرُّؤية والقدرات والذاكرة.
- وماذا علينا أنْ نفعل؟

أوَّلاً نظِّمي نفسك ومن خلالك ساعدي ابنك، خطرت في بالي فكرة ممتعة أقوم الآن بتشخيص مُستوى الضرر أثناء اللعب على الكمبيوتر بالنِّسبة لابنك في لحظتين، في هذا الصباح، أي قبل المحاضرة، بما أنَّ قسوتك تجاه الأشخاص الآخرين انخفضت جداً، يُمكن الافتراض أنَّ لدى ابنك انخفض التَّعلُّق بالوعي، يعني أنَّ الخطر من اللعب على الكمبيوتر قد يُصبح أقل، إذاً، لا يشكل هذا ضرراً كبيراً، وإذاً، إنَّ المشكلة الأساسيَّة ليست في الكمبيوتر، بل في حالة الإنسان الَّذي يعمل عليه، إنَّ الواقع الافتراضي الَّذي يتيحه لنا الكمبيوتر يُمكن أنْ يسرِّع من عمليات التَّعلُّم وتطوير المهارات أكثر بآلاف المرَّات، والحب لا يكفينا جميعاً، ونحن لسنا مستعدين لهذه القدرات الَّتي تقترب منا شيئاً فشيئاً، يُمكن أنْ ينخفض نظام المناعة لدينا، لذا علينا العمل على أنفسنا منذ هذه اللحظة بشكل أفضل.

وقلت في نفسي:

المرض - هُو استعداد للمستقبل، لكنَّ الماضي هُنا يلعب دوراً أيضاً، إذا كنتم من خلال تصرفاتكم السابقة لم تستعدوا لدرجة كافية، أو أنَّ السَّعادة في المستقبل شاملة تماماً، فإنَّه سيتم إعدادكم بوسائل قاسية، وبالمناسبة كانت الشيخوخة سابقاً أنظر إليها على أنَّها استنفاد الجسد، وأما الآن فقد أدركت أنَّ الشيخوخة - هي استعداد لحياة جديدة،

وهذا يعني أنَّه إذا أردنا التغلب على الشيخوخة لا بد من الاستعداد من تلقاء أنفسنا، لا أنْ نكون مرغمين.

قالت لي امرأة:

- بدأت أغضب علامات الشيخوخة بدأت، لم أتصور أبداً أنَّ هذا مرتبط بذاك.

كلَّما عشنا أكثر، كلَّما انغمسنا أكثر في الوعي.

ويقول لي صديقي:

- أستطيع أنْ أغفر كل شيء عدا الخيانة، ومهما حاولت، فلا أستطيع أنْ أتخلص من احتقار الخونة.

- تصور، قلت له، أنَّ الإنسان مريض ومقعد بدنياً، هل ستحتقره؟

- لا، طبعاً.

- والآن تصور أنَّ الإنسان غبي وعاطل ومن دُون مبادئ، فهل ستحتقره؟

- يجب التَّفكير هُنا، أجابني ببطء.

- وهذا ما هُو إلا مرض الرُّوح - قلت له - وهناك مرضى بالروح، وكالخونة مثلاً، وإليك هذا، الأفضل بكثير أنْ تكون مقعداً أو مريضاً جسدياً، من أن تكون مريضاً روحياً، وجسدياً يريد المريض أنْ يُصبح معافى، والغبي ومن دُون مبادئ يريد أنْ يُصبح ذكيَّاً ولديه مبادئ، والخونة والقتلة يريدون أنْ يكون روحانيين وطيبين، لكنَّ تغيير الرُّوح أصعب من تغيير الجسد، وبقدر ما نرتبط بالسعادة الإنسانية، بقدر ما تسير عمليات التغيير بشكل أعقد.

عدت فكريَّاً إلى مشكلاتي، اعتقدت أنَّ مجموعة المشكلات التي عانيت منها في العام الأخير بدنياً وأخلاقياً - هي عبارة عن كهولة قادمة، ونتيجة لأعبائي وأخطائي الكبرى في الماضي، وعندما نظرت جدياً إلى أطفالي وأحفادي فهمت أنَّ المقصود هُنا ليس الماضي، بل المستقبل، ويبدو أنَّ أرواح الأحفاد موجودة في حالة صعبة، إضافة إلى ذلك، في المستقبل عليَّ جيِّداً أنْ أقوم بأشياء كثيرة، ولعلَّ الأهم عند الاقتراب من الأنا الإلهية تبدو الأنا الإنسانية أنَّها لا ترتاح ولا تهدأ، وهي تتمرد وتقاوم وتمرض، وكل ما كان في الماضي أشياء تافهة أصبحت خطرة على الحياة، واتضح أنَّ الاستحواذ على الأنا الإلهية يحدث بألم، ويُمكن أنْ يُؤدِّي إلى الموت، إذا لم نكن مستعدين لذلك.

لاحظت كيف يتغير الوضع عندما تحاول الشُّعُور بالأنا الإلهية، فيقدر ما يقل التَّعلُّق بالعالم المحيط، لن يبدو العالم قاسياً وعنيفاً، يُصبح أكثر رقَّة وضعفاً، ولكنَّ العالم

بالنِّسبة لي ما زال واقعياً أكثر من «الإلهي» ولا أستطيع إلى الآن أنْ أكون إلا في حالة واحدة، إما انقطاع تام مع العالم، وإما تعمق فيه وتبعية تامَّة تجاهه، يحدث هذا مع المرضى بشكل مغاير، أي أنَّهم يستطيعون التمسك بشعور الأنا الإلهية كواقع وحيد.

وسُئلت في إحدى المرَّات «وكيف نشعر بالحُبِّ الإلهي؟» ماذا علينا أنْ نفعل كي لا يُؤدِّي الحُبّ الإنساني إلى المآسي.

حاولت شرح ذلك:

- كلَّما كنتم مُتعلِّقين بالعالم المُحيط بكم أكثر من خلال مشاعركم ووعيكم، كلَّما كان الألم أكبر في شعوركم بالحب، وعندما تعطون يقل الارتباط. وإذا تدربتم كل يوم على منح الحُبّ، فإنَّ التَّعلُّق بكُلِّ ما هُو إنساني يقل، إذا كُنتم قادرين على مُساعدة شخص قريب منكم، دُون انتظار مكافأة على ذلك، انطلاقاً من الشُّعُور بالحُبِّ فقط والرغبة في تحقيقه، فإنَّ هذا الحُبّ يجعل منكم إنساناً سعيداً.

وسألتني امرأة من جديد:

- ومع هذا لماذا الكمبيوتر خطر علينا؟

- إنَّ الإنسانية تتحد الآن في عقل جماعي واحد، الإنترنت، والبريد الإلكتروني، والراديو والتلفزيون ومعرفة اللغات الأجنبية، كل هذا يتيح ظهور أشكال جديدة من الوعي الجماعي، دُون مُجتمع لا يُوجد إنسان، وبما أنَّ مجتمعاً جديداً يظهر الآن، فبعد ٢٠ - ٣٠ سنة، يُمكن توقع ظهور أشخاص من طراز جديد تماماً، إذا كان على الإنسان في المستقبل أنْ يحصل على مبلغ كبير من المال، فإنَّ الاستعداد لهذا يبدأ قبل ذلك، وإذا كان المال يعني للإنسان كثيراً الآن، وبسبب مبلغ غير كبير يبدأ بإظهار الخوف والحسد والكره والندم، فإنَّ الأموال الضَّخمة ستقتله، أو في أحسن الأحوال لن يحصل عليها أو يفقدها، والحال كذلك مع القيم الرُّوحيَّة، إذا حصل الإنسان الذي لديه اعتزاز قوي بالنَّفس على قدرات كبيرة، فسوف يمرض أو يموت، دُون أنْ يفهم أنَّ ما عدَّه سعادة قد تُحوِّل إلى موت، وقبل أنْ يحصل على السَّعادة الإنسانية والاستقرار يجب أنْ نحصل أوَّلاً على التدمير والانهيار، وبقدر ما حلمنا في حياتنا بالسعادة الإنسانية والاستقرار، فإننا لا نستطيع أنْ نتحمل الإعداد للسعادة في المستقبل.

والآن كان على المريض التَّالي أنْ يدخل إلى المكتب، وتذكرت مشكلاتي، ويبدو أنني فهمت لماذا لدي هذا الهيجان أثناء الجلسات، أريد بقُوَّة مُساعدة الناس، ووضعت هدفاً لي هُو علاج أي شخص، وأثناء الجلسات يجري تسارع كبير، أبدأ بالتعلق بالحياة والرغبات والأهداف، وبمساعدة المرضى بدأت أسبب الضرر لنفسي، وبدأ التَّعلُّق بنقاط السَّعادة الإنسانية الأساسية، يعني لكي أنقذ حياتي، عليَّ أثناء الجلسات أنْ أنسى كل ما هُو إنساني.

لدي صديق طبيب، التقيت معه منذ فترة، ورأيت باندهاش أنَّ وضعه قريب من وضع الموت، وقد قرأ كل كتبي وعمل بنصيحتي، لماذا حدث معه تركيز على الوعي: الأخلاق والإرادة والهدف، كان يجب العثور على العامل المحفز، تبين أنَّ هذا سهل، لقد اتبع طرقاً مُختلفة في علاج المرضى، وحقق نجاحات باهرة وارتفع بقُوَّة تركيزه على الهدف والرغبة.

- عندما تعالج أحداً ما، يجب أنْ لا تتمنى الصِّحَّة للمرضى، يجب عدم وضع معالجة المرضى كهدف لك. لست أنت مَنْ يُقرِّر ذلك، يتم إقراره من الأعلى والتركيز يجب أنْ يكون على الحُبّ في الرُّوح، وليس على الهدف والرغبات.

عندئذ، وبمساعدة الآخرين، لن تقتل نفسك.

تذكرت حادثة روتها لي إحدى النساء:

كانت عندي امرأة في جلسة روت لي:

- كان علينا أنْ نذهب من كازاخستان إلى ألمانيا، وخلال يومين وقبل هذا مساءً هجم علينا لصوص وهددونا بالسلاح أنْ نعطيهم كل ما نملك، شعرت أنَّهم يريدون قتلنا كي لا يكون هناك شهود، وبدأت الصَّلاة: «يا ربي، إذا قتلونا الآن، فإنَّهم سيسلبون روحنا، يا ربي، ساعد أرواحهم، ولا تسمح لهُم بإراقة الدماء»، وحدث شيء ما، وذهبوا.

وإليكم قصَّة امرأة أُخرى:

كُنت أعمل ممرضة لدى أحد الأطباء المشهورين في الاتحاد السوفييتي، ومع الوقت بدأت أرى وأعرف ماذا ومن أي شيء يشكو المريض، وبدأت أشعر أي دواء يجب إعطاؤه، كما أنَّ البروفيسور كان يسمح لي أنْ أسجل ملاحظاتي عن مرض الشخص، وبدأت أعالج النَّاس من خلال التَّأمُّل. وحققت نتائج باهرة، وكانت حماتي تمارس السحر القديم، وأصبحت لسبب ما تركض في الشوارع كالمجنونة، وقررت معالجتها، وعالجتها. وبعد فترة

أصبحت ذاكرتي تضعف ولم أتذكر حتَّى رَقْم هاتفي، وبدأت المشكلات بالصحة البدنية والنفسية لدى زوجي وابنتي، وتوقفت عن مُمارسة التَّأمُّل. حتَّى القيام بالتدليك توقفت عنه، وعندما أتى إلى مدينتنا أخصائيون شرقيون سألوني، وطلبوا مني أنْ أستمر في القيام بهذا العمل.

- كلَّما كان مُستوى المعالج قوياً وعالياً، كلَّما كان خطراً عليه، ابدئي من المعتقد والطابع، لقد حملت أعباءً كثيرة للأنا الإنسانية، وللتخلص من ذلك عليك اللجوء إلى الأنا الإلهية، أوَّلاً تخلصي من الاستياء من نفسك ومن مصيرك، وأي حالة غضب من الزوج تُعَدُّ فرصة للابتعاد عن كل ما هُو إنساني، واشعري بالأنا الإلهية أي تخلصي من كل الاستياءات تجاه أهلك.
- قل لي، أيهما أفضل، أنْ نتذكر الإساءات في الماضي أم نتغلب عليها في المستقبل؟
- للتغلب على الشُّعُور وتربيته لا بد من أنْ يكون نشيطاً، وإذا كنتم تصلون كي تتخلص روحكم من الغضب على النَّاس، فإنَّ الفعاليَّة تكون قليلة هُنا، والمشاعر مخفية في مكان ما، ولا تعمل، وإذا شعرتم بالغضب فقوموا بالصلاة للمحافظة على الحُبّ.
- ماذا يُمكن أنْ يُساعد أثناء العمل على الذات؟ الخيانة والغضب، والاحتقار، كل هذه خسائر مؤقتة للسعادة الإنسانية، وكلَّما كنا متعمقين أكثر فيها، كلَّما كانت هذه الخسائر مرضية أكثر، ما الَّذي يربطنا بالحياة؟ التنفس، الطّعام، الجنس، وإضافة إلى ذلك الوعي أي الإرادة والهدف ورغباتنا، يُمكن الامتناع عن الجنس لفترة طويلة، عندما تُصبح الصَّلاة فعَّالة، ويُمكن الامتناع عن تناول الطّعام لفترة محدودة، هذا صعب لكنَّ فعاليَّة الصَّلاة تزداد. وعن التنفس حتَّى لوقت قصير لا يُمكن الامتناع أبداً، وهنا يُمكن الصَّلاة أنْ تعطي مفعولاً عميقاً وشاملاً، لذا إذا صمنا لعدة أيَّام، وبعدها صلينا يُمكن التغلب على الجوع.

حسب معلوماتي الَّتي يجب أنْ أتحقق منها فيما بعد حصل التَّالي: ثلاثة أشهر في السّنة يجري تسارع في كُلِّ العمليات، وتزداد المسؤوليَّة تجاه مشاعرنا وفكرنا وسلوكنا، وهذا في منتصف شباط، والنصف الأوَّل من نيسان، والنصف الأوَّل من آب، ولاسيما النصف الأوَّل من نيسان، وهنا يفضل حد أقصى من العمل على الذات، وتوجه قليل نحو المتعة الإنسانية، وستة

أشهر في السّنة يُمكن للإنسان أنْ ينغمس في اللذة، ونصف عام يُمكن أنْ يبتعد عنها، ومن ستة أشهر ابتعاد ثلاثة أشهر ابتعاداً عميقاً، قوياً، وهذا في شباط ونيسان وآب.

والابتعاد القليل - كانون الثَّاني - آذار، أيار.

والانغماس في المتعة - حزيران - تموز - أيلول - تشرين أوَّل - وتشرين الثَّاني وكانون الأول، إضافة إلى ذلك لدى كل إنسان نظامه الخاص، عندما يشعر إلى أيِّ جهة عليه الذهاب، ومع هذا يجب أوَّلاً تنظيم أنفسنا، ومشاعرنا.

تذكرت ذلك الحديث عندما كُنت أُفكِّر بمشكلاتي، وسمعت طَرْقاً على الباب، ودخلت امرأة:

- ما هي مشكلتك، سألتها عندما جلست.
- كل ما ستقوله لي، سأطابقه مع ما رأيته من النظرة الأولى، وبعد ذلك سنبحث سويَّة عن مخرج من الوضع.

من النظرة الأولى كانت حالتها غير خطرة، فلدى الطفل الأوَّل يُمكن أنْ لا ينجب والثاني يُمكن أنْ يموت، وعلى الرَّغم من أنْ حقل المرأة ليس سيئاً خارجياً، فإنَّ التركيز على القدرات والوعي والحياة أعلى بكثير من مُستوى الموت، لاسيما على الحياة، وغريب من أين حصلت على هذه التابعية القوية، ولديها في حياتها، أو في غيرها، كان هناك شيء أعلى من الحُبّ.

بدأت المرأة الحديث:

- لدى طفلي مشكلة في الإنجاب، وأخاف دائماً على حياة ابنتي، وأعتقد أنَّ هذا مرتبط بأنني كُنت أمارس التَّأمُّل والعلاج.

لنقم بما يلي: أرى حياة أولادك، وأركز على فترات بدأت حالتهم تسوء فيها، وبعدها نطابق تاريخ بدايتك للتأمل.

اتضح بعد المعاينة أنَّ التغيرات الخطيرة بدأت منذ ٣ سنوات، والسلبية العامَّة بدأت منذ ٨ سنوات.

- منذ ٨ سنوات بدأت التَّأمُّل - ومنذ ٣ سنوات بدأت العلاج حسب نظام «ريكا». وقبل هذا لم أستقبل مرضى بالسرطان، وهذه الأمراض كارميَّة ولا يجب المساس بها، لكنْ قالوا لي إنني أعالج بطاقتي فقط، وبدأت أستقبل الأشخاص المرضى.
- يُمكنك قول ما تريدين إذا لم تكوني متعلقة بشيء، وإنَّ أي إنسان كان يستطيع أنْ يُصبح محترفاً حسب نظام «ريكا».

لكنَّك تعالجين عن طريق طاقتك، وهنا احتمالان فقط: إما أنَّك تعالجين بالأنا الإلهية أو بالإنسانية، وأنت لا تشعرين بالأنا الإلهية، وبدأت تعالجين بالإنسانية، ولهذا فإنَّك سرعان ما تبدئين بانتزاعها، وتأخذين الطَّاقة والحب من حيواتك القادمة، والعلاج الحقيقي يبدأ كما يلي:

أوَّلاً: - يغير المريض علاقته بالعالم وبنفسه، ويمتنع نهائياً عن العداء للحب في داخله، وبعدها يتعلم الحفاظ على الحُبّ. وأخيراً يُمكن للمعالج أنْ يُساعد المريض دُون أي عواقب لنفسه وللمريض، وعموماً أنت بدأت العلاج، ويمكنك الحُصُول على أوضاع تُساعدك بشكل أقوى في الشُّعُور بالأنا الإلهية.

- لقد حصلت على تلك الإشارة ما إنْ بدأت بالعلاج، وأصبح زوجي يتعامل معي بسوء أكثر، وترك عمله، لم أفهم أنَّ هذا تطهير لي وغضبت.
- قولي لي كيف بدأت العلاج، بالأيدي؟
- بعد دروس في الطَّاقة الحيويَّة، حلمت أنَّهم قالوا لي إنَّهم سيعالجون النَّاس من خلالي، ولم أقم بشيء أثناء الجلسات، كُنت أجلس وأصلي.
- لقد بدأت التحسن في المجال الإنساني ونسيت المجال الإلهي، اذهبي واعملي على ذاتك، وسنرى بعد ساعة ما هي الآفاق، خرجت المرأة وأغلقت الباب، وعندما عادت كان وضعها أفضل بكثير، لكنْ لدى أطفالها لم تكن هناك أي تغييرات.
- قل لي، ماذا عليَّ أنْ أفعل كي لا يتعلق أولادي بي؟
- إذا صلى الأولاد ولجأوا إلى الأنا الإلهية، فإنَّ سلوكك غير السليم سيجلب الضرر لك فقط، لكنْ أوَّلاً تخلصي من كل شيء أعطيتهم قبل الولادة، وأثناء الحمل، وفي الطفولة، عندها سيكون وضعهم أفضل وسيحافظون على الحُبّ في أعماقهم.

obeikandl.com

الشَّخصيَّة والغرائـــز

للتخلص من كل الارتباطات لا بد من التَّخلُّص من التبعية من كل ما يقبع في أساس السَّعادة الإنسانية، ومن أجل هذا لا بد من الارتقاء فوق الأنا الإنسانية، وهذا الابتعاد ممكن إذا انتقلت نقطة الارتكاز إلى الإلهية، وللوصول إلى الأنا الإلهية لا بد من المرور بعملية مؤلمة، التَّعلُّم للحفاظ على الحُبّ عندما تتزعزع كل الأسس، وكان واضحاً لي أنَّ الإنسان هُو مجموعة من ثلاثة عناصر مكونة: الجسد والروح والنفس، ولا وُجُود لعناصر أُخرى. «خلال عدَّة أشهر من بحثي عن أسباب المرض إذا لم أشعر بشيء جديد، فهذا يعني أنَّ النِّظام قد انتهى، ويبقى التطبيق فقط»، لم أعرف كم كان اعتقادي سطحياً لفهم العالم حتَّى النهاية، في بداية القرن كان علماء الفيزياء واثقون أنَّ صُورة العالم ستبقى أبدية، وبعد ذلك ظهرت الفيزياء الكمِّيَّة، ونظرية النسبية، وأصبح العالم غير متوقع، ومستقراً من الخارج. وما أنْ ظهرت الثِّقة عندي، أنني فهمت كل شيء بدأت لدي المشكلات. وتزداد الحالة سوءاً عندما نمتلك على الثِّقة المطلقة في أنفسنا وفي نظامنا.

وأتذكر حالة حصلت معي، عادة عندما أقوم بتشخيص حقل الإنسان، وإذا أصبح مضيئاً، فهذا يدل على هارمونيا داخليَّة عالية، ورأيت مثل هؤلاء الناس، وتميزوا بحالتهم الصحية الجيدة وبجسدهم وبروحهم ومصيرهم، وفي أحد الأيَّام شخصَّت حقل امرأة ورأيت بقعة، وكانت هذه طفلاً في المستقبل، بعد ذلك حملت وأنجبت الطفل، وكانت لديه تشوهات خلقية، ولدى العديد من العجزة، يكون المرض في الجسد يقوم بتطهير الروح، ومنذ البداية المقعد المهان في الأنا الإنسانية يملك فرصاً كبيرة للحُصُول على الأنا الإلهية، وحصل أنني رأيت طبقات عُليا للروح، ولو كان مجال رؤيتي أوسع، لكنت رأيت السبب وليس النَّتيجة».

وبعد شهرين، وعند تشخيصي لمشكلات أحد الأشخاص، شعرت بكائن خارج إطار الروح، (غريب، أيمكن أنْ يكون هذا أشمل من الرُّوح)، كان يجب اجتياز عدَّة حالات

ليخرج هذا الكائن، وبعدها أقوم بتصنيفه والبحث عن اسم له، وفي هذه المرَّة حصل كل شيء سريعاً.

ذهبت أنا وأصدقائي إلى فيلا، وهناك قررنا أنْ نُعِدَّ طعاماً «بلوف - نوع من الطّعام مكون من الأرز واللحم - مترجم»، وما إنْ بدأنا بإعداد الأرز واللحم حتَّى حام الذباب حولنا من رائحة اللحم، وحاولنا طرده ولم نوفَّق، كلَّما كنا نرتبط بقُوَّة بالعالم المحيط، كلَّما رأينا أقل أسباب الحالة، وناضلنا من دُون فائدة مع النَّتيجة.

كان عليَّ أنْ أبعد اللحم عن ذلك المكان، حيثُ أطبخ الأرز، وتنظيفه وغسله بالماء، وعوضاً عن ذلك أصابتني نوبة من العصبية محاولاً إبعاد الذباب الَّذي يعيقني، بعدها رأيت أنَّ هناك العديد من الذباب في العلبة، حيثُ كان اللحم، أغلقت العلبة ورميتها بعيداً، وغريب أنني كُنت أقتل الذباب كثيراً ولم أشعر بشيء، لكنْ هذه المرَّة شعرت بعدم ارتياح وبعد وقت قصير شعرت بألم بجسدي، رأيت نفسي وشاهدت أنني جلبت ضرراً للأولاد والأحفاد، السبب - التَّعلُّق بهذا الكائن الكريه، الموجود خارج الروح، وكان عليَّ أنْ أفهم أنني لم أتصرف بشكل سليم، وكلَّما فهمت أعمق ما يجب أنْ تقوم به، كلَّما كان التطهير يسير بسرعة.

مختبراً أثناء هذا الكره والرغبة في تدمير كائن حي، ازداد عندي الشُّعُور بالغيرة على أولادي وجعلتهم عاجزين، وقبل هذا كان النِّظام يعمل حسب القيم الإنسانية، لكنَّ الإنسان هُو قبل أي شيء كائن حيواني وحي عموماً، وقيم أي كائن حي تُؤدِّي حسب ما فهمت إلى ثلاث غرائز:

الأولى - هي غريزة ظهور الحياة والحفاظ عليها. ومعها ترتبط الغريزتان الأخريان.

والثانية - غريزة استمرار الحياة، وهي مرتبطة بالتنفس والطعام والجنس، وهي موجودة في العائلة والحب الإنساني والعلاقات.

الغريزة **الثَّالثة** - هي غريزة التحكم، إذا كانت الثَّانية مرتبطة مع البناء، فإنَّ الثَّالثة مع التدمير، وهي موجودة في الإرادة والذهن والقدرات.

لن أصف بالتفصيل كل الأبحاث الآن، وأعتقد أنَّه لا يجب ذلك، بعد ذلك وعند بحث مفهوم «الإنسان» كُنت مضطراً لصياغة مفهوم «الشَّخصيَّة». هناك «الأنا» كشخصية، تنبثق من الجسد بمجموعة سلوكه في المكان والزمان، وهناك شخصيتي كجزء من المُجتمع الَّذي أعيش فيه، قومي، ديني، أم اجتماعي. وفي الوقت نفسه هناك

شخصيَّة كجزء من كل ما هُو إنساني. وهناك شخصيَّة كمجموعة من الحضارات في مجرتنا، وبعدها عالمنا والعوالم الأخرى. في نهاية المطاف نحن نصل إلى الكون الَّذي هُو عبارة عن شخصيَّة.

إذا ربينا الطفل، من خلال التركيز على مصالحه، فإنَّ اتصاله المعلوماتي سيضيق جدَّاً ويتوقف نموه.

والطفل سيواجه الخوف والهيجان والغضب والكره من دُون أنْ يقدر على إعادة صياغة العالم المُحيط به، ومن دُون أنْ يفهمه، وعندئذ يحدث توقف إما في النُّموّ وضيق المصالح، وإما التَّطوُّر بكمية كبيرة من الأمراض والإساءات، وإذا علمنا الطفل أنْ يأخذ بالحسبان في سلوكه مصالح الآخرين، فإننا نضع أمامه مشكلات إنسانية عامة، لكنْ تزداد إمكاناته لإعادة صياغة العالم المُحيط به، وينضم إلى الحقل المعلوماتي للإنسانية، الأخلاق الشَّخصيَّة ضيقة جداً، والعامة - أكثر بكثير، والإنسانية العامَّة - كذلك. إذا وجَّهنا الطفل نحو الأخلاق أكثر، من نحو القدرات، فإنَّ مجالات شخصيته ستزداد وسيقدر في الحياة أنْ يحقق أشياء كثيرة، ولكنْ إذا نسينا أنَّ حب الله أعلى من حب الشَّخصيَّة والأخلاق، يُمكن أنْ تحدث عمليَّة تعزيز للتبعية تجاهها وانهيارها فيما بعد.

وعموماً، إنَّ التبعية لدى الإنسان تسير من خلال عبادة القيم الخاصَّة والعامة، ولذلك الارتقاء فوقها من خلال التغلغل إلى المستويات العُليا، يقود إلى التناسق، وأما اللجوء إلى الله فيتيح الحفاظ على هذا التناسق.

عثرت على دواء رائع لتنظيم نفسي، وإذا استلقينا على ظهرنا لمدة ساعة ليلاً، ونظرنا إلى السَّماء ونجومها، فيحدث تطهير حقيقي للروح، وبعدها يُمكن أنْ نبدأ بالصلاة.

بعد هذه الأبحاث شرحت كثيراً بشكل مغاير للمرض حقيقة ما يجري. ما هي السَّعادة الإنسانية بالنِّسبة لنا؟ هي الاستقرار والدِّفاع، والمال يعطينا فرصة لتناول الطّعام ونملك بيتاً، ونحن نضع نقطة ارتكاز عليها، ونبدأ الصَّلاة من أجل المال، ونجعل منه هدفاً، وكمصدر للدِّفاع والاستقرار، وفجأة، تختفي الأموال، ونفهم أنَّ هذه نقطة ارتكاز لا يعتمد عليها، ونلاحظ أنَّ المال يأتي عندما تكون هناك القدرات، هناك ذكاء وقدرات، هناك مال. ونبدأ بمراكمة وتطوير القدرات والذكاء أوَّلاً، وإذا اختفت الأموال منكم، فإنَّ قدراتكم موجودة لديكم دائماً، لكنْ فجأة أعمالنا تخفق ونتعرض للغش والكذب. ونفهم أنَّ هذا ليس أبدياً، ونسعى إلى ما يقبع في أساس

قدراتنا، وهُو الرُّوحانيَّة والأحلام والآمال والمثل العُليا، وبعدها يحصل انهيار في المثل والآمال. وندفع نقطة الارتكاز نحو العمق أكثر، ونحن نعيش بالأخلاق والحب تجاه النَّاس، كجزء لا يتجزأ من الأنا الإنسانية، ومن ثُمَّ تتعرَّض الأنا الإنسانية للإهانة، ونحاول أنْ نقوم بوضع نقطة ارتكاز أخيرة على الأجزاء المكونة لشخصيتنا: العامَّة، والإنسانية العامَّة. الرغبة في إنقاذ الإنسانية ومساعدة النَّاس على الأرض - هي إدخال الشَّخصيَّة في مجال الإنسانية، وها هي الإهانة للأنا الإنسانية في جميع عناصرها، وهنا إما انفجار من الأنا الإنسانية إلى الإلهية.

وهذا الانتقال هُو الأصعب والمؤلم أكثر، والأنا الإلهية نشعر بها ليس عندما نفقد المال أو نتعرض للفشل، بل عندما نحافظ على الحُبّ وعندما تهان كل القيم الإنسانية العامة، وبقدر ما تكون الغريزة لتحويل الإنساني إلى إلهي متطورة وأساسية، بقدر ما يكون أسهل علينا التغلب على غرائز كل ما هُو إنساني.

obeikandl.com

الخاتمــة

الآن عندما أكتب هذه الأسطر، يبدو لي أنني أصبحت أشعر بشيء ما جديد، ومن دونه لا أستطيع أنْ أحل مسألة الارتباط بالمشاعر، وكتبي السابقة كانت مخصصة لموضوع التغلب على التبعية للقيم المادِّيَّة والروحية، والموضوع مرتبط بالمادة، والروح بالمكان. والروح هي مشاعر مع الوقت، وتبعيتي للمشاعر وعدم القدرة على التغلب على قُوَّة استمرار المشاعر العدائية دليل على أنَّ تعلقي بالزمان كان قوياً جدياً، منذ عدَّة سنوات أوقفت تجربة مع الزمان، لأنني شعرت أنَّ هذا خطر، والآن يُصبح التغلب على التبعية للزمان أحد شروط حياتي، إذاً، عدم استقرار القيم الإنسانية المرتبطة بالزمان لا أستطيع إلى الآن تقبله، وبما أنني متعلق بالزمان يعني لدي استياءات تجاهه، وما لم أتخلص من هذه الاستياءات، فإنَّ هذه التبعية لن تقل، إذاً، لننظر أنَّ أوَّل شيء: هُو الندم على الماضي، وهناك العديد من الرغبات في الموت تظهر بسبب عدم تقبل الأحداث الَّتي حصلت في الماضي، وأدركت لماذا لم أستطع سابقاً أنْ أتغلب على الهيجان، ويبدو أنَّ هذا ما هُو إلا عدم رضا قوي من الأحداث الماضية.

من الضَّروري، حتَّى أنني لم أتصور، أنَّ الإنسان هائج ونادم على الماضي، وكذلك عدم الرضا من الحاضر، ومن الوضع الَّذي يكون فيه، هُو في الوقت نفسه استياء من الماضي والمستقبل، هذا كان لدي كثيراً، ثُمَّ إنَّ الخوف من المستقبل واحتقار مَنْ طوَّر مخططاتي للمستقبل - هُو زيادة التَّعلُّق بالزمان، سابقاً لم أستطع أنْ أفهم لماذا كان موضوع المستقبل الَّذي تصورته كالأحلام، والمخططات والآمال والمثل، كان بالنِّسبة لي لا يُمكن توقعه، إنَّ مقياس المستقبل لم يكن مستقراً، ومعه كانت هناك دائماً معلومات جديدة، لم أستطع بأي شكل أنْ أفهم من أين هذا الضعف، وعلى أرض الواقع كان مؤقتاً أولاً، وعندما بدأت كتابي الأوَّل كانت صُورة العالم بالنِّسبة لي مادِّيَّة أرضية والتعلق بهذا العالم أعاق فرصة الوُصُول إلى الله، وفي الكتابين الثَّاني والرابع تغيرت صُورة العالم المادِّيّ بصُورة العالم الروحي، والآن حان الوقت لتبدأ صُورة العالم بأنْ تُصبح زمانية، لماذا لدي

شُعُور غريب أنَّ التغلب على الزمان يُمكن أنْ يغلق تماماً موضوع الأنا الإنسانية، و القيم الإنسانية. هناك إحساسات غريبة حول وُجُود الكون الموازي للوقت، يعني، هناك درجات ما، وأردت القول الآن: «الزمن سيثبت لنا»، وابتسمت كيف سيكون العالم، إذا توقف الزمان؟

obeikandl.com

أجوبــة على الأســئلة

- كتبت أنَّ هناك وصلات معلوماتية، أي الكتب المقروءة، والأفلام الَّتي نشاهدها، وهذا كله يشكل طابعنا ومعتقدنا ويؤثر على طابعنا ومصيرنا.

- ما هي أفضل الكتب الَّتي على أطفالنا قراءتها؟

- أعتقد أنَّه قبل قراءة الكتب يجب على الطفل أنْ يملك تصوره عن العالم المُحيط به، وعن القوانين الإلهية، وعن معنى حياتنا الَّذي يُعَدُّ التقرب من الله مضمونه، وأنَّ الأهم هُو رؤية الإرادة الإلهية في كُلِّ شيء، وفهم أنَّ أمام الله ليس هناك مذنبون. وأنَّ الإشارة الأهم للقوة - هي احتقار أحد ما والضَّغط عليه، والحفاظ على الحب واللُّطف عندما تهان وعندما يضغطون عليك.

ويجب تذكير الأطفال غالباً أنَّه يجب أنْ نحبَّ الله أكثر ممَّا نحب الأهل، وأنَّ الغضب يُؤدِّي إلى المرض، وأنه لا يجوز التَّفكير بسوء، دائماً، بالأشخاص وبالعالم المحيط، وأنَّ الله في كُلِّ شيء وفي كُلِّ لحظة، يجب البحث عن سبب للحب واللطف، وليس للغضب، والبداية أفضل من الكتب المُقدَّسة لأنَّ الطفل بعدها سيكون محمياً من التوجه غير السليم الَّذي يُمكن أنْ يصادفه في كتب أخرى، هناك العديد من المؤلفين الموهوبين، لكنَّ كتبهم تعزز الارتباط بكُلِّ ما هُو إنساني، وعدم الاكتمال الداخلي للمؤلف تنتقل إلى القارئ، وكلَّما كان الكاتب موهوباً، كلَّما كانت أخطاؤه أخطر.

في سن الشباب قرأت قصائد «جيك لندن»، الإنسان يستطيع عمل كل شيء وتولَّد شُعُور الثِّقة في نفسي، وإمكانية القيام بمعجزات، بعض الأشياء لم أفهمها. لماذا الشَّخص الَّذي تتركه امرأة، لا يحبها من جديد عندما يصادفها فجأة، بل يسعى لإهانتها، والأشخاص، من الأقوياء والوسيمين، غالباً ما يبدون منتقمين وكذابين، ويُمكن القول أنَّ مثال الرجل والقوة غير الحقيقية، والإرادة الحديدية والتعلم الرائع إلى جانبه شخص غير حاسم وضعيف، ولماذا تحب المرأة الرجل الآخر، والإنسان العادي والذكي وصاحب الإرادة لا

يعيش من أجل نفسه، بل من أجل سعادة الآخرين، يدخل في النَّشاط الثوري، ولكنْ يتعرض لانهيار معنوي، ولا يريد العيش على الرَّغم من أنَّ كل شيء عندها على ما يرام، والصِّحَّة كالحديد، ويقتل نفسه مرغماً نفسه على الذهاب إلى أعمق البحار، وفي هذا الانتحار ليس هناك شعلة أمل. أتذكر كيف أعجبتني لحظة من حياة الشاعر «جيك لندن»، حيثُ لم يتبقَّ لديه مال، ولو لم يمر الشاعر بلحظات غريبة في حياته لما كان كتب هذه القصائد الرائعة، إذ كان مغامراً وفقد كل شيء، الشهرة والمال وليشتري يختاً ويذهب به بعيداً.

قيل في إحدى القصص الإغريقية القديمة أنَّ أوَّل إله «خرونوس» قد أكل أولاده، لكنْ كان متوقعاً أنَّ الابن سينتصر عليه، و«زيوس» الَّذي انتصر على «خرونوس» أنتج إلى النُّور الجنس الإنساني. وبعبارة أبسط، على الإنسان أنْ ينتصر على الزمن، ولدى كل إنسان موهوب هذه المهمة النبيلة، وكلَّما تطور الإنسان أكثر كلَّما تغلب على الزمن بقوة، ولذا فإنَّ لدى الفنان والكاتب يختلف الزمان والمكان عن الصِّفات العادية، ومستوى الاتصال مع العالم المُحيط لديهم أعلى.

كانت الولايات المتحدة في بداية القرن بلاد النَّاس المتحمسين والأذكياء، ولم يتكلَّم أحد عن الظلم، وظهرت عبادة الفرد القوي والخضوع للمجتمع الإنساني والذكاء والقوة، وفي سياسة كل البلاد وفي تفكير أغلبية الأمريكيين مازالت موجودة عبادة القوة، وكي لا تُعاني الإنسانية من مرحلة الظُّلم القادمة على كُلِّ إنسان الآن أنْ يتعلم الانتقال من الإنساني إلى الإلهي، عندها تصل الحضارة الإنسانية إلى الله ليس من خلال القتل، بل من خلال التغلب عليه.

- هل يُمكن للمال أنْ يملك معلومات سلبية؟

أتذكر اتصالاً من ألمانيا بعد يوم من جلسة الاستقبال.

اتصلت امرأة شابة تقول لي بتوتر:

- أنا الآن أجلس وأمامي قطعة نقد من فئة ١٠٠ مارك، وأنا رأسي يدور من هذا.

محاولاً أنْ أعرف ما حدث معها، إذ تقول بناها الطاقوية إنَّ لديها تعلقاً قوياً بالمال، لماذا المال هنا؟ لا أفهم شيئاً، وتقول السيدة بعد ذلك:

- لماذا خطرت في بالي فكرة القيام بتلك التسريحة الَّتي عند المرأة الموجودة على فئة ١٠٠ مارك، وما إنْ قمت بذلك حتَّى بدأت أرتجف واتصلت معك.

فحصت الـ ١٠٠ مارك وأصبح كل شيء واضحاً.

- قلت لك إنَّه بعد الجلسة، وخلال عدَّة أيَّام سيحدث تسارع في العمليات، ويصبح السلوك غير السليم خطراً، وتتعزز الإيجابيات والسلبيات، وورقة الـ ١٠٠ مارك تحمل في طياتها برنامج التَّعلُّق القوي بالمال والمصير الجيد، وبالتَّالي العداء الشديد تجاه النَّاس، لذلك عندما بدأت تُقلّدين تلك المرأة أصبحتِ ترتبطين بالمعلومات الَّتي تحملها تلك الورقة، وازداد العداء لديك تجاه النَّاس وازداد الارتباط بالمال.

- ما إنْ شرحت لي ذلك حتَّى أصبح كل شيء على ما يرام.

- ومن المدهش حقّاً أنْ نعرف ما تحمله فئة النقود من ١٠٠ دولار أمريكي؟ تبين أنَّ الـ ١٠٠ دولار أمريكي التي كانت متداولة سابقاً، كانت تحمل عداءً عالياً، للناس، وأما الـ١٠٠ دولار الحالية، فتبيَّن أنَّها نظيفة مع مُستوى صفر من العداء.

إلى مَنْ ينظر إلى المال بطمع وشهوة، ويأخذ في نفسه كل الأوساخ الطاقوية وبعدها سيمرض أو ستصيبه المشكلات في مستقبله، حتَّى من دُون أنْ يتصوَّر بأي شيء ترتبط هي.

- في الكتاب الرَّابع كتبت أنَّ الصَّلاة على الأنجال ممكن، عندما تتطهَّر فقط، كيف نحدد التطهير التام؟

تصوروا أنكم حددتم لقاءً مع أحد ما، وضروري لكم أنْ يصل في ذلك الموعد، وهُو تأخر نصف ساعة، إذا حافظتم في الداخل على اللُّطف، فهذا يعني أنكم بشكل أو بآخر تنظمون وتسيطرون على نفسكم. وتصوروا أنَّ شخصاً قريباً منكم أغضبكم وأهانكم، وأنكم فقدتم يداً أو رجلاً، وتصوروا أنَّ شخصاً قريباً مات، تخيلوا كل هذا، ماذا كنتم تأملون، وبماذا كنتم تحلمون، انهار كل شيء بلحظة، إذا حافظتم على الحُبّ تجاه الله، فإنَّ هذا الشُّعُور بالحُبِّ الأبدي لن يهتز أبداً في الداخل، ويعني أنكم على ما يرام، ويُمكن أنْ تصلّوا على أنجالكم.

- لماذا كل الرِّجال الَّذين أحببتهم أصبحوا بعد وقت قصير (لا ينجبون أولاداً)؟

كان عندي في جلسة ما شخص، دار حقله من حوله، وهذا حتَّى أسوأ من خط الموت، وفي مثل هذه الحالات يموت الإنسان دائماً، وفرصة البقاء من الأحياء تعطى فقط من خلال مرض عضال أو عجز ما، لديه برنامج الإهانة بسبب عبادة المرأة الَّتي يحبها، أي المتعة

الجنسيَّة، والمثل والحب الإنساني بالنِّسبة له أصبحا الهدف بحد ذاته وروحه توقفت عن سماع اللّه، وهي تسمع أوامر المرأة الَّتي يحبها فقط.

- ماذا عليَّ أنْ أفعل؟ قال لي الشَّخص إياه.

- إنَّ الشُّعُور بالحُبِّ بالنِّسبة لك يجب أنْ يكون أهم من الحبيبة، لا بد من الداخل، وتدريجياً، أنْ تمتنع عن كل ما هُو نفيس لك، وتردد دائماً وتقنع روحك أنَّ حب اللّه أهم من المتعة الجنسيَّة والحب الإنساني. وعبر التنفس والطعام والجنس نتعلق بقُوَّة بالسعادة الإنسانية، ولهذا فإنَّ رفض كل هذا مُفيد جدَّاً.

وفي إحدى المرَّات تحدثت مع سائق تاكسي: وقال لي:

- تعرف أنني تعرفت على نساء أكثر من عدد شعرات رأسي، وعندما وصلت إلى محطة الباص، وحاولت النزول من خلف المقود، استدرت بشكل مفاجئ وشعرت بألم في العمود الفقري، وبعدها شلَّت قدماي وزالت عني الفعاليَّة تماماً، وقالوا لي إنني يجب أنْ أكون سليماً، وقررت بعد ذلك أنْ أمارس الرياضة بنفسي بعد أنْ قالوا لي إنَّهم لا يعرفون سبب حُصُول هذا معي.

وقلت له لا تيأس ممَّا حصل معك، وتعتبره ليست سعادة، يجب مقاومة ذلك ومساعدة نفسك، وحصلت روحك على طاقة كبرى بالتعلق بكُلِّ ما هُو إنساني.

لكنَّه لم يقرأ كتبي وفهمني بشكل خاطئ، وبعد ذلك فحصته، وكان لديه تعلق قوي بالمثل والجنس والحب الإنساني، وقبل أنْ يحصل على نسبة مُعيَّنة من السَّعادة الإنسانية، علينا أنْ نرفضها فكريَّاً ونتقبل أي خسارة محتملة، مرددين أنَّه بالنِّسبة لنا أي سعادة إنسانية هي وسيلة لمراكمة الحُبّ تجاه اللّه، وحب اللّه بالنِّسبة لنا هدف أسمى وأعلى من السَّعادة.

وعندما نحصل على نسبة من هذه السَّعادة علينا إعطاء جزء منها لأحد ما. إنَّ كل إنسان لاحظ أثناء المرض أنَّ مشاعره كلها تتوتر، وأثناء الصوم كذلك، لأنَّه في هذه المرحلة ينخفض التَّعلُّق بالأنا الإنسانية، جاء لعندي عريسان وطلبا مني أنْ أشخص شقتهما.

- هذه الغرفة نظيفة، قلت هذا مشيراً إلى المكان الأكثر اتساعاً، وهذا الصالون - قالت المرأة:

- في هذه الغُرفة موجودة آلامكم وغضبكم من بعضكم بعضاً.

- أفهم - قالت المرأة - هذه الغرفة الَّتي ينام فيها الأولاد.

- يعني في أرواحهم مازالت هناك آلام وغضب لم يغفر لها.

- وفي هذه الغرفة الطّاقة فظيعة، وهناك احتمال كبير لموت أشخاص.

- آه، هذه الغرفة في المطبخ.

- أنتم تتعاملون بجدية مع الطّعام.

روت لي امرأة أنَّها أعدت الحساء ووضعت فيها الخضروات، وأصبحت الأم غاضبة من ذلك، وغضبت الابنة، وكان الحساء كثيراً وأعطوا نصفه للجارة، وهذه عانت طوال الليل من ألم في معدتها.

عندما يأكل الإنسان دُون أنْ يصلي قبل الطعام، فهُو يُمكن أنْ يأخذ عبر الطّعام السموم الطاقوية.

- زوجي عمره أربعين عاماً، كل يوم أرى عنده أفلاماً إباحية، ونعيش أنا وإياه مثل أخ مع أخته، ليست هناك أي اتصالات بيننا، وها قد مرت ٩ سنوات على زواجنا، وسوف نتطلق، هل سيتغير وضعنا، بالأمس حضر محاضرتك واليوم مرض ولم يذهب إلى عمله.

لديكم تعلق بالحُبِّ الإنساني والمثل ومستواه يزيد على مُستوى الموت، وإذا فجأة ظهر لدى الزوج ميل جنسي تجاهك وظهر الحُبّ الإنساني، فهُو سرعان ما يموت جراء هذا، عندما يرتبط الإنسان بالقيم الرُّوحيَّة العُليا هناك طريقان للإنقاذ: إما الابتعاد عن الرُّوحي والانغماس بالمادي، وهذا يسوِّي من حالته، أو محاولة التغلب على المادِّيّ والروحي وعلى المشاعر الإنسانية للسعي إلى المشاعر الإلهية.

وأنت الآن أفضل من قبل بكثير، والتركيز القوي على الحُبّ الإنساني زال، تسيرين على طريق الحُبّ الإلهي وبدأت تغيرات في أعماق مشاعرك زوجك. الجئي إلى الله، ونظِّمي حياتك مع زوجك، وعندها سيكون كل شيء على ما يرام.

- كيف أحب، إذا لم أشعر ولم أفهم الله، قل لي؟

نحن جميعاً نحمل الله في داخلنا، والأنا الإلهية أبديَّة، وهي موجودة وفي الله وفي الحُبّ، وبين الأنا الإنسانية والإلهية، هناك حلقات زمنية ونحن نحاول طوال حياتنا أنْ نمر عبر الأنا الإنسانية، والوصول إلى الإلهية. وقياساً على ذلك ما إنْ نبتعد عن الإنساني، ويضعف المنطق الإنساني، تنخفض أهمِّيَّة أعمالنا اليوميَّة، ويصبح الوعي في المرتبة الثَّانية، وما إنْ نتحرك إلى الأمام تنخفض أهمِّيَّة كل مشاعرنا وأحاسيسنا، ونكف عن التَّعلُّق ليس بالوعي فحسب، بل بمشاعرنا أيضاً، يعني بقدر ما نعمل حسب المنطق الإنساني، أي تقييم وتحليل

الأوضاع، بقدر ما نكف عن الندم على الماضي والقلق من المستقبل، ويصبح سهلاً علينا التعامل مع أي مشكلات معتمدين على الحُبّ واللُّطف، ويصبح من السَّهل تحويل الحُبّ الإنساني إلى حب إلهي.

قلت لإحدى المرضى:

- حصل سوء، أوقفي الزمن حتَّى ولو لثلاث ساعات ولا تقيمي الوضع الَّذي أنت فيه، «ربي، كل شيء بإرادتك»، محافظة على الحُبّ وعدم البحث عن المذنبين، بقدر ما تنظرون إلى أيِّ سوء كفرصة للعمل على الذات، بقدر ما يكون سهلاً عليكم الابتعاد عن أهمِّيَّة الأنا الإنسانية، تصوري الآلام الكبرى في الحياة وتخيلي نفسك طفلاً حديث الولادة. أنت الآن تتألفين من الحُبّ فقط، وليس لديك أهمِّيَّة أو وظيفة، اجتازي كل الأوضاع، في هذه الحالة، ركزي على صدقك وضعفك. عندئذ من السَّهل أنْ تشعري وتحافظي على الحُبّ، وإذا أحببت شخصاً ما، كوني صادقة تماماً، ولكي يتحول الحُبّ الإنساني إلى إلهي لا بد من التَّخلُّص من المتطلبات والشروط والندم والخوف.

هناك أمر آخر أيضاً، حب الله يولِّد حب النَّاس والعالم، وحب الله - هُو جنين يتغذى من نهر الحب، وكلَّما نعطي الحُبّ الإنساني أكثر، كلَّما كانت روحنا تصل بسرعة إلى الإلهي، ومن يخجل في إظهار الحُبّ، ويوقف ظهوره يتحول إلى كذب.

إذا كنا نقول غالباً لأولادنا إننا نحبهم ونعانقهم ونقبلهم، نحن نساعد أرواحهم على اختبار نبضات الحُبّ. والتعلق بالقيم الإنسانية يزداد عندما يضعف إظهار الحُبّ في أنفسنا. ولا يهم عدد الارتباطات الَّتي تخلصنا منها، وإذا لم نبدأ بإعطاء الحب، فإنَّ جاذبية الأنا الإنسانية لن يكون بمقدورنا التغلب عليها.

والطفل الَّذي لم يعط الحُبّ ولم يعلموه الإيمان بالله يبدأ بالصلاة لتلك الأنا الإنسانية القريبة منه فقط، ومن أجل تملك ذلك فهُو مستعد للذهاب لارتكاب الجرائم.

منذ شهر ذهبت بالقطار من يالطا إلى «بيتر» وقرأت صحيفة «فاروونج»، كتب فيها عن مراهق كان يعمل أهله في التجارة، وأما الابن فقد كان يريد الحُصُول على سيارة مثل أبيه، ومن أجل هذا عثر على قتلة مأجورين، وكتبت الصحيفة ما قاله الابن: «عندما تقتلون أبي، أمي كذلك بعد هذا اقتلوها، وأما ؟؟؟؟ فلا تقتربوا منها، فأنا أحبها»، المأساة الَّتي حدثت لهذه العائلة هي أوَّلاً مأساة مجتمعنا كله ودولتنا.

لقد تعلمنا لعشرات السِّنين الحقد الطبقي واحتقار الأعداء، صلينا من أجل مُستقبل زاهر، وتدريجياً توقفنا عن الحُبّ والمغفرة، وتوقفنا عن تعليم هذه الأشياء لأطفالنا، «وكذلك بسبب خرق العديد من القوانين يضعف الشُّعُور بالحُبِّ لدى النَّاس»، أتذكر دائماً جملة السَّيِّد المسيح هذه، عندما أقرأ، ونحن جميعاً نسأل أنفسنا: «متى ينتهي هذا الفراغ في روسيا»؟ رُبَّما، عندما يحل مكان الحقد والبحث عن المذنبين في أعماقنا، ما يجب أنْ يكون دائماً فيها، وعندئذ ستغفر الزوجات لأزواجهن وسيولد من الحُبّ الإلهي، «أنا» إنسانية جميلة ومتناسقة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهـــرس

مقدمة ٥
مسائل تقديم المُساعدة السيكولوجية لتلاميذ السنوات الأخيرة ١٧
مفهوم وتصنيف حالات الضَّغط في حياة طلاب الصفوف العُليـا ٢٣
التَّحكُّم بالوضع ٣٣
أخطاء التشخيص ٣٥
الشَّخصيَّة ٣٩
التعامل مع العلاج ٤٩
الطَّهارة ٥١
طهارة الكارما ٥٩
الحالة الدَّاخليَّة ٦٩
تربية المشاعر ٧٣
المنطق ٨٥
مصر ٩٥
الدَّرجة الرَّابعة ١٠٣
التشخيص ١٠٥
مصر، كلوي ١٠٧
كن معافى ببساطة ١١١
العلم والدين ١١٧
في البداية كانت الكلمة ١٢٥
عبادة المشاعر الإنسانية ١٢٩
الاتصالات ١٣١
نحن والمستقبل ١٣٧

obeikandl.com

نقطتان لاستقرار السَّعادة ١٤١
إدراك العالـم ١٥٣
الشَّخصيَّة والغرائـز ١٦٧
الخاتمـة ١٧١
أجوبـة على الأسـئلة ١٧٣
الفهـرس ١٨١

obeikandl.com